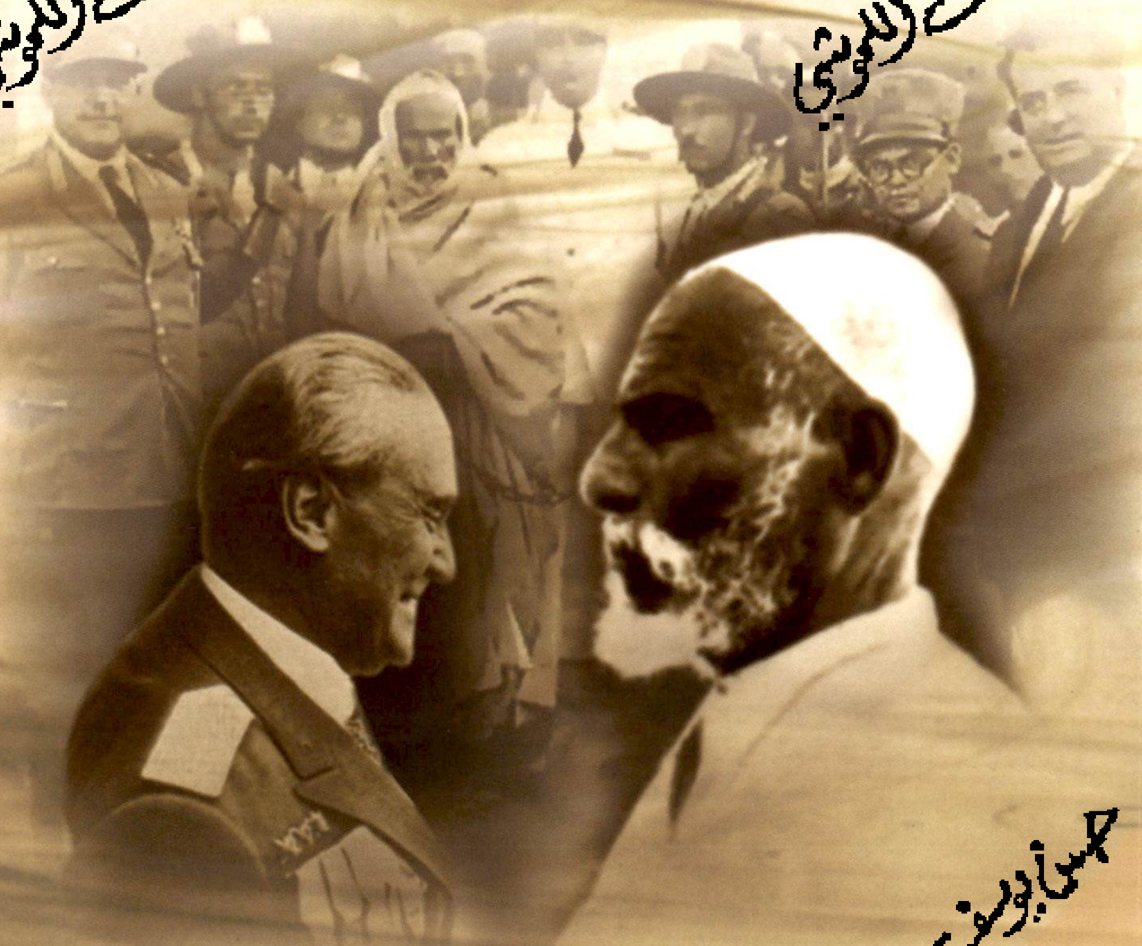
عمر المختار وغراتسياني

حرب الواحد والعشرين شهرًا

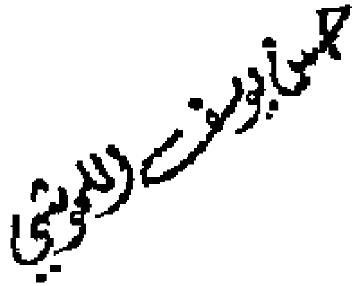


د. وهبي أحمد البوري

مجلس الثقافة العام

عمر المختار وغراتسياني

حرب الواحد والعشرين شهرًا



إصدارات

مجلس الثقافة العام

الإشراف العام

أ . د . سليمان صالح الغويل

لجنة الإعداد والإشراف

ناصــــــــر الدعيـــــــــسي

علـــــــــي الفـــــــــلاح

هليـــــــــل البيجـــــــــو

جـــــابر نـــــور ســـــلطان

محمـــد عبـــدالله الترهـــوني

ســـالم أحمـــد الأوجلـــي

عمر المختار وغراتسياني

حرب الواحد والعشرين شهرًا

د. وهبي أحمد البوري

الناشر
مجلس الثقافة العام

اســـم الكـتـاب	عمر المختار وغراتسياني - حرب الواحد والعشرين شهراً
تـأليف	د. وهبي أحمد البوري
سنـة النـشـر	2010م
رقـم الإيـداع	403 / 2010م (دار الكتب الوطنية)
الـترقيم الـدولي	978 - 9959 - 38 – 898 – 8
تـصميم الغـلاف	دار قـباء الحديثة
التنفـيذ الفنـي	دار قـباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 0021821444989 4 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

توحدت إيطاليا كدولة أوروبية كبيرة في عام 1860م، بعد ما ظلت مقسمة ومحتلة من الغير لعدة قرون، فقد احتلت النمسا الجزء الشمالي، واحتلت فرنسا الجزء الشمالي الغربي، واحتل البربون جنوب إيطاليا، وظلت روما وضواحيها بيد الفاتيكان، وكانت دولة بيمونتي الدولة الإيطالية الوحيدة المستقلة، وقد تولت القيام بتحرير إيطاليا بمساعدة الشعب الإيطالي، فاستطاعت تحرير شمال إيطاليا من النمسا بمساعدة فرنسية، كما قام (غاري بلدي) بتحرير الجنوب، وظلت روما بيد الفاتيكان لا تستطيع الدولة الجديدة الاقتراب منها؛ لأن فرنسا كانت تدافع عنها، وعندما انهزمت فرنسا أمام ألمانيا في عام 1870م انتهزت إيطاليا الفرصة وقامت باحتلال روما، واتخذتها عاصمة لها، وأصبح ملك بيومنتي ملكاً على إيطاليا، وانتقل من تورينو إلى روما عاصمة دولته الجديدة.

كانت الدولة الإيطالية في بداية عهدها دولة ليبرالية يحكمها الأعيان الذين كانوا لا يميلون إلى الاستعمار والتوسع؛ لأنهم ذاقوا مرارته في السابق، إلا أنه عندما تطورت الأوضاع في إيطاليا،تكونت في إيطاليا بعض الفئات المثقفة التي كانت تنادي بالاستعمار والتوسع أسوة بالدول الأوروبية الكبرى، لكنّ الحكومات الإيطالية لم تتجاوب مع هذه المطالب.

وبعد افتتاح قناة السويس التي أصبحت طريق البواخر إلى الهند والشرق، هبت الدول المستعمرة للحصول على قواعد ومرافئ على طول الطريق، وكانت شركات الملاحة الإيطالية تعمل على هذا الطريق، وكانت

تتمنى لو أن إيطاليا لها مرفأ على طريق السويس تستعين به علـــى قــضاء حاجاتها كالتّزّود بالمحروقات وغير ذلك.

وعندما اشتد ضغط المطالبين بالمستعمرات على الحكومـــة الإيطاليـــة قررت البحث عن مستعمرة تتخذّها منفى ترسل إليه المساجين الخطرين الذين كان عددهم في ازدياد، وأخذت تبحث عن هذه المـــستعمرة غيـــر أن جميـــع أراضي أفريقيا ومعظم أراضي أسيا قد وقعت بيد بريطانيا وفرنسا وهولندا.

كانت شركة (روبا تينو) شركة ملاحة إيطالية تعمل علـــى طريـــق السويس، وقد عثرت على مرفأ في شرق أفريقيا على البحر الأحمر، كـــان المشائخ المحليون مستعدين لبيعه، فاتصلت بالحكومة الإيطالية، التي أصدرت إليها أمراً فأمرتها بشراء المرفأ؛ ليكون قاعدة إيطالية على البحر الأحمـــر، فقامت الشركة بشراء الأرض المعروضة للبيع، وأرادت أن تحولها إلى مرفأ إيطالي، غير أنّ الحكومة المصرية احتجت؛ لأن أراضي إرتريا كانت تابعة لها، فتجمد الوضع عدة سنوات، واستمرّ كذلك إلى ما بعد احتلال بريطانيـــا لمصر ورغبتها حينئذ في وجود دولة أوروبية ثانوية على البحـــر الأحمـــر؛ لتحد من التوسع الفرنسي؛ فطلبت من إيطاليا الاستيلاء على مينـــاء عـــصّب وتحويله إلى قاعدة إيطالية، ثم شجعتها على احـــتلال أجـــزاء أخـــرى مـــن الأراضي المجاورة حتى كونت مستعمرة إرتريا، ولأول مرة كان لإيطاليـــا مستعمرة في أفريقيا إلا أن المستعمرة الجديدة لم ترض طموح المتحمـــسين للتوسع والاستعمار، وحينها صادف أن تـــولى كرســـبي رئاســـة الحكومـــة الإيطالية، وكان مستعمراً متطرفاً، فبعث بقوات إيطالية كبيرة إلى إرتريـــا، وأمرها بالتوسع في أراضي الحبشة، وكان يحلم باحتلال الحبشة، وجنـــوب السودان، وجنوب ليبيا، ويمضي ليطل على البحر الأبيض المتوسط، ولكـــنّ قواته في أول معركة كبيرة مع الأحباش بقيادة الإمبراطور مينيلك انهزمـــت بل دمّر جيش إيطاليا، وكادت تفقد حتى مـــستعمرة إرتريـــا لـــولا التـــدخل

البريطاني، وقد نزلت أخبار هذه الهزيمة علـى الـشعب الإيطـالي نـزول الصاعقة؛ وسكت المطالبون بالتوسع الاستعماري عدّة سنوات.

كانت إيطاليا بعد استقلالها ووحدتها تتعامل مع تونس التي استعانت بآلاف الإيطاليين لحاجاتها لخـدماتهم، ورأت إيطاليـا الجديـدة أن كثـرة الإيطاليين في تونس، وإقبال التونسيين على إيطاليا ربما يعطيها الفرصـة لتوسعٍ أكبر، ولفرض حمايتها على تونس فيما بعد، غير أن فرنسا أسرعت باحتلال تونس، وقد تألمت إيطاليا لهذا العمل، واعتقدت أن فرنسا قد اعتدت على حقوقها، ووقع الجفاء ما بين البلدين، وفي مؤتمر برلين عام 1885م، حيث اقتسمت الدول الاستعمارية بقية الولايات التركية العربية في أفريقيا، فقد قرر المؤتمر إعطاء مصر وقبرص إلى بريطانيا، وتونس والمغرب إلى فرنسا، وخرجت إيطاليا من المؤتمر بدون شيء، إلا أن أحد أعضاء الوفد الفرنسي قال لندع إيطاليا تحتل ليبيا، ومنذ ذلك اليوم وضعت إيطاليا أعينها على ليبيا، وبدأت تعمل من أجل الاستيلاء عليها، وكانت تعلم أن ليبيا ولاية عثمانية، وقد يتطلب أخذها الدخول في حرب مع تركيا قد يجر أوروبا إلى حرب أوروبية، فشرعت في إقناع الدول الكبرى واحدة بعد الأخرى بحقها في الاستيلاء على ليبيا، ومطالبتها بالموافقة على ذلك، فوافقتهـا النمـسا، وألمانيا، وبريطانيا، إلا أن فرنسا لم توافق إلا عام 1900م واشترطت على إيطاليا أن لا تحتل ليبيا إلا بعد احتلالها للمغرب، ومع ذلك كانت إيطاليـا مترددة في الدخول في حرب مع تركيا، وكانت تُفضل لو تتحصل على ليبيا بدون قتال أو سفك دماء، وتوصل الإيطاليون إلى فكرة تحقـق أطمـاعهم وهي التوغل السلمي في ليبيا عن طريـق التجـارة والـصناعة وتكـاثر الإيطاليين، فإذا ما توفر ذلك يكون من السهل تدريجياً السيطرة على ليبيـا واستعمارها، وقد هداهم تفكيرهم لتحقيق هذا الغرض إلى أن يفتحوا مصرفاً في ليبيا يُمهد لهذا العمل، وقد اختاروا بنك روما ليتولى هذا الأمر، وكـان

فتح مصرفٍ في ليبيا يتطلبُ صدور أمرٍ إمبراطوري بذلك؛ وفقاً للقـوانين التي وضعتها الحكومة التركية، وتجاهلت إيطاليا هذه القوانين، واتفقت مع شركة يهودية تعمل في طرابلس مُنذ أربعين سنة، فاشترت حقوقهـا، ثـم تقدمت للوالي رجب باشا للحصول على إذنٍ ببداية العمـل، وقـد أفهمهـم الوالي أن فتح مصرفٍ يتطلبُ موافقة حكومة إسطنبول، ولكن الإيطـاليين ضغطوا على الباب العالي؛ فخضع لهم؛ وأمر الـوالي بـأن يـأذن بفـتح المصرف إلى أن تأتي الموافقة الإمبراطورية، وفتح المصرف أبوابه وبدأ عمله المصرفي، والتجاري، والصناعي، والزراعي ، وكانـت إيطاليـا لا تريد أن تنافسها أي دولة أوروبية أخرى، وتريد احتكـار الـسوق الليبيـة والنشاط الاقتصادي الليبي لها وحدها، فاشتكت من وجود شركات ألمانيـة وفرنسية تعمل في ليبيا، وأعطت بنك روما الصلاحية في أن يتولى أمـر التغلغل الاقتصادي بالنيابة عنها، وشرع البنك في أعماله المـصرفية، ثـم اتجه إلى الميدان الصناعي؛ فأنشأ طاحونة كبيرة بطاقة مائة قنطـار فـي اليوم، وقد كلفت البنك ما يُقارب المليون ليرة، وأنشأ معاصر للزيت، وأنشأ مصنعاً للثلج غطى حاجة عائلات كثيرة، كما أنشأ مطبعـة تُطبـعُ فيهـا صحيفتهُ، وأوراقاً تجارية أخرى، كما تقدم للحكومة التركية بعرض بنـاء ميناء طرابلس، وإضاءة المدينة بالكهرباء،و قام بشراء الأراضي من الناس المحتاجة ليخصصها للمعمرين الإيطاليين الذين سيتوافدون علـى الـبلاد، واتجه البنك إلى برقة ليجعل منها ميداناً لنشاطهِ الزراعي، فاشـترى مـا يُقارب المائة مزرعة من المواطنين المحتاجين فـي ضـواحي بنغـازي، واشترى أربعة آلاف هكتار من الأرض في القوارشـة اتخـذها مزرعـة نموذجية لدراسة التربة، والمياه، وتجربة زراعة أشجار الفاكهة.

و بما أن برقة مشهورة بتربية الحيوانات فقد اشترى البنك خمسة عشر ألف رأس من الأغنام، ووزعها على بعض مـشائخ الـبلاد ليعتنـوا بهـا

بالمشاركة في نتاجها، واندفع البنك بصورة محمومة يريد الاستئثار بأي نشاط اقتصادي ليحول دون الدول الأوروبية الأخرى من الحصول عليه.

لم يأت بنك روما إلى طرابلس بموجب مخطط أو دراسة تحدد نوعية أعماله، ومشاريعه، وصلاحياته، وأسلوب تعامله مع السلطة المحلية، وقد خولت الإدارة المركزية لمدير فرع طرابلس بريتشيانى أن يفعل ما يراه مناسباً لصالح البنك، وقد وجد الأخير أن البلاد في حاجة إلى كل شيء، وأراد أن يقوم بمعظم المشاريع التي كانت البلاد تحتاجها في أقرب وقت ممكن، وفي وقت واحد؛ وذلك لإرضاء حكومته من جهة، وسد الطريق أمام الدول المنافسة من جهة أخرى، وقد تعاونت مع مدير الفرع مجموعة من المنتفعين الذين كانوا يشيرون عليه بإقامة مشاريع دون دراسة جدواها، ولا فائدتها للسكان، وفتح البنك فرعاً في بنغازي من العام نفسه، وفتح العديد من الوكالات في المدن الصغيرة الساحلية، وقام بعدة مبادرات صناعية، وزراعية، وتجارية قبل أن يتحصل على إذن من الحكومة يخوله العمل في ليبيا.

و لم يتصرف البنك كمؤسسة خاصة تعمل في حدود القانون كغيرها من المؤسسات الأجنبية الأخرى، بل كان يعتدّ بنفوذ حكومته، ويتحدّى السّلطة المحلّية في بعض الأحيان، ويرتكب المخالفات في سبيل تحقيق مآربه، واثقاً من أن حكومته سوف تضغط على الباب العالي الذي سيطلب من الوالي التغاضي عما يرتكبه البنك من مخالفات، وقد اقتنعت السلطة المحلية، والشعب الليبي بأن البنك ليس إلا طليعة للاستعمار الإيطالي، وعمله تمهيدي لهذا الاستعمار، غير أن السلطة والشعب لم يجدا بداً من تقبل وجود البنك، والتعامل معه لغياب البديل.

وتشدد بعض الولاة ورفضوا تلبية المطالب الإيطالية؛ حفظاً على كرامة الدولة وسيادتها، غير أن الصحافة الإيطالية كانت تثير ضجة وتوجه الاتهامات إلى تركيا وتهددها، وتتولى الدبلوماسية الإيطالية ممارسة الضغط

على اسطنبول إلى أن ترضخ وتلبى المطالب الإيطالية رغم أنف الولاة المتشددين.

وقد جاء في تقرير مجلس إدارة البنك السنوي المقدم إلى الجمعية العامة للمساهمين بتاريخ 3 – 3 – 1908م، ما يلي: " في اليوم الخامس عشر من يوليو 1907م، افتتحنا فرعنا في طرابلس بين مظاهر مودة السكان العرب والأوروبيين الصادقة، وبفضل اتفاقيات مفيدة ومناسبة تم توسيع دائرة أعمالنا على امتداد الساحل الليبي بإنشاء وكالات تجارية في الخمس، وزليتن، ومصراته، وزواره، ودرنة، وفي يوم 15 سبتمبر أنشأنا وكالة مصرفية في بنغازي، ومركز برقة التجاري الهام، والسوق الرئيسية للحبوب، والتي تصب فيها جميع قوافل واداي والتشاد، وقمنا في طرابلس بدراسة المنتجات المجدية، وتحدد اهتمامنا بصورة عامة بالمصنوعات، والخيوط ، ومواد البناء، وغيرها، وفيما يتعلق بالتصدير فهناك الحبوب، وريش النعام، والحلفاء، والعاج، والصوف، والنشاف، وقد شرعنا في إدخال الحلفاء إلى إيطاليا، ودلت التجارب الأولى على صحة توقعاتنا بأن استعمال الحلفاء سيكون مفيداً في صناعة الورق في بلادنا، وسنشرع قريباً في بناء مطحن لنا يلبى حاجة تلك البلاد، وهو أول مطحن اسطواني يُقام في طرابلس، أما المطحن القديم فسننقله إلى بنغازي أو الخمس، اهتممنا كذلك بإنشاء مصنع للثلج، وتحصلنا على احتكار لمدينة طرابلس بأكملها، وكذلك قمنا بإنشاء معصرة للزيت في الخمس وأخرى في طرابلس، وندخل بذلك في هذه المناطق الغنية بالزيتون أسلوباً جديداً في الصناعة الوطنية، ولا ننسى الميدان الزراعي، حيث وجدت الأراضي المتعطشة للمساعدة من مصرفكم ، والمساعدة الفعالة، كما يسرنا أن نعلمكم أنه سيبدأ العمل في الأيام القادمة بخط بحري ما بين طرابلس ومصراته مروراً بالخمس، وطابيا، وزليتن، وتدور في الوقت الحالي مفاوضات بخصوص إنارة طرابلس بالكهرباء، ومدها بمياه الشرب والري، ونرجو أن تكلل هذه الأعمال بالنجاح".

لم يشر تقرير مجلس إدارة بنك روما إلى أن البنك لم يتحصل بعد على التصريح الرسمي بالعمل في ليبيا، وأبدى رضاه عن جميع المبادرات التي قام بها الفرع في طرابلس دون أية ملاحظة، مما يدل على موافقته على المخطط السياسي الذي اعتمدته حكومة روما، والرامي إلى السيطرة في أقرب وقت ممكن على معظم النشاطات الاقتصادية، والصناعية في البلاد، والاستئثار بتنفيذ المشاريع، والخدمات التي كانت تحتاجها البلاد، وقام البنك بتخصيص برقة لنشاطه الزراعي، والحيواني، وزراعة الحبوب، وقرر أن يجرى فيها في الفترة الأولى تجارب على التربة، والمياه، والمناخ، وطبيعة العلاقة بين العرب والعاملين في المزارع، وذلك باعتبار برقة أرضاً خصبة كثيرة الأمطار تزدهر فيها تربية الحيوانات، وزراعة الحبوب، وتعد المنطقة الأفضل للاستعمار الاستيطاني.

و كان البنك يطمح في الحصول على عطاء بناء ميناء طرابلس الذي كانت تتنافس عليه عدة شركات أوروبية، كما دخل في مفاوضات مع السلطة المحلية؛ لإنارة مدينة طرابلس بالكهرباء، ومدها بمياه الشرب الجارية، وهي مشاريع كانت المدينة بأشد الحاجة إليها، وفي بنغازي أيضا اتفق البنك مع بلديتها لتزويد المدينة بالمياه الجارية، وشرع فعلاً في تنفيذ المشروع غير أنه توقف بعد الغزو الإيطالي.

وتزامن افتتاح فرع بنك روما بطرابلس مع مرور البلاد بأزمة اقتصادية خانقة؛ سببها الجفاف، والقحط، وغياب الأعمال العامة، والفقر الذي أصاب سكان الدواخل بصورة خاصة، وكان الناس مستعدين لتلقي المعونة والإعانة مهما كان مصدرها.

وفي الوقت الذي وقفت الحكومة التركية مكتوفة الأيدي أمام المجاعة التي كانت تعصف بالشعب الليبي، فقد قام مدير بنك روما بطرابلس بريتشياني بمحاولة سياسية بارعة، فاستورد كمية من الشعير والقمح من

إيطاليا، وقام بتوزيعها على المحتاجين على أن يدفعوا ثمنها بعد جني المحاصيل، وهو أسلوب متبع من قبل بعض التجار والمزارعين، واتخذ البنك من هذا الموضوع وسيلة للدعاية السياسية، وقدر البنك أن الخسائر من هذه العملية سوف لا تتجاوز العشرين في المائة في حالة جودة الموسم الزراعي.

وتعتبر الأعمال المصرفية أنجح نشاط قام به البنك في ليبيا، والأكثر فائدة بالنسبة للسكان، لقد كانت البلاد وقت تأسس البنك في طرابلس تمر بضائقة اقتصادية خانقة، وفي حالة من الإهمال، والتخلف، والفقر؛ بسبب عدم اهتمام الحكومة التركية بآخر ولاياتها الأفريقية، أو محاولة التفكير في تخفيف حالة التخلف التي أوجدتها فيها، وكانت الطبقة الواعية من الشعب الليبي آنذاك تشعر بالحاجة إلى التغيير والبناء والتقدم أسوة بجيرانهم أو الشعوب القريبة منهم.

قابل الليبيون افتتاح فرع بنك روما في طرابلس بمشاعر مختلفة، فالبعض اعتقد أن البنك سوف يوفر للبلاد الخدمات التي عجزت الحكومة التركية عن توفيرها، وقابلت أغلبية الناس افتتاح البنك بعداء شديد باعتباره طليعة للغزو الذي كانت إيطاليا تلوح به دون مواربة، غير أن التجار وجدوا في هذه المؤسسة الوسيلة التي تؤمن لهم الخدمات الحديثة، وسرعة التحويلات، والعمليات المصرفية، بالإضافة إلى سهولة الحصول على القروض، وخاصة بالنسبة للذين تعودوا على التعامل مع السوق الإيطالية، فقد كان البنك يسهل استيراد السلع التي يرغبونها والتي كانت تصل إلى طرابلس وبنغازي على ظهر بواخر البنك بصورة سريعة ومنتظمة.

وكانت الرهونات أهم جانب عمليات البنك المصرفية بالنسبة للمواطن الليبي العادي، فقد دفعت الأحوال الاقتصادية المتردية بالناس إلى رهن أشيائهم الثمينة لدى المرابين اليهود كلما احتاجوا إلى مال لأي طارئ يحدث

على أمل أن تتحسن الأحوال، ويستعيدون ما رهنوه، إلا أنه في أغلب الأحوال يستولى المرابي على الودائع المرهونة بعد أن يعجز أصحابها عن سداد المبلغ الذي استلموه، وعندما بدأ البنك أعماله في طرابلس وجد فيه الناس خلاصاً من المرابيين وشروطهم المجحفة، فقد كان البنك يتقاضى عمولة لا تتجاوز 9% على الرهونات بدلاً من العمولة التي كان يتقاضاها المرابون، والتي كانت تصل أحياناً إلى المائة في المائة، وكان البنك عندما يحين وقت السداد، ويعجز صاحب الرهن عن السداد يجدد له الرهن لفترة أخرى أو أكثر قبل أن يبيع الأشياء المرهونة.

وهدف بنك روما منذ بداية أعماله إلى تخلص الليبيين الفقراء من جشع المرابيين الذين كانوا يستولون على ودائع وعقارات الفقراء بثمن بخس، ويشعرهم بالفارق في المعاملة، وكانت عمليات القروض التجارية والرهونات بصورة عامة من العوامل الرئيسية التي كان البنك يرجو من ورائها كسب العنصر الليبي وإشعاره بفائدة وجوده، ولم يقتصر طلب القروض على الأفراد بل شمل الهيئات الرسمية التي اضطرت بدورها إلى الاقتراض من البنك؛ فاقترضت منه بلدية بنغازي ستمائة ليرة تركية، واقترضت بلدية طرابلس مليون ليرة إيطالية.

استعملت بريطانيا الحلفاء في الصناعة الورقية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وبدأ تصدير الحلفاء من طرابلس في عام 1868م، وتزايدت كميات التصدير حتى وصلت ستين وسبعين ألف طن في العام، وقد تراوح ثمن الطن الواحد ما بين 55 و65 شلناً، وفتحت عملية جمع الحلفاء ونقلها وتصديرها باب العمل لآلاف الليبيين، وكان أجر العامل 26 ليرة في اليوم وهو مبلغ جيد في ذلك الوقت، وكان جميع إنتاج الحلفاء يصدر إلى بريطانيا؛ لتغذية مصانع الورق فيها إلا أن الإنتاج بدأ يضعف في المناطق الساحلية؛ بسبب عدم مراعاة الطريقة الفنية في جمع المنتج دون إلحاق

الضرر بالشجرة، إلا أن الحلفاء كانت موجودة بكثــرة فــي الجبــل، وقــد ازدهرت هذه الصناعة في ليبيا خلال الثلاث عقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، وكون تصدير الحلفاء مصدراً هاماً للدخل في طرابلس، ثم بدأ الطلب على الحلفاء في الهبوط بسبب منافسة تونس والسويد للحلفاء الليبية، وبعد أن بدأت المصانع البريطانية في استعمال المواد الخشبية في إنتاج الورق.

وعندما بدأ بنك روما نشاطه في ليبيا، كانــت صــادرات الحلفــاء لا تتجاوز 25 ألف طن في العام، وقد أدخل البنــك صــناعة الحلفــاء ضــمن مشاريعه، وعمل على تصديرها إلى إيطاليا حيث أجرت عليهــا التجــارب وإمكانية استعمالها في صناعة الورق الإيطالية، واستورد البنك آلات كــبس حديثة، وأنشأ مركزاً لشراء الحلفاء ومعالجتها وكبسها، ثم تــصديرها إلــى إيطاليا وبريطانيا، وقام بنك روما بمحاولة تصنيع الــورق فــي طــرابلس والاستغناء عن تصدير الحلفاء غير أن التجربة فشلت لعــدة أســباب فنيــة، وظلت الحلفاء في العهد الإيطالي تصدر بكميات متواضعة إلى إيطاليا فــي حين توقف تصديرها إلى بريطانيا.

شمل نشاط بنك روما صناعة الأسفنج، وشرع في منافسة العاملين في هذا المجال، وإنشاء مركز لتجميــع الإســفنج، والقيــام بمعالجتــه الأوليــة وتصديره، وكان يرمى إلى احتكار هذه الصناعة كغيرها بفــضل إمكانياتــه واستعداده الفني.

اهتمَّ بنك روما بالبحث عن المعادن التي يشاع أن الأراضــي الليبيــة مليئة بها، وفي طليعة هذه المعادن الكبريت والفوسفات، وقد أثارت الصحف الإيطالية ضجة حول كبريت ليبيا الذي سينافس كبريت صقلية في حــين أن الكبريت في ليبيا لا وجود له، أما الفوسفات فقد أعُتقد أنه مادام يوجد فوسفات في تونس فيجب أن يوجد في ليبيا.

وقد أشيع في طرابلس في تلك الفترة أن شركة فرنسية عثرت على الفوسفات في طرابلس، فأسرع بنك روما ليحول دون الفرنسيين والاستئثار بهذه الثروة، فدخل في مفاوضات مع الشركة الفرنسية لإنشاء شركة ثنائية للبحث عن الفوسفات، وإنشاء السكك الحديدية والموانئ الخاصة به.

وفكر بنك روما في أن الحكومة التركية قد لا تعطى الامتياز للشركة، لأن إيطاليا إحدى الشريكين، فذهب مدير بنك روما إلى القاهرة واتصل بخديوي مصر وعرض عليه المشاركة في الشركة، وقبل الخديوي ذلك وأصبحت الشركة تتألف من ثلاث دول ومن بينها مصر التي كان البنك يعتقد أن تركيا لا ترد طلباً لمصر، وأوعز في طرابلس إلى بعض رجال الأعمال بتأسيس شركة طرابلسية للبحث عن المعادن انضمت إلى الشركة الثلاثية، وأصبحت بذلك شركة رباعية، وطلب من الأعضاء الطرابلسيين الذهاب إلى اسطنبول لطلب الامتياز، إلا أن اسطنبول رفضت طلبهم، ونصحتهم بالعودة إلى طرابلس، والابتعاد عن هذه الأعمال الضارة بالبلاد.

فشل بنك روما في مخططاته للسيطرة على الاقتصاد الليبي، والتغلغل السلمي التدريجي الذي يؤدى إلى بسط حماية إيطاليا على ليبيا، وقد أصبح البنك يبحث عن منقذ له من حالته الراهنة، ورأى أن الغزو الإيطالي العسكري سوف ينقذه من ورطته، ويحقق له أغراضه، فأخذ يشجع الصحف المنادية بغزو ليبيا، وادعى أنه سيبيع حقوقه لشركة ألمانية الأمر الذي أزعج الحكومة الإيطالية، ولم يمر وقت طويل حتى احتلت إيطاليا طرابلس في أكتوبر عام 1911م، وهلل وكبر بنك روما للحادث، وعرض خدماته على القوات الغازية، فطلبت منه العمل على تزويد الجيش بما يحتاجه من مواد محلية، ومن بينها الحطب الذي يطهى عليه طعام الجنود، وعرض البنك على القوات الإيطالية مهمة تفريغ السفن في الميناء، وقام بشراء المراكب والكباري الخاصة بهذا العمل، وباشر أعماله في تفريغ السفن المشحونة

بالمواد العسكرية، والمؤن، وسواها، غير أنه بعد فتـرة صـادرت القـوات المسلحة أجهزة البنك لتفريغ السفن، واستولت عليها، وباشرت العمل بنفسها.

وقامت الإدارة العامة للبنك في روما بمطالبة الحكومة بالتعويض عن خسائر البنك في ليبيا، فرفضت الحكومة ذلك، ولم تعترف للبنك بأي شـيء واستمر البنك في المطالبة، واستمرت الحكومة في الرفض، وأخيـراً تقـدم البنك بقضية أمام المحاكم للحصول على حقوقه، وهنـا قـررت الحكومـة تعويض البنك بمليون ليرة وهو عُشر المبلغ الذي كان يُطالب به، واضـطر البنك لتلافي الخسائر إلى تخفيض خمسة وعشرين في المائة من رأسـماله، واستمر البنك في العمل في ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي، وقد تكبّـد خـسائر كبيرة من جراء تجربته الفاشلة في ليبيا التي سبقت الغزو الإيطالي.

وبعـد:

فقد أقدمت على وضع هذا الكتاب وأنا في الثالثة والتسعين من عمري، وقد ضعف نظري، فلم يعد يسمح لي بالقراءة أو الكتابة؛ فصرت أعتمد على الذاكرة، التي بدأ الضعف يتسلل إليها، فما كان لي إلا أن أعول على غيـري فأصبر مستطيعاً به، وهو ما توفّر لي حين استعنت بالآنسة سلوى شـامية؛ لتكتب لي ما أمليه عليها، مرّة أو أكثر من مرّة، وإنني قـد أتممـت وضـع الكتاب، وسلمته للناشر، لأرجو من الله أن يكون عند حُـسن ظـن القـارئ الكريم، الذي أرجو أن يغفر لي الأخطاء التي قد يصادفها عند قراءته للكتاب، ولا محالة أن الكتاب لن يخلو منها.

وأود هنا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور عمر خليفة الذي تكـرّم وراجع الكتاب، من ناحيته اللغوية، وكذلك الدكتور عبدالحميد حمـد الـزوي جزاهما الله بكل خير، وكذلك الأستاذ عيسى العبار الذي ساعدني في قـراءة النصوص الإيطالية فله الشكر كل الشكر.

والله وليُّ التوفيق.

الفصل الأول

الاحتلال الإيطالي لليبيا

كان جوليتي رئيس وزراء إيطاليا متردداً بين غزو ليبيا والتوغل السلمي الذي يؤمّن له احتلالها، وقد حاول في بداية القرن إرسال عملاء إلي مصر كي يتصلوا بالسنوسية، ويؤّمنوا حيادها في حالة قيامهِ بغزو عسكري لليبيا، وقد حاول هؤلاء العملاء الاتصال بالسنوسية، وتزويد شبابها بما يحتاجونه من أشياء من إيطاليا، إلا أنهم لم يحققوا شيئاً من أغراضهم، ولم تقبل السنوسية التفاوض معهم، وقد لجأ جوليتي إلى فكرة التوغل السلمي بإرسال بنك روما إلى ليبيا، وقيامه بالنشاط الذي ذكرناه، وكان متخوّفاً من قيام حرب بينه وبين تركيا خشية أن تتحول هذه الحرب إلى حرب أوروبية، أو أن تتغلب تركيا على قواتهِ، غير أنه عندما رأى أن تركيا مشغولة بإخماد الثورات التي قامت ضدها في البلقان، وأنها سحبت معظم قواتها من ليبيا؛ أدرك أن الوقت قد حان لغزو ليبيا، وبدأ يستعد للحرب في سرية تامة، وضرب حصاراً بحرياً حول ليبيا كي لا تصلها أسلحة أو إمدادات عسكرية، كان يُدرك أن الشعب الإيطالي غير ميالٍ إلى الحرب؛ فحرك بعض الصحف الوطنية لإثارة حماسهِ والحديث عن ثروات ليبيا الزراعية والمعدنية التي توفّر لإيطاليا ما هي في حاجة إليه منها.

وفي مساء 26 – 27 سبتمبر 1911م وجهت إيطاليا إنذاراً إلى تركيا، وهذا نصه:

" لم تتوقف إيطاليا أثناء عدد من السنين عن تذكير الباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لتلك الفوضى والإهمال اللذين تركت فيها طرابلس وبرقة حتى تتذوق هذه المناطق نفس التقدم الذي تم في أقطار أُخرى في الشمال الأفريقي، وهذا التعديل تتطلبه المقتضيات العامة للمدنية، ويعد

مصلحة حيوية من الدرجة الأولى بالنسبة إلى إيطاليا نتيجة لقرب تلك الأراضي من الشواطئ الإيطالية.

رغم المسلك الذي انتهجته الحكومة الملكية في وقوفها دائما بجانب الحكومة الإمبراطورية العثمانية في كثير من المسائل السياسية حتى الأيام الأخيرة، ورغم الاعتدال والصبر اللذين تذرعت إيطاليا بهما فإن حكومة الإمبراطورية لم تتجاهل رغبتها المتعلقة بطرابلس فحسب بل إن – وهذه أدهى وأمر – كل محاولة من جانب الإيطاليين في تلك المقاطعات كانت تجد دائما أعتى وأظلم مقاومة منظمة.

وقد تقدمت أخيراً حكومة الإمبراطورية التي أبدت (في السابق) مناوأتها الشديدة ضد كل حركة مشروعة في طرابلس وبرقة بخطوات في الساعات الأخيرة، فعرضت على حكومة المملكة الدخول في مفاوضات معلنة عزمها على منح إيطاليا جميع الامتيازات الاقتصادية التي تتفق والمعاهدات السارية وتحفظ لتركيا شرفها ومصالحها العليا، ولكن الحكومة الإيطالية لم تعد تعتقد أنها في وضع يمكنها من الدخول في مثل هذه المفاوضات التي أوضحت تجارب الماضي عدم جدواها، والتي بدلاً من أن تكون ضماناً للمستقبل ستنقلب هي الأخرى إلى قضية جديدة للنزاع والاحتكاك.

ومن جهة أخرى فإن الأخبار التي تلقتها الحكومة الملكية من قنصليها في طرابلس وبرقة تصور الحالة هناك في أقصى حالات الخطورة ؛ نتيجة للحركة السائدة ضد الإيطاليين والتي خلقها فيما يبدو الضباط وهيئات أخرى من السلطات المحلية.

هذه الحركة العدائية تعد خطراً رهيباً ليس على الإيطاليين وحدهم، وإنما على جميع الأجانب من أي جنس وقد بدأوا – قلقين على سلامتهم – يبحرون من طرابلس تاركين لها مرغمين.

إن وصول ناقلات عسكرية إلى طرابلس لم يَفت إيطاليا أن تلفت نظر الحكومة العثمانية إلى نتائجه الخطيرة التي لا يمكن إلا أن تزيد في خطورة الحالة، وتفرض على حكومة المملكة الاحتياط للأخطار الناجمة عن ذلك.

وقد قررت الحكومة الإيطالية – وقد رأت نفسها مضطرة إلى التفكير في شرفها ومصالحها – الإقدام على احتلال طرابلس وبرقة عسكرياً وهذا الحل هو الوحيد الذي يمكن إيطاليا قبوله، وتنتظر الحكومة الإيطالية من حكومة الإمبراطورية العثمانية إعطاء الأوامر اللازمة حتى لا تلقى أية مقاومة من الممثلين العثمانيين، ومن الممكن اتخاذ الاحتياطات التي لا بد وأن تنتج من تنفيذ ذلك دون أي عراقيل، وستتخذ فيما بعد القرارات اللازمة لتسوية الحالة التي ستنتج عن هذا.

لدى السفارة الملكية (الإيطالية) بالآستانة أمر بالتماس الرد الجازم في الموضوع من الحكومة العثمانية في حدود 24 ساعة من تقديم هذه الوثيقة إلى الباب العالي، و في حالة عدم الرد تجد الحكومة الإيطالية نفسها مضطرة إلى اتخاذ الخطوات الرامية إلى تثبيت الاحتلال.

على سيادتكم (أن تضيف الخطاب الموجه إلى دي مارتينو): أن جواب الباب العالي داخل الأربع وعشرين ساعة المحددة يجب أن يصلنا عن طريق السفارة التركية بروما كذلك.

أنطونيو دي سان جوليانو
وزير الخارجية"

ولم ترد تركيا على مذكرة إيطاليا بالإيجاب، فأعلنت إيطاليا الحرب على تركيا، واستعدت للغزو الذي شرعت فيهِ في أوائل شهر أكتوبر عام 1911م، فاحتل أسطولها طبرق، ثم طرابلس والخمس ودرنة وبنغازي، وكانت أول معركة خاضتها القوات الإيطالية ضد الليبيين معركة جليانا

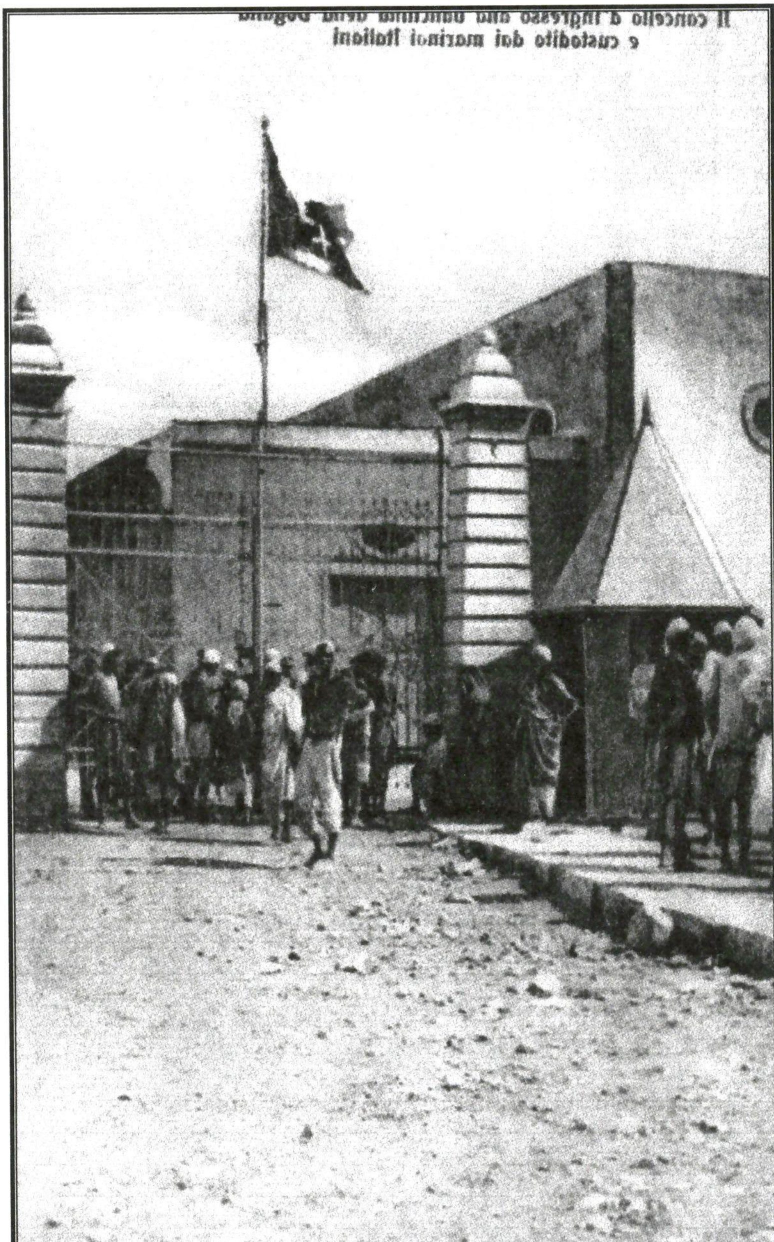
ببنغازي التي استمرت يوماً كاملاً شارك فيها أبنـــاء المدينـــة والــضواحي، وكبّدوُا الغزاة خسائر باهظة، وانتهت بتراجع المقاومين بعد أن طالتهم قنابل الأسطول، واحتلت القوات الإيطالية في مساء اليوم الثكنات العسكرية التركية بالبركة، ثم اتجهت القوات الإيطالية صوب بنغازي إلا أنها توقفت في سيدي حسين بالنظر للمقاومة الشديدة التي واجهتها من بنغازي، واضـــطر القائـــد الإيطالي أن يطلب من قائد الأسطول قصف المدينة لإرهاب السكان وإبعـــاد المقاومين، وقد انطلقت قنابل الأسطول تنهال على مدينة بنغـــازي الوديعـــة المسالمة، فأصابت العديد من مساكنها، وقتلت العديد مـــن أبنائهـــا وأبنـــاء الجاليات الأجنبية، حيثُ قُتل سبعة مالطيين في الكنسية الكاثوليكية، وســـبعة آخرين بمقر القنصل الإنجليزي ، وعندما أشتد الأمر بالمدينة أتجـــه رئـــيس بلديتها الحاج أحمد الجهاني إلى الكنسية الكاثوليكية، وطلب أن يخرج معـــه رئيس الرهبان وبعض الناس الآخرين، وأخذوا معهم علماً أبيض ومـــصباحاً كبيراً، واتجهوا إلى الشاطئ، ورفعوا العلم الذي رآه ضباط الأسطول، فـــأمر القائد بإيقاف القصف، وكانت ليلة مفجعة قضاها سكان بنغازي وتعرضـــوا فيها للخراب والموت بدون رحمة، وفي صباح يوم 19 أكتوبر دخلت القوات الإيطالية التي قضت الليل بسيدي حسين، واحتلت المدينة دون أن تجد فيهـــا أية مقاومة؛ لأن المقاومين اتجهوا إلى الضواحي ليواصلوا مقاومتهم.

وبدأت القوات الإيطالية في تحصين المدينة؛لاتقاء أي هجوم عليهـــا، وفي الساعة الثانية بعد الظهر قامت مجموعات من المجاهدين بمهاجمة القوة الإيطالية التي عسكرت بالصابري ، وقضت على مقاومتها، وأرسلت القيادة الإيطالية قوات كبيرة؛ لصد هجوم المجاهدين؛ وإنقاذ ما تبقى من جنـــودهم، وكان عدد الجرحى من الإيطاليين كبيراً مما اقتضى عدم نقلهم وعلاجهم في نفس المكان بإقامة خيامٍ لمعالجتهم، وقد تحولت هذه الخيام إلـــى مستـــشفى

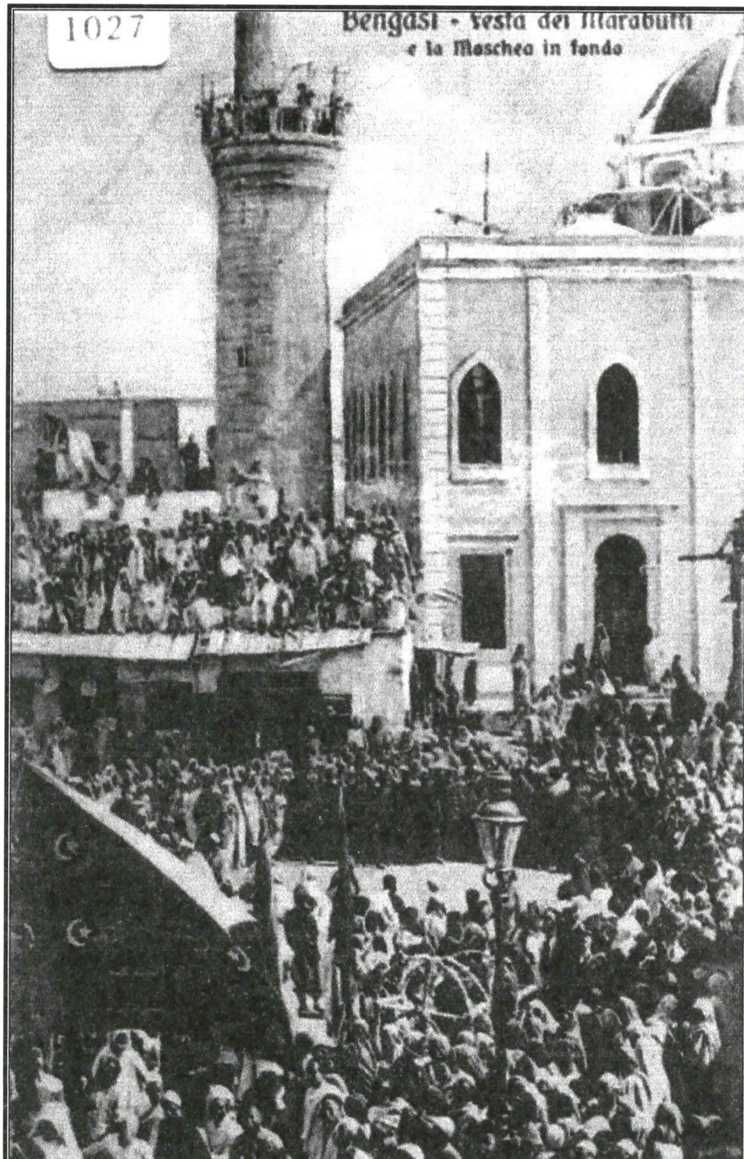
صغير بُني في مكانهِ المستشفى الكبير الموجود بالصابري إلى يومنا هـذا، والذي أُطلق عليه الآن أسم (مستشفى الجماهيرية).

وقُوبلت القوات الإيطالية في طبرق، ودرنـة، والخمـس، وطـرابلس، بمقاومةِ شديدة، وقد اضطرت القوات الإيطالية إلى الالتصاق بالـساحل، وقـد اشتعلت في 23 أكتوبر 1911م في طرابلس معركةُ (الهاني) التي شارك فيها الجنود الأتراك والمجاهدون الليبيون بالهجوم على خطوط الإيطاليين المحيطة بمدينة طرابلس في الهاني وشارع الشاطئ، ودمروها وقتلوا المئات من الجنود الإيطاليين، وقد ساهم السكان الموجودون خلف الخطوط الإيطاليـة بمهاجمـة مؤخرتهم، وتحويل المعركة إلى هزيمة شاملة للقوات الإيطالية التي خـسرت قُرابة الخمسمائة جندي، والتي عدلت خطوطها الأمامية بالتراجع إلى الـوراء، واستمرت الهجمات على القوات الإيطالية حتى يوم 25 أكتوبر، وكانت معركة الهاني كارثة فظيعة أصابت القوات الإيطالية وأفقدت قادتها الصواب، وعندما علمت روما بالهزيمة طلبت من القائد العام للقوات الإيطالية ترحيـل جميـع السكان الذين يُشتبه في أنهم شاركوا في المعركة إلى إيطاليا.

فنقل الآلاف من المواطنين على ظهر البواخر الإيطالية إلى السجون الكائنة بالجزر الواقعة شمال صقلية، والتي كانت معدة لـسجن المجـرمين الإيطاليين الخطرين، وقامت القوات الإيطالية لمدة ثلاثة أيام بقتل الليبيـين بدون سبب ولا داعٍ سوى أنهم ليبيون، و كانت مذابح فظيعة يندى لها جبين الإنسانية، وتواصلت المعارك في كل ليبيا ضد القوت الإيطالية التي كانت تحاول أن تتقدم نحو الداخل، وكان معسكر بنينا يُحاصر بنغـازي ويقـوم المقاتلون الليبيون بمهاجمة استحكامات المدينة في كل ليلة، وكانت القوات الليبية بقيادة أنور باشا تحاصر درنة وتُلحق بالقوات الإيطاليـة الخـسائر الكبيرة.



بنغازي 1911 م ـ مدخل الجمرك



بنغازي 1912 م



منظر بنغازي العربية في عام 1912 م



ثكنة البركة بعد قصفها بالقنابل الإيطالية - بنغازي 1912 م

معاهدة لوزان:

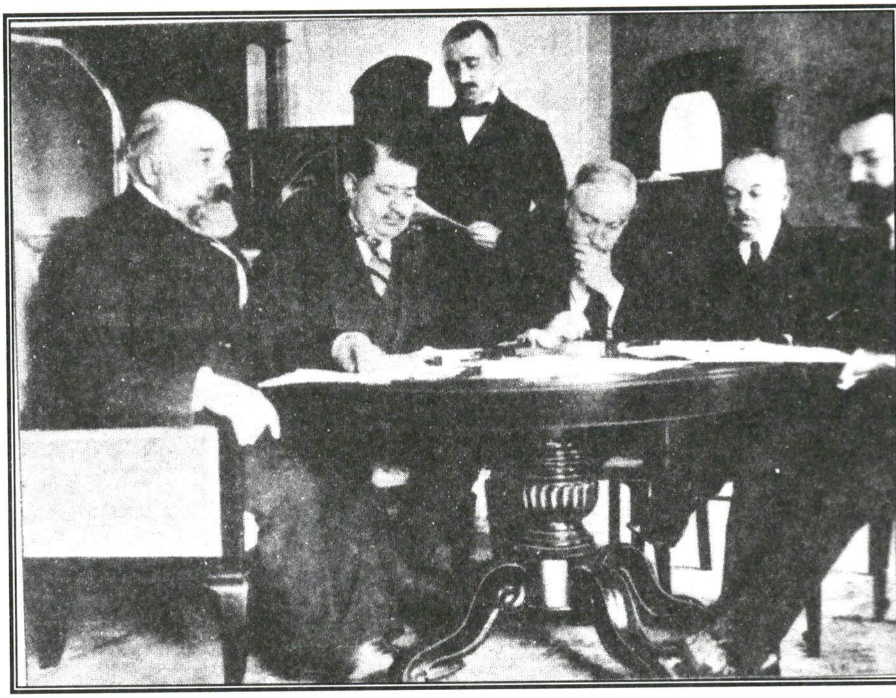
فوجئت بنغازي وكل ليبيا بنبأ توقيع معاهدة الصلح بين تركيا وإيطاليا، يوم 15 أكتوبر 1912م، ودُهش الليبيون لهذا النبأ الذي جاء في وقت كانت فيه القوات الإيطالية محاصرة في المدن الساحلية، وكانت المبادرة بيد المجاهدين، وزاد الناس حيرة غموض هذه المعاهدة والتناقض بين فرمان السلطان الذي يمنح ليبيا الاستقلال الذاتي، وبين المرسوم الإيطالي الذي يؤكد السيادة الإيطالية على البلاد، وفي الوقت الذي قابل فيه الإيطاليون المعاهدة بفرح وسرور، فقد قابلها الليبيون بسلبية وخيبة أمل شديدتين.

و قد أصدر الجنرال بريكولا المنشور التالي المكتوب باللغتين العربية والإيطالية، وقد أُلصق على الجدران بجميع شوارع المدينة وأماكنها العامة.

(منشور إلى أهالي بنغازي وملحقاتها

يكون معلوماً للعموم:

أنه قد انعقد الصلح فيما بين جلالة ملك إيطاليا وجلالة السلطان، فالحمد لله الذي أراد أن تعود الراحة عليكم وعلى عائلاتكم وعلى بيوتكم، منذ سنة مضت عند احتلالنا لسواحل هذه البلاد، بشرناكم بأن مجيئنا لهذه الديار يكون لكم ولأراضيكم منبعاً للإقبال والغناء، وفي ظرف هذه السنة قد شاهدتم التبديلات بالمدينة والتنظيمات والأحوال العمومية والتغيرات لمستقبل جزيل الخيرات للجميع، بموجب اهتمام وعناية الحكومة التي هي أم لرعاياها، نحن وعدناكم بالعدل والاحترام، وفعلاً احترمنا ديانتكم وعائلاتكم، وعاقبنا المخطئ المخالف للقانون، وعاملنا الصاحين والخاضعين بالخير والكرم، والتزمنا بإظهار بسالة جنودنا المنقادين بالظفر بقدرة الله تعالى، وظل الذين لم يقدموا على ما فوض لنا بإجراءات في هذه الأراضي واعترضوا على زحفنا من شاطئ البحر إلى الداخلية.



صورة للوفدين العثماني والإيطالي حال توقيعهما
لمعاهدة لوزان بتاريخ 18 أكتوبر 1912 م.



السيد أحمد الشريف السنوسي

وهكذا الحكومة العثمانية قد قررت إبطال العداوة لنا، واعترف جلالة سلطان تركيا بفرمان صادر منه سيصير إشعاره لكم في وقتهِ بأنه حيث لا يمكنه أن يمد لكم يد المساعدة القوية بفرض سلطتهِ على بلاد بنغازي التي الآن وإلى أقصى الأجيال تسلط عليها حكومة جلالة ملك إيطاليا الشريف المظفر حفظه الله وأبقاه دائماً بمنه تعالى رعاياه تسلطاً تاماً.

يا أهالي بنغازي وملحقاتها:

إن يوم عقد الصلح هو نهار عفو وسرور، ولهذا نبشركم بأن جلالة الملك المعظم لإظهار حسن التفاتهِ لكم، قد أمر بعفو تام لأهالي بنغازي وملحقاتها الذين اشتركوا في مقاومتنا أو قاموا بفعل قابل للعقاب بمدة الحرب، وبناء على ذلك لا يمكن محاكمة رجال من أي خلقة أو مقام كان أو بشخصهِ أو بمالهِ، أو بحقوقهِ لأجل الأفعال السياسية والعسكريةِ التي يكون فعلها أو لأفكار ضارة لنا بمدة الحرب.

فاعلموا إذاً وانشروا بكل ناحية كانت بالقرب أو البعد هذه البشرى حتى يمكن للجميع التقدم لنا بكل ثقة بالخدمة إذا كانوا شغالين وبالتجارة إذا كانوا تجاراً وللحرث إذا كانوا مزارعين.

وبركة الله تحل عليكم.

بنغازي في 19 أكتوبر 1912م موافق إلى 8 ذي القعدة 1330

قومندان جيش احتلال بنغازي وملحقاتها

الجنرال بريكولا

إن قراءة هذا المنشور وما حواه من عبارات جوفاء بلغة عربية مشوهة، تدل على مبلغ جهل وغباء المسئولين الإيطاليين الذين ظلوا بعد عام من الحرب، وبعد الهزائم التي لحقت بهم، وأعمال القتل، والشنق، والقمع

التي ارتكبوها، يظنون أن العرب في نهاية الأمر سوف يلقـون بأسـلحتهم، ويخضعون للغزاة، ويكفيهم شرفاً أن يكونوا من رعايا ملك إيطاليا العظـيم، والغريب أن هذه العقلية الجامدة وعجـزهم عـن إدراك مطالـب الليبيـين ومشاعرهم قد رافقتهم طول مدة بقائهم في ليبيا ، وكانت سـبباً فـي سـوء تصرفاتهم وفشلهم.

وشعر الناس بعد قراءة هذا المنشور أن الآمال المعقودة على فرمـان السلطان قد تبددت، وأن إيطاليا جاءت لتستعمر البلاد لا لتمنحها الاسـتقلال، ومر أسبوعان على توقيع المعاهدة دون أن يُلقى مجاهد واحد بـسلاحهِ ، أو أن يأتي جندي تركي واحد طالباً الترحيل وفقاً لبنود المعاهدة، وفي محاولـة من الجنرال إميليو لإقناع الناس بأن معاهدة الصلح شرع في تطبيقهـا، وأن السلام سيعم البلاد، أصدر المنشور التالي المؤرخ في 30 أكتوبر 1912م:

"بناءً للصلح الذي أراد الله أن يحصل بين حكومة جلالة ملك إيطاليـا حفظه الله وحكومة جلالة سلطان تركيا، وبانتظـار جـلاء الأتـراك عـن الأراضي الليبية التي احتليناها حسبما تأتيهم الأوامر بذلك من حكومتهم.

قد أمرنا بتصريح المرور من وإلى البلاد فلهذا يمكن للجميع بكل حرية المواصلة لأهالي بنغازي مع الداخلية وللقبائل مع البلدة، يكون معلوماً أنه لا يمكن لأحد الدخول للبلدة مسلحاً ما عدا المشائخ المعروفين فـي الحكومـة وغير ممكن لأحد أيضاً إدخال سلاح أو ذخيرة حربية للمدينة ذاتها.

الدخول والخروج من وإلى المدينة يكون من أبوابها من وقت الفجـر لغاية غروب الشمس.

بنغازي في 30 أكتوبر 1912م.

جنرال إميليو

قومندان جيش احتلال بنغازي وملحقاتها."

ففي اليومين الأولين من فتح أبواب المدينة غادرها العديد من النساء والأطفال الذين حجزتهم الحرب داخل المدينة، والعديد من الناس الذين خرجوا لتفقد حيواناتهم وزراعتهم وأقاربهم، وقد جاد الله بالأمطار الغزيرة التي دفعت الكثير من الناس إلى الخروج لحرث أراضيهم، أما الذين جاءوا إلى المدينة فكانوا قلة من سكان سيدي حسين والبركة الذين جاءوا لشراء حاجياتهم من السوق وزيارة الأصدقاء والأقارب، وكان فتح أبواب المدينة فرصة للعديد من الشبان الذين كانوا يتلهفون إلى الانضمام لصفوف المجاهدين في دور بنينا.

ومرت الأيام بطيئة دون أن تصدر من معسكرات المجاهدين أية إشارة تدل على أن الحرب قد توقفت، وأن الجنود الأتراك سوف ينسحبون من البلاد، وزاد هذا السكوت من قلق الإيطاليين، وزاد من حذرهم وتخوفهم بعد الفرحة الأولى، وخاصة بعد أن بعثوا رسولاً إلى القيادة في دور بنينا ليعلموا نوايا الأتراك في الرحيل، ولم يعد هذا الرسول.

معركة بنينا :

ظلت بنينا قلعة وطنية صامدة تتحدى الغزاة وتقض مضاجعهم رغم استسلام تركيا، وعاد دوي المدافع وطلقات الرصاص تسمع في المدينة وتجددت الآمال في نصر قريب.

وقد كون معسكر بنينا شوكة في جانب القوات الإيطالية المرابطة في بنغازي، وكان البطل عمر المختار قد انضم إلى المقاتلين في بنينا، وشارك في عمليات رد القوات الإيطالية التي كانت تُحاول التغلغل إلى الداخل، وكان يُشارك الدوريات التي كانت تقوم بالهجوم على الاستحكامات الإيطالية في بنغازي، وكانت شجاعة عمر المختار وإقدامهِ وقوة عزيمتهِ قد لفتت إليه

الأنظار، وجعلته محط تقدير وإعجاب قائد المعسكر (عزيــز المــصري)، وبقية المجاهدين.

وقد شعر سكان بنغازي باستعدادات غير عادية تقــوم بهـا القــوات الإيطالية، ووصول الآلاف من الجنود الإيطــاليين والإرتــريين والمعــدات والأسلحة الكثيرة، حتى بلغ عدد الجنود في بنغازي قُرابة الخمسة وعــشرين ألفاً، أي ما يوازي عدد سكان مدينة بنغازي.

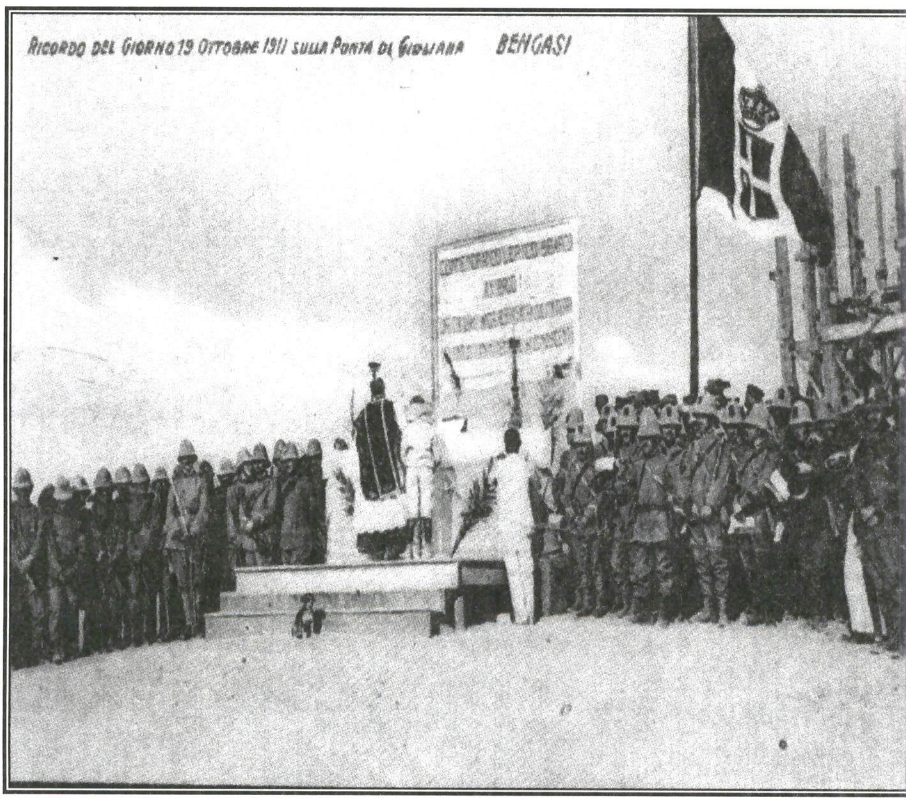
وفي يوم 11 أبريل 1913م أوقفت السلطات الإيطالية العمل في الميناء وغيرها من الأماكن التي يعمل بها العرب، وأمرت بإغلاق المتاجر وألزمت جميع العرب بالبقاء في بيوتهم إلى حين صدور أمر جديد.

وتحركت الحملة بجنودها ومدافعها الثقيلة، وفرسانها، وآلياتها في اتجاه بنينا التي قُدر عدد المدافعين عنها بثلاثة آلاف رجل مسلحين بالبنادق ولديهم أربعة أو خمسة مدافع قديمة، ودارت معارك حامية في الخويبيــة، والجــخ الكبير، والجخ الصغير، وسواني عصمان، وعلى طول الطريق المؤدية إلى بنينا، وقاتل المجاهدون قتال الأبطال، وحاولوا أكثر من مرة الالتفاف علــى جناحي العدو، إلا أن طلقات المدفعية الثقيلة كان لها الغلبــة علــى طلقــات البنادق، واقتحم الإيطاليون المعسكر بعد أن انسحب منه المجاهدون، ونهــب الجنود الإيطاليون والمرتزقة الإرتريون المتاجر، والدور، والحيوانات، كمــا استولت القوات الإيطالية على ما تركه المجاهدون من أسلحة وذخيرة ومؤن بعد أن تعذر عليهم نقلها، وأضرم الإرتريون النار فــي القريــة والمعــسكر ودمروهما تدميراً كاملاً.

واستطاع الإيطاليون بعد هذه المعركة أن يفكوا الحصار عن بنغازي، وإن استمرت الأبواب تغلق كالسابق والمعارك تدور حول المدينة.

استطاعت القوات الإيطالية توسيع رقعة احتلالها، بعد معركة بنينــا،

واستولت على المناطق الساحلية المحيطة ببنغازي، وتوغلت في الجبل حتى المرج، وأدى ذلك إلى تخفيف إجراءات الخروج والـدخول إلـى بنغـازي والسماح للناس باستئناف حياتهم العادية بزرع أراضيهم، ورعاية مواشـيهم، وتبادل السلع والمنافع مع سكان الدواخل، وبدأ انتعاش بنغازي الاقتـصادي بورود المحاصيل الزراعية والحيوانات من الدواخل إلى الأسواق المحليـة، وتحويل قيمتها إلى مشتريات يعود بها الموردون إلى مناطقهم، وكانت ميناء بنغازي تعج بالسفن التي كانت تأتي بلوازم الجيش واحتياجاتـهِ، وبـالمواد الغذائية، والملابس، وحاجيات السكان، علماً أن الدقيق والأقمشة وسلعاً أخرى كثيرة كانت تستورد من إيطاليا قبل الاحتلال، وتعود الناس على استعمالها.



بنغازي يوم الاحتلال الإيطالي 19 أكتوبر 1911 م



ميدان البلدية- بنغازي 1912 م.

وبعد سقوط بنينا بيد الإيطاليين، انضم عمر المختار إلى مركز قيادة السيد أحمد الشريف الذي كان يقدره ويحترمهُ، وقد حدث أن عزيز المصري بعد سقوط بنينا أخذ جنوده واتجه إلى مصر، إلا أنه عندما وصل البطنان أوقفته القبائل، وطلبت منه ترك الأسلحة للمجاهدين، ورفض عزيز المصري ترك السلاح، واصطدم الطرفان، وجرت بينهم صدامات سقط خلالها العديد من الرجال من الطرفين، وتوتر الوضع وأصبح يُنذِرُ بحدوثِ مأساة كبيرة، وعندما علم السيد أحمد بالحادث أمر عمر المختار بالسفر بسرعة وتسوية الموضوع ما بين الطرفين، وقطع عمر المختار المسافة في أقل وقت ممكن، ووصل البطنان ليجد الطرفين قد استعدا للقتال، فتدخل بينهما ، وبفضل نفوذهِ الكبير وذكائهِ استطاع أن يحل المشكل، وطلب من عزيز المصري مواصلة سفرهِ إلى مصر، وأرضى الليبيين في نفس الوقت.

وقد تواصلت المعارك بين القوات الإيطالية الغازية والمقاومة الليبيــة، وسجل الليبيون في هذه المعارك انتصارات كبيرة فــي طــرابلس، وزوارة، والمرقب، والهاني، والقرضابية، وفزان، وبنينا، وسوق الجمعة، والسلاوي، وغيرها من المواقع التي اندحر فيها الإيطاليون، وأُصيبوا بهزائم نكراء، وقد شارك عمر المختار في معظم هذه المعارك، وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكــان يقومُ بتشجيع القبائل على القتال، ويقود المجاهدين من جبهةٍ إلى أخرى، وفي عام 1915م دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب بريطانيا وفرنسا، وسحبت جميع قواتها إلى الساحل، والتزمت خطة الدفاع، وتحصنت في مــدن طــرابلس، والخمس، وبنغازي ، ودرنة.

استمرار المعارك بين الطرفين :

حاول الإيطاليون بعد احتلالهم للمــرج أن يتقــدموا نحــو الجبــل الأخضر ، إلا أن قوات المجاهدين كانت لهم بالمرصاد، تقاومهم وتُوقف تقدمهم، وقد نزلت قوات إيطالية في سوسة، ومنها اتجهت إلى شــحات، مُحاولة الوصول إلى الجبل، إلا أن معارك كثيــرة دارت بينهــا وبــين المجاهدين الذين أوقفوا زحفها وكبدوها الخسائر، وكان السيد أحمد قد أقام دوراً في امساعد بقرب الحدود المصرية، وتجمــع حولــه المجاهــدون والمشائخ والأعيان، وكان يُسيرُ المعارك التي كانت تدور ضد الإيطاليين في الجبل الأخضر وفي جنوب بنغازي.

وظلت الحالة هادئة في طرابلس وبرقة حتى نهاية الحــرب العالميــة عندما واجهت إيطاليا مشاكل داخلية كثيرة كانت تحول دونها ودون مواصلة الحرب في ليبيا، وفي عام 1919م، أصدرت إيطاليا القانون الأساســي التــي أعطيت بموجبه لكل من طرابلس وبرقــة اســتقلالاً ذاتيــاً، وشُــرع فــي المفاوضات بين الطرفين لتحقيق هذا الاستقلال، ففي برقــة تــولى إدريــس

السنوسي أمر التفاوض مع الإيطاليين على تحقيق القانون الأساسي، وإنشاء مجلس نواب منتخب، وقد أوُقف القتال بين الطرفين، وفُتحت الأسواق أمام سكان الدواخل، وفتحت حدود مصر، وبذلك زال كرب المجاعة، والأمراض، والجفاف، ووباء الطاعون الذي خيم على البلاد وأضر بها وأذاقها الويلات.

وقد أُجريت الانتخابات في برقة، واختارت القبائل والمدن ممثليها في المجلس، ودار في بنغازي نشاطٌ سياسي كبير بهذه المناسبة.



قائد دور طبرق أدهم بك وقد جلس إلى يساره الأمير شكيب أرسلان



أنور باشا وكمال أتاتورك يستعرضان المجاهدين - درنة 1912 م.



وفد الهلال الأحمر المصري إلى المجاهدين سنة 1912 م.

الفصل الثاني

القانون الأساسي واستئناف القتـال

القانون الأساسي والمفاوضات الليبية الإيطالية:

في عام 1915م دخلت إيطاليا الحرب العالمية إلى جانب بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا والنمسا وتركيا، وجمدت قتالها في ليبيا، واقتصر احتلالها على مدن طرابلس والخمس وبنغازي ودرنة، وتوقف القتال تقريباً إلا من بعض المعارك الصغيرة التي كانت تحدثُ ما بين الحين والآخر.

وقد تم التوقيع على اتفاقية عكرمة في عام 1917م، وفكان أن ساهمت هذه الاتفاقية في هدوء الحالة، واستطاع الإيطاليون أن ينعموا بعامين من الهدوء التام وقت انشغالهم بالحرب في الجبهة الأوروبية، فقد أدت هذه الاتفاقية لإيطاليا خدمة عظيمة وإن ظلت تتنكر لها ولا تعترف بها، وفتح الإيطاليون أسواق المدن الساحلية لسكان الدواخل الذين توافدوا على هذه الأسواق لشراء ما يحتاجونهُ، ولبيع نتاجهم الزراعي والحيواني، وظلت الأوضاع هادئة، وظلت المفاوضات قائمة بين الطرفين.

أصدرت إيطاليا في عام 1919م القانون الأساسي الطرابلسي كما ذكرنا، وأتبعته بقانون آخر مماثل بالنسبة لبرقة، وتضمن هذا القانون جميع المبادئ التي تكفل حرية العبادة، والدين والملكية الخاصة، وحرية النشر والاجتماع في حدود القانون، وحق التعليم، وتأسيس المدارس العليا، واحترام لغة البلاد، وحق مباشرة المهن العالية في إيطاليا بشرط الحصول على المؤهلات اللازمة وإعفاء الوطنين من الخدمة العسكرية الإجبارية، وإنما يجوز تشكيل قوة عسكرية محلية عن طريق التطوع، كما أسندت إلى المحاكم الشرعية الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية وحقوق العائلة والميراث والمناسك الدينية، وأكد القانون المساواة بين العرب والإيطاليين، وحق الليبيين في اكتساب الجنسية الإيطالية وفقاً للشروط المطلوبة، وكانت نقطة

الارتكاز الأساسية في القانون قيام مجلس نواب يمثل البدو والحضر، ويشترك فيه آخرون (إيطاليون) بموجب وظائفهم أو يعينهم الوالي على شرط أن لا يتجاوز عددهم سدس أعضاء المجلس.

وأعطى القانون الأساسي الحق للإيطاليين أن يرشحوا أنفسهم للمجلس إذا زادت إقامتهم في البلاد عن خمس سنوات، وحق إعطاء الصوت إذا كانت إقامتهم لا تقل عن ثلاث سنوات، وأمن القانون لليهود مقعداً واحداً.

وأثارت الحملة الانتخابية لاختيار أعضاء مجلس النواب التنافس بين المرشحين وبين التكتلات القبلية، والعائلية، وكثر الخطباء الذين كانوا يتحدثون إلى الناس عن الانتخابات والأوضاع السياسية عامة في الأماكن العامة، وفي المساجد، واحتدم النقاش في المرابيع والأسواق حول المرحلة السياسية التي كانت تمر بها البلاد.

وبدا للناس في هذه الحقبة أن شبح الحرب ولّى، وأن المآسي التي مرت بها البلاد أصبحت من الذكريات، وأخذ الأمل يعظم في أن عهداً من الاستقرار والحرية بدأ يسود، ويمهد لحدوث نهضة سياسية وثقافية واجتماعية تعوض البلاد عما مر بها من مآسٍ وآلام في العشر سنوات الفارطة.

وجرت الانتخابات، واختار المواطنون نوابهم في المجلس، وترأس السيد (صفي الدين السنوسي) المجلس، وتولى الوالي رئاسة الحكومة إلا أن بعض المجاهدين وغيرهم كانوا غير راضين لا عن الوضع، ولا عن العلاقات الجديدة مع إيطاليا، بل كانوا غير راضين عن سيادة إيطاليا على ليبيا، وأخذ الإيطاليون يُلحون على الأمير بالإسراع في نزع السلاح من السكان وبسط سيادتهم على البلاد، إلا أن الأمير كان يُماطلهم ويدعوهم إلى التريث، ومن هنا نشأت اتفاقية الرجمة التي نصت على قيام معسكرات مشتركة بين الجنود العرب والجنود الإيطاليين.

واجتمع في أجدابيا ما يقارب مائة شيخ من مشائخ القبائل، ومن الأعيان، ومن بعض الحضر، وكان من المشاركين فيه عمر المختار، وفي هذا الاجتماع ناقش الحاضرون الوضع السياسي في البلاد، والعلاقات الليبية الإيطالية، ومطالب الإيطاليين الملحة بنزع السلاح، وقد قرر المجتمعون بعد نقاش طويل أن الليبيين يسمحون للإيطاليين بالبقاء على الساحل، وأن تقتصر أعمالهم على التجارة فقط، ووقع في طرابلس اجتماع مماثل اتخُذت فيه نفس القرارات التي أرسُلت منها صورة إلى الحكومة الإيطالية، وكانت رسالة صريحة إلى الحكومة الإيطالية حول موقف الليبيين من الاتفاقيات المبرمة، وشعر الإيطاليون أنه لا فائدة من الاتفاقيات ما دامت هذه وجهة نظر الليبيين.

وفي هذه الأثناء توفي الوالي (جاكو دي مارتينو)، مهندس الوضع القائم، والذي كان يُحاول دائماً المحافظة على العلاقات بين الطرفين، وعُين بدله حاكم مدني ظل بضعة أشهر، ثم سحبته روما، وأرسلت بدله جنرالاً عسكرياً، وزوّدته بتعليمات مغايرة لكل ما تم من اتفاقياتٍ، ومن أوضاع جديدة.

وكان الفاشستيون في عام 1922م قد استولوا على الحكم في إيطاليا، ورفضوا فكرة منح الاستقلال الذاتي لليبيين، واضطربت الأوضاع في برقة وفي طرابلس في تلك الفترة، وساءت العلاقات بين الطرفين، وكان الإيطاليون قد استأنفوا القتال باحتلالهم لمصراته عام 1922م، وأعلن والي برقة الجديد الجنرال (بونجفاني) إلغاء جميع الاتفاقيات التي أُبرمت مع السنوسية، وإلغاء جميع الامتيازات التي منحت بموجب هذه الاتفاقيات، ولم يضع الجنرال بونجوفاني بديلاً لهذه الاتفاقيات التي أُلغيت إلا أن المفهوم منه هو العودة بالبلاد إلى أوضاعها القانونية في عام 1911م.

وفي هذه الأثناء حلّ بأجدابيا وفدٌ طرابلسي مؤلفٌ من زعماء البلاد برئاسة بشير السعداوي، وكان الوفد يحمل معه بيعةِ أهل طرابلس للأمير

إدريس؛ ليكون أميراً على طرابلس وبرقة، وكان الإيطاليون قد رأوا في هذا الحدث خروج إدريس عن جميع الاتفاقيات التي أبرمها معهم، فقرروا قطع العلاقات بينهم وبينه نهائياً.

وعلى إثر ذلك قام الجنرال بونجفاني بالقضاء على الهدوء والسلام السائدين في برقة، وذلك بعد أن احتل المراكز العسكرية المشتركة، وقتل الجنود الليبيين أو أسرهم، وقد سادت البلاد حالة من الاضطراب والترقب، وخاصة بعد أن عُلم أن السيد إدريس قد غادر إلى مصر، واغتر الجنرال بونجفاني بقوتهِ، وظن أن البلاد قد خضعت لإيطاليا، فقرر احتلال اجدابيا، حيثُ دارت معارك حامية مع المواطنين، ودفعه غروره إلى إرسال قواتِ لاحتلال البريقة؛ ليسيطر على ساحل سرت الشرقي، وقامت كتيبة ارترية من القطيفية إلى البريقة،



أحد أدوار المجاهدين

فاحتلتها، وأرسل بونجفاني إلى القوات التي احتلت البريقة قوات آلية وسيارات مدرعة، ومعها عدد من الجنود والضباط الإيطاليين، وعندما وصلت هذه القوة إلى (بئر بلال) أحاط بها المجاهدون بقيادة (صالح لطيوش وقجة عبدالله)، ودمروها وقتلوا قائدها والضباط والجنود الذين معهم، ولم تنج منهم سوى بضعة سيارات فرت إلى البريقة، وبلغت الهزيمة القيادة الإيطالية؛ فأمرت بعودة الكتيبة الارترية من البريقة إلى القطيفية، إلا أنه بمجرد أن ابتعدت الكتيبة عن البريقة أحاط بها المجاهدون ودمروها تدميراً كاملاً، وكانت حصيلة خسائر إيطاليا في المعركتين 12 ضابطاً إيطالياً، و420 جندياً إيطالياً وإرترياً، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة التي غنمها المجاهدون، وكانت هزيمة نكراء افتتح بها الجنرال بونجفاني عمليات الحكومة الفاشستية الجديدة، واهتزت روما وغضبت لحدوث هذه الكارثة التي جاءت بعد إلغاء الاتفاقيات مع الليبيين، وكان رد فعل الجنرال بونجفاني أن أمر الطيران الإيطالي بالتحليق يومياً ولمدة ثلاثة أشهر فوق المواقع الممتدة من مرسى البريقة إلى القطيفية، وقذف النواجع بالقنابل، وقتل الحيوانات، وحرق المزروعات، وقد جاء في سلسلة كتب (إيطاليا في أفريقيا) التي أصدرتها وزارة الخارجية الإيطالية بعد الحرب ما يلي: (لقد كان وقع هزيمة بئر بلال وبوقرادة مؤلماً للغاية، فقد أبيدت تقريباً جميع الوحدات الإيطالية بعد معارك عنيفة)، وقد أخفوا أنباء هذه الهزيمة عن الرأي العام والصحافة الإيطالية كعادتهم.

وفاجأ الجنرال بونجوفاني الجميع بهجوم قواته على المراكز العسكرية المختلطة، وقتل وأسر من فيها من الليبيين، ووضعها تحت السيطرة الإيطالية.

استئناف الحرب :

كانت هجمة الحقد والانتقام الإيطالية قاسية وفي منتهى التجاوز، فقد

قامت مجموعات من الشرطة العسكرية والشرطة المدنية المدججة بالسلاح بمداهمة منازل أعيان بنغازي ورجالها البارزين، وكل من كان له صلة بالتسوية السياسية الفاشلة التي أرادها الإيطاليون، ثم تنكروا لها ودمروها، وسيق في ظلام الليل كرام القوم إلى السجن كالمجرمين، وكانوا قبل أشهر قليلة محل احترام وتقدير من نفس السلطات التي أمرت باعتقالهم.

وضمت المجموعة المعتقلة مشائخ القبائل، وأعيان المدينة، والنواب السابقين، وكبار التجار، ورجال الأعمال، ورجال العلم، وشخصيات أخرى لها مكانتها في المجتمع، ونقلوا على ظهر باخرة حربية إلى جزيرة أوستيكا الواقعة شمال صقلية، وكانت هذه الجزيرة والجزر الأخرى التي أعتقل فيها الليبيون بداية من عام 1912م معدة من قبل لسجن كبار المجرمين، وقطاع الطرق، وعصابات المافيا الذين عاثوا فساداً في جنوب إيطاليا بعد وحدتها، وقد ضاقت بهم سجون شبه الجزيرة آنذاك.

ولم تقتصر عملية الاعتقال والإبعاد على بنغازي وحدها، فقد طالت مدينة درنة، ومشائخ القبائل الخاضعين للسيطرة الإيطالية في تلك الفترة.

وقد أبدى الإيطاليون ضيقهم من مدينة بنغازي بصورة خاصة، فاتهموا أهلها بالتمرد، وكانوا يدركون جيداً الدور الذي كانت تلعبه هذه المدينة في أحداث البلاد العسكرية، والسياسية، ومساهمة أبنائها في قتالهم منذ بداية الغزو، وتعاطفهم الكامل مع المجاهدين، وتقديم المساعدة والعون لهم بمختلف الوسائل، وقد ذكر غرازياني بأن: "أعيان بنغازي يؤيدون الثوار، وكانوا يمدونهم بالمساعدات في الخفاء، في حين كانوا يضللوننا بالتظاهر أنهم يباركون خطواتنا، وكان محمد الحداد، وهو أحد أعيان بنغازي، ومن تجارها، يتعاون مع الثوار، وعن طريقه تتم حركة إمدادهم بالمؤن والأسلحة، وكان يستضيف في داره الثوار، ويقدم لهم ما يلزمهم"[1].

---

(1) رودولفو غرازياني ، برقة الهادئة ، ص147 – 153.

الفصل الثالث

عمر المختار

نشأته وحياته



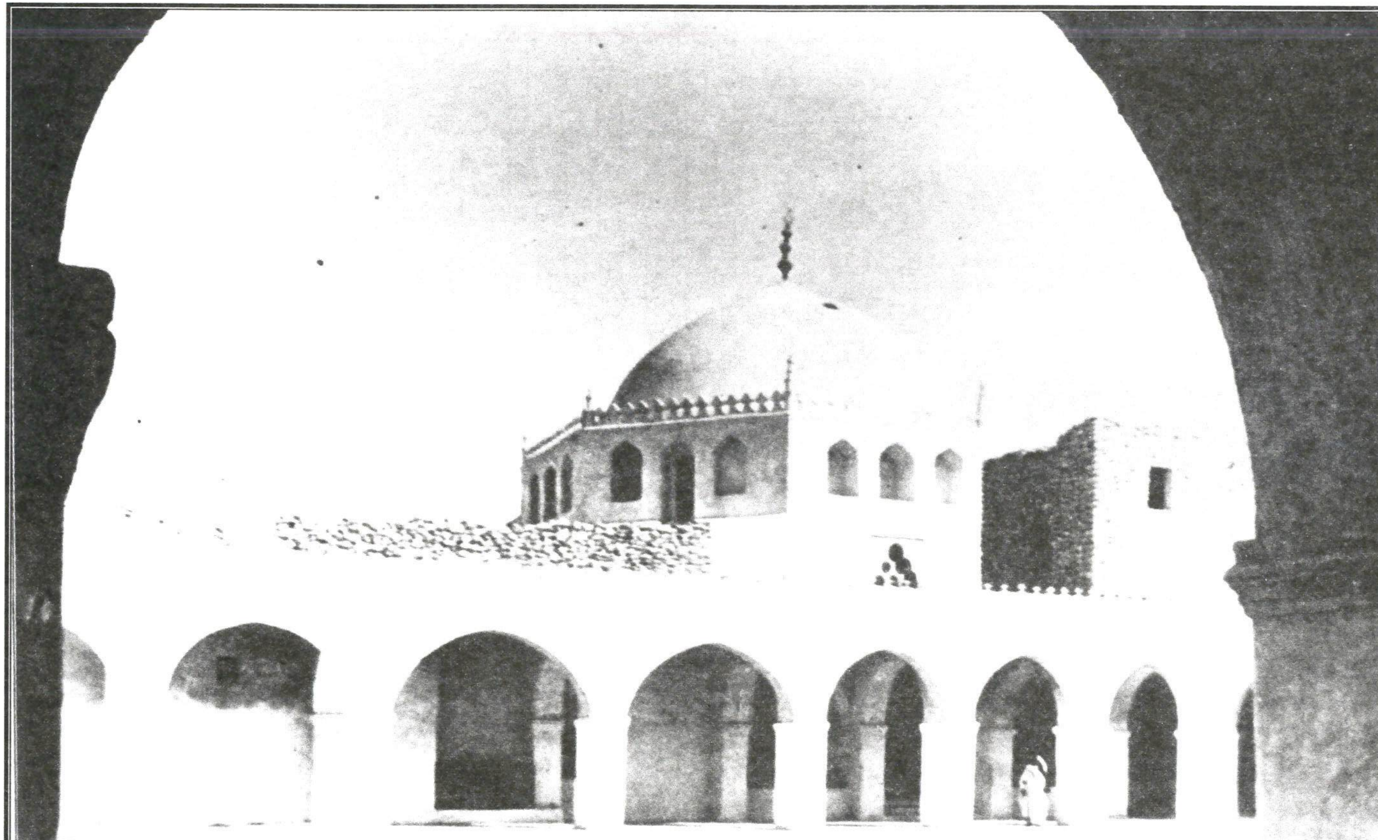
البطل الشهيد عمر المختار

نشأته :

ولد عمر المختار عام 1862م، بالبطنان حيث كانت تقيم قبيلته قبيلة المنفه، وهو ابن المختار بن فرحات من عائلة غيث، وفرحات قبيلة بريدان إحدى بطون قبيلة المنفه، واسم والدته عائشة بنت محارب، وكان والده من رجال قبيلة المنفه المرموقين، وكانت حالته المادية جيدة بدليل أنه سافر لأداء فريضة الحج لبيت الله، وكان أداءُ هذه الفريضة لا يقوم به في ذلك الوقت إلا الموسورون مادياً، وقد سافر المختار وزوجته في عام 1878م إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، ولكن المنية صادفته وهو في الطريق فقضى نحبهُ، ولم يعد إلى أهلهِ، وقبل وفاتهِ أوصى المختار رفيقه محمد الغرياني بأن يبلغ أخاه حسين الغرياني بأن المختار قد عهد إليه بتربية ولديه ورعاية شؤونهما، وقد قبل الغرياني الذي كان يشغل شيخ زاوية جنزور القيام بهذه المهمة.

كان عمر المختار وقت ما توفي والده يبلغ من العمر حوالي (16) ستة عشر عاماً، فتهيّأ له في حياة أبيه أن ينشأ في كنف القبيلة، ويتطبّع بطابعها، ويتربى على عاداتها وتقاليدها، وكان تلقيّ القرآن، وتعلم مبادئ العلوم يومئذ مهمة تُسند إلى فقيه القبيلة، فعلى يد فقيه قبيلته قرأ القرآن الكريم، وتعلم شيئاً من علوم العربية والدين.

كما تعلم وهو في هذه السنّ الفروسية، وأساليب الصّيد، وإصابة الأهداف، والقيام بالتكاليف التي يقوم بها الرجال، فأشرف على تصريف مصالح عائلتهِ، التي آلت إليه رعايتها بعد وفاة والدهِ، لكن الشيخ حسين الغرياني شيخ زاوية جنزور، الذي أسند إليه المختار مهمة الإشراف على تربية ولديه، استقدم عمر المختار وأخاه محمداً إلى زاوية جنزور ليكونا تحت رعايته، ويشرف على تعليمهم ، وفي معهد الجغبوب هذا حفظ القرآن على يد الشيخ الزروالي المغربي الجواني، وقرأ علوم القرآن وعلوم اللسان على يد الشيخ فالح بن محمد عبدالله الظاهري، ولا نشك في أنه درس علوماً أخرى على أيدي أساتذة آخرين لم نعلم بهم.



معهد الجغبوب الذي درس به عمر المختار

وهكذا تكونت شخصية عمر المختار بل ازدادت اكتمالاً خلال ثمــاني سنوات قضاها طالباً يتلقى العلوم والمعارف، فقد حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية، وأجادها وتعلم الفقهِ، والشريعة، والعلوم الدينية، وكان احتكاكه بالمدرسين، والطلبة، وبفئات من الناس الآخرين، قد أبرز شخصيته وذكـــاءه وقوة شكيمتهِ، وجرأتهِ ومعرفتهِ بالقبائل وأنسابها، كما استبانت في هذه الفترة التي كان فيها طالباً في الجغبوب صفات القيادة في شخــصية الــسيد عمــر المختار، وقدرته على التأثير في الوسط الذي يعيش فيــهِ، وظهــرت عليــه علامات القيادة، والقوة، والشدة، وكان عندما يتكلم كأنه آمر يُلقي بـــأوامره، ولكنه إلى جانب ذلك كان متواضعاً يكره التعالي، قانعاً، لا يحب جمع المال، تقياً ورعاً، يسعى في دأب إلى توسيع دائرة معارفهِ، فأحبه الجميع وأحاطوه بالتقدير والاحترام، بل إن ما عُرِف عن أخلاق المختــار، وذكائــه وقــوة شخصيته، وبراعته في حل المشاكل، قد تجاوز الجغبــوب، ووصــل إلـــى الكفرة، وذلك ما دعا مستشاري السّيد المهدي إلى أن يــشيروا عليــه بــأن يحضر هذا الشاب للعمل معهُ؛ لما يتحلى به من صفات جليلة.

و بهذا وجد عمر المختار نفسه بين حاشية السيد المهــدي (شــيخ الطريقة السنوسية)، وفي وسط العديد من الرجال والمــشائخ والزعمــاء والعلماء، الذين كانوا يلوذون بالسيد المهدي، وتـــأثرت شخــصية عمــر المختار تأثراً كبيراً بوجودهِ في هذا المحيط العالي؛ فتوســعت مداركـــهُ، وازداد تعطشاً للعلم والمعرفة والدفاع عن الرسالة المحمديــة ونــشرها، وكان السيد المهدي يرسله في مهماتٍ كثيرة، فيؤديها على خيــر وجــه، ويعود إلى الكفرة، وقد أُعجب به السيد المهدي، وقال (لو عندنا عــشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم) [1].

---

(1) الطاهر الزاوي، عمر المختار، ص 36 .

عمر المختار شيخ زاوية القصور:

كانت زاوية القصور تقع بوسط قبيلة العبيد، وهم معروفـون بقـوتهم وتمرّدهم، ومواجهة الحكومة التركية بالرصاص، عندما كانت تـأتي لأخـذ الضرائب، وكذلك كان أفرادها شديدي المراس، وأغرتهم التربية الاستقلالية، ودواعي الشباب بما تأبه له العقول الراجحة، وكأنهم لا يفكرون في عواقـب الأمور، وكان وضع هذه الزاوية يُقلقُ السيد المهدي، وأخيراً كلـف عمـر المختار بتولي مشيخة الزاوية في عام 1895م، وإعادة قبيلـة العبيـد إلـى طبيعتها.

وكانت الحكومة التركية لا تعرف القبائل ، ولا تسأل عنها، ولا تتحرى أخبارها، إلا وقت جبي الضرائب، فكانت حينئذ تُرسل قوة مـسلحة ومعهـا بعض الموظفين لجبي الضرائب من القبائل، وكانت تدور بينها وبين مشائخ القبائل مفاوضات ومناقشات طويلة تنتهي بتحديد مبلغ معين يُدفع للدولة، وفي بعض الأحيان كانت بعض القبائل ترفض الدفع، وتدخل في صـراع مـسلح ينتهي بالمصالحة ودفع الضريبة المستحقة.

فلما تولى عمر المختار شيخ زاوية القصور كانت الحكومـة التركيـة تتصل به وهو يتوسط بين الطرفين ويحل المشكل سلمياً.

وشيئاً فشيئاً فرض نفسه على مشائخ القبيلة، ثم تم التفاهم بينهم علـى التعاون والعمل من أجل مصلحة القبيلة والوطن، وأدخـل عمـر المختـار تعديلات كثيرة على الزاوية، ووسّع دائرة التعليم، وأخذ يشجع الناس علـى إرسال أبنائهم للتعلّم بالزاوية؛ فكثر عددهم، وازداد إقبالهم على ذلك، وأعـد لهم برامج تعليمية قاعدتها القرآن الكريم، واللغة العربية، ومبـادئ الفقـه، والتشريع الإسلامي، والزراعة، والحرف اليدوية، وكان الغـزو الإيطـالي المرتقب إلى ليبيا لا تتوقف صورته عن التشكل في ذهن عمر المختار، الذي

كان يرى ضرورة الإعداد له منذُ الآن، وكان في اتصالاته بمشائخ وأفـــراد قبيلة العبيد يحذرهم من اقتراب وصول الغزو الإيطالي، وأنه يجب الاستعداد له نفسياً وعملياً منذُ الآن، ولذلك أخذ يعلم طلبة الزاويـــة ركـــوب الخيـــل، واستعمال السلاح، والفنون الحربية.

وفضلاً عن ذلك كانت الزاوية دار قضاء، يلجأ إليهـــا المتخاصـــمون، فيتولى عمر مهمة الفصل بينهم، ويغريهم باللجوء إلى القضاء والاحتكام إلى نصوص الشرع الشريف، بدلاً من الاحتكام إلى أعرافهم المخالفة لأحكامـــه وصريح نصوصه، كما كانت دار ضيافة، تستقبل الغرباء والمحتاجين في كلّ وقت، وتقدّم إليهم ما هم في حاجة إليه من زاد، وشراب وأمان، بـــل كانـــت الزاوية منتدى يسع صغار السّنّ فهم يمارسون فيها أنشطة الحياة المختلفة إلى جانب العلوم والمعارف التي هي أهم ما يقدم هذا المنتدى، بّل إنها تسع كبار السن، فكثيراً ما كان عمر المختار يعقد اجتماعات الصلح والتـــدبير فيهـــا، ويجتمع بمشائخ القبائل وعقلاء الناس لحّل المشاكل التي يواجهه أو تواجههم.

وبهذا نجح عمر المختار نجاحاً كبيراً في إدارة شؤون الزاوية، وأحبـــه أفراد قبيلة العبيد واحترموهُ، وتعاونوا معهُ، وأطاعوا أوامرهُ، وعنـــدما قـــرر السيد المهدي السفر إلى تشاد لنشر الدعوة الإسلامية، وإيقاف المـــد الفرنـــسي استدعى عمر المختار من زاوية القصور؛ ليكون معه في تنفيذ المرحلة الجديدة من مراحل الحركة السنوسية، وذلك بالتصدي لفرنسا، واعتراض توسعاتها في أفريقيا، وكانت قد شرعت تتوسع في أفريقيا غرباً باحتلال أواسط أفريقيا، ثم الاتجاه غرباً إلى أن اصطدمت بقوات البريطانيين في "فاشودا"، وكادت الحرب أن تندلع بين الطرفين لولا تغلب الحكمة، واتفاق الطرفين على وضع خط يمتد من شمال أفريقيا إلى جنوبها، بحيث يفصل المستعمرات الفرنسية الموجـــودة غرباً عن المستعمرات البريطانية الموجودة شرقاً، وبعـــدما حـــددت فرنـــسا علاقاتها مع بريطانيا بدأت تتجه نحو شمال تشاد.

السنوسية في تشاد :

منذُ انتقال قيادة الحركة السنوسية إلى الكفرة، واستقرارها بهـا، بـدأ اهتمامها بمناطق تشاد والسودان وشمال نيجيريا وغيرها من المواقع بوسـط أفريقيا، فعملت على اجتذاب حُكام هذه المناطق، وانضمامهم إلـى الحركـة السنوسية، وقامت بنشر الرسالة الإسلامية بين الوثنيين، وإقامة الزوايا فـي أماكن عديدة من المنطقة، فقد انتشرت الزوايا السنوسية فـي عـين كلـك، والتيبستي وبركو، والوادي، وفاشر، وكانو بـشمال نيجيريـا، والـسودان، وأماكن أخرى كثيرة، وكانت الزوايا بمثابة وكالات للحركة السنوسية تقـوم بتنفيذ أوامرها، والعمل على نشر مبادئها.

وقد انتقل السيد المهدي وحاشيته المؤلفة من عُلماء وفقهاء ومفكـرين، جاءوا من المغرب، والجزائر، ومن داخل ليبيا للوقوف معه ومساعدتهِ فـي رسالتهِ، وكانت السنوسية في تلك الفترة قد بلغت ذروة مجدها فقد سـيطرت على أواسط أفريقيا، وعلى التجارة ما بين أفريقيا الوسطى والساحل، وعلـى الطرق الصحراوية الكبرى، وكانت من الكفرة تُدير شبكة هـذه المـصالح، وتعملُ على نشر الإسلام في أفريقيا، حتى أن الكُتاب الفرنسيين فـي ذلـك الوقت أطلقوا عليها اسم (إمبراطورية الصحراء).

وقد انزعجت فرنسا أشد الانزعاج للوجود السنوسي في أفريقيا، وتأثير الحركة في السكان، وإقبال الكثير من الوثنيين على اعتناق الإسلام، وعلـى سيطرتهم الكاملة على التجارة والطرق، وسكان هذه المناطق، وكان انتـشار الزوايا في كل مكان دليلٌ على قوة هذه الحركة؛ ولذلك قررت فرنسا تجنيـد جميع قواها ومهاجمة السنوسيين للقضاء عليهم، إلا أن الحـرب والمقاومـة الليبية، ظلتا قائمتين في وجه فرنسا حتى عام 1912م، عندما اضطر الـسيد احمد الشريف إلى العودة إلى الشمال لمواجهة القوات الإيطالية الغازية، ومع ذلك لم تنعم فرنسا بالهدوء والاستقرار في مستعمراتها حتى إلـى مـا بعـد

1916م عندما قام البطل التارقي (محمد كوسن) بتكوين جيشٍ من الطوارق، والجزائريين، والتونسيين، والمغاربة، والماليين، وهجم على مدينة (أغاديس) بشمال نيجيريا فاحتلها، وحاصر القوة الفرنسية في قلعتها، وقد أرسلت فرنسا إمدادات لتخليص المدينة، من أيدي كوسن، وفك الحصار عن قواتها، إلا أن جميع قواتها التي أرسلتها هزمها كوسن، ودمرها، وأخيراً اضطرت فرنسا إلى اللجوء إلى منافسِتها بريطانيا طالبة مساعدتها؛ فكونت بريطانيا جيشاً كبيراً، وأرسلت فرنسا جيشاً أخر، وزحف الجيشان على أغاديس؛ فاضطر كوسن إلى الانسحاب، وهكذا انتهت المعارك بين فرنسا والليبيين، وإن ظلت بعض المناوشات تحدث بين الطرفين حتى عام 1919م.

ونرجو من القارئ الكريم أن يسمح لنا بذكر أسماء بعض الأبطال الليبيين الذين استشهدوا في تشاد ضد فرنسا، وفي طليعتهم:

1- عبد الله فضيل الطوير الزويّ :

تولى قيادة الزوايا السنوسية في شمال تشاد، وكان على رأس المجاهدين الذين تصدّوا للغزو الاستعماري للمنطقة، وخاض عدّة معارك موفقة، وسقط من زملائه العشرات من المجاهدين، وفي معركة أم العظام شمال تشاد سقط عبدالله شهيداً – عليه رحمة الله – في عام 1906م مع مجموعة من المجاهدين عليهم رحمة الله جميعاً.

2- البراني الساعدي الزويّ :

هو من كبار العلماء المتفقهين في الشريعة، من قبيلة زوية أسس زاوية شرقي السلوم، بأرض مصر عرفت باسمه إلى الآن (سيدي البراني) ثم انتقل إلى الجنوب، حيث قاد الجهاد في الصحراء الكبرى، ضد الغزو الفرنسي، ومن كبار قادة المجاهدين في مناطق كانم وشمال تشاد، واستطاع

أن يقود دوراً جهادياً، عُرف في المنطقة باسمه (دور البرانـــي)، وألحــق بالفرنسيين عدّة هزائم منكرة في بئر العلالي، وقد اعترف الفرنـــسيون لـــه بالبراعة، وإجادة التنظيم، واستطاع أن يصدهم في (عين كلك) التي تـــولى تنظيم المجاهدين بها، واستشهد عام 1907م في معاركه ضد فرنسا.

3- غيث عبد الجليل سيف النصر :

هو شيخ قبيلة أولاد سليمان الليبية والمتواجدة فـــي منطقـــة كـــانم، اصطدم مع الفرنسيين ساعة وصولهم للمنطقة عام 1899م، ونـــشبت بينـــه وبينهم معارك طاحنة، قاد غيث الجهاد ضدّ الفرنسيين، وحطم التقدم الفرنسي في بئر العلالي في معركة يوم 22-11-1899م، وسحق القوة الزاحفة، كمـــا نشبت معركة أخرى يوم 4 يناير 1900م بقيادة غيث ضد الفرنسيين قُتِل فيها خليفة حاجي.

كما سعى الفرنسيون إلى الوصول مع غيث إلى اتفاق لإنهاء المقاومة في كانم خاصة وأن الوضع أصبح مشجعاً للفرنسيين بعد مقتل حاجي حليف غيث، لكنّ الأخير رفض اللقاء بالفرنسيين وكوّن دوراً من قبائـــل القذاذفـــة، ورفله، والمغاربة، مع بعض القرعان، والتوارق، تقدّرها المصادر الفرنسية بخمسة آلاف رجل، ولقد استشهد غيث عبد الجليل في معركة بئر العلالي في يوم 9-11-1901م.

4- محمد بوعقيلة الزويّ :

من أفراد قبيلة الزوية التي لعبت دوراً مهمّاً في الحرب الـــصحراوية ضدّ القوات الفرنسية، ونظراً لنشاطه وشجاعته، وحسن تدبيره؛ عيَّنه أحمـــد الشريف قائداً لحصن علالي بدلاً من البراني الساعدي الذي عُيِّن في الشمال.

لقد كان بو عقيلة ذكياً بارعاً في فنون القيادة، والحرب، فشهد له أعداؤه بذلك، ولقد كان جندياً بارعاً قادراً على تدارك المواقف في الوقت المناسب، كما شهد بذلك الأعداء، لقد قاد هذا القائد قبائل التوارق، وأولاد سليمان، والقذاذفة، والمغاربة، وورفله، وزوية في جهاده ضد فرنسا واستشهد في معاركه ضد فرنسا في 5-12-1902م.

5- صالح بو كريم الزوي :

تولى تنظيم حركة الجهاد بشمال تشاد، وكانت معه، قبائل المجابرة، وورفلة، وأولاد سليمان، والقرعان، والقذاذفة.

وكان أحمد الشريف قد نجح في إقناع سلطان ودّاي بسحب اعترافه بفرنسا واحتلاله لمنطقة كانم، وباقرمي، وأعلن الجهاد ضد فرنسا في مناطق تيبستي من عام 1903 – 1909م، وساند صالح بوكريم سلطان تيبستي داود ضد قائد الفلاتة (ميتونة) حليف فرنسا، واستطاعوا الانتصار والقبض عليه، وإعدامه بتهمة الخيانة العظمى، ومناصرة العدو الكافر ضد المسلمين، وكان ذلك في معركة (ألتكو)، وقاد معركة بسكرة ضد الفرنسيين، وقد سقط فيها عدة شهداء، وساهم صالح في قيادة معارك 1910م- 1911م – 1912م – 1913م ضد الفرنسيين.

ولما أعلن أحمد الشريف الجهاد ضد إيطاليا، ورجوع قوات المجاهدين إلى الشمال، كان صالح بوكريم من ضمنهم.

6- كيلاني الأطيوشي المغربي :

هو شيخ قبائل المغاربة، ساهم في تمويل الجهاد ضد فرنسا في المناطق الشمالية من تشاد، وكانت قبيلته من القبائل المتميزة في حركة

الجهاد ضد فرنسا، عيَّنه الأتراك قائمقاماً على الكفرة عند انسحابهم من منطقة الجنوب، وأصبح المشرف الإداري على امتداد الصحراء الكبرى الشرقية، وتمويل حركة الجهاد الليبي فيها، ولقد توفى الكيلاني بالعطش عندما رحل باتجاه اجدابيا؛ ليشارك في صد الطليان.

7- عابدين الكُنتي :

هو عابدين بن محمد الكنتي، أحد شيوخ قبيلة كنته في منطقة تينبكتو، والذي ورث المشيخة عن والده الذي ينحدر من أسرة عربية يصل نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقيا، ومؤسس القيروان، وقد تلقّى عن الشيخ محمد المهدي الانتساب إلى الطريقة السنوسية، وأصبح مقدم السنوسية في منطقة تبكتو، وصحراء مالي الشمالية، ولهذا أعلن الجهاد ضد فرنسا في صحراء مالي، وشمال موريتانيا، والساقية الحمراء، إلى جنوب المغرب بوادي نون عند أخواله قبيلة (تكنه)، وجنوب الجزائر لدى توارق الهقّار الذين يقدِّرونه لنسبه الشريف، ولعلمه وتضلّعه في الدين، واستمر في جهاده مابين عام 1892م إلى عام 1917م، يهاجم القوات الفرنسية في مناطق صحراء مالي، وجنوب الجزائر متحالفاً مع الخليفة ولد محمد، ومتصلاً بالليبيين في جنوب الجزائر، وبمركز الحركة السنوسية في الكفرة، واستمر عابدين يقود كتائب الجهاد ضد فرنسا في جنوب المغرب، وشمال موريتانيا، وجنوب الجزائر، وشمال مالي، وشمال النيجر، لقد قال العقيد الفرنسي كلوب عند مغادرته تيبكتو في عام 1899م (الموت وحده الذي سينقذنا من عابدين).

توفي عابدين مجاهداً في جنوب المغرب في أثناء الحرب العالمية الأولى، لقد استمر يجاهد في الصحراء الكبرى قرابة نصف قرن دون أن يهادن أو يرمي السلاح، لقد كان هذا المجاهد من مالي، وينتسب للحركة السنوسية.

هؤلاء من أشهر القادة السنوسيين الذين قادوا حركة الجهاد ضد فرنسا، والذين ضحوا بحياتهم في سبيل الدفاع عن حرية تشاد والأراضي الإسلامية الأخرى.

وقد دارت معارك كبيرة بين الليبيين والفرنسيين استشهد فيها الكثير من الليبيين ومن المشائخ، ويكفي أن نشير أن معركة (العلالي) التي دارت رحاها بتاريخ 5-12-1902م والتي استشهد فيها أكثر من مائة ليبي، ستون منهم من قبيلة الزوية التي لعبت الدور الأكبر في الجهاد ضد الفرنسيين في تشاد.

وقد أسند السيد المهدي مشيخة زاوية (عين كلك) إلى عمر المختار الذي تولّاها، ونظمها، ووسّع أعمالها، وقد شرع عمر المختار في نشر الرسالة المحمدية بين الوثنيين، وفتح أبواب الزاوية لهم؛ ليأتوا إليها؛ وليتعلموا مبادئ الدين الحنيف، وفتح في الزاوية قسماً لتعليم الناس القرآن الكريم، واللغة العربية، وكان يُشرف على القضاء بين الناس، ويهتمُ بما عُرف فيه من جهد بمشاكل المنطقة الموجودة بها الزاوية، وكان يُشاركُ في المعارك ضد القوات الفرنسية.

وظل السيد المهدي يُواجه القوات الفرنسية من عام 1899م إلى وقت وفاتهِ عام 1902م، وواجهها في معارك كثيرة شارك فيها آلاف المجاهدين، وانتهت بإيقاف المد الفرنسي، وعندما انتقل إلى رحمة الله كان المجاهدون مشتركين في معارك ضارية ضد القوات الفرنسية، وقد أخفى المسئولون عن الحركة النبأ خشية أن يؤثر في معنويات المقاتلين الذين كانوا يواجهون القوات الفرنسية في ذلك الوقت، وقد تسبب ذلك في تأويلات عديدة حول اختفاء السيد المهدي، إلا أنه عندما عاد السيد أحمد الشريف إلى الكفرة عام 1912م صحب جثمان الفقيد الكريم إلى الكفرة حيثُ دُفن بصورة مؤقتة ريثما يتم دفنه في الجغبوب إلى جانب والدهِ رحمهم الله.

وقد واجه السيد المهدي فرنسا، وهي من أكبر وأقوى دول أوروبا، لديها مصانعٌ تنتج الأسلحة، وتمد بها المقاتلين، ولديها مستعمرات تمدها بالرجال، هذا في حين كان المقاتلون الليبيون يجدون صعوبة في الحصول على السلاح، والذخيرة، وكانت الأسلحة تصلهم من الساحل حيث كان ممثلو السنوسية في بنغازي يتفقون مع المراكب اليونانية وغيرها، لجلب الأسلحة إلى السواحل الليبية، وكانت الحكومة الفرنسية، قد ضغطت على الحكومة التركية؛ لمنع إرسال الأسلحة إلى تشاد، وكان القنصل الفرنسي في بنغازي له عيون تراقب السواحل، وعندما تُفرغ الأسلحة على الشاطئ، يذهب هؤلاء لإخبار القنصل الفرنسي الذي يُسرع إلى المتصرف التركي؛ طالباً منه مُصادرة الأسلحة، غير أنه عندما تأتي الشرطة لتصادر الأسلحة تكون هذه الأسلحة في طريقها إلى الجنوب، ومع ذلك كان المجاهدون في تشاد في حاجة إلى السلاح، وإلى الذخيرة، وإنما كان يصلهم من الساحل ما لا يكفي حاجتهم ولذلك كان السيد أحمد الشريف يُناشد التجار والأعيان بتوفير الأسلحة للمجاهدين، ويقول (إن أحسن هدية تُرسل إليه هي السلاح).

وواصل السيد أحمد صراعه ضد الفرنسيين، إلا أنهم بما كان يتوفر لهم من أسلحة متطورة وعدد كبير من المقاتلين استطاعوا أن يتقدموا ويسيطروا على مناطق كورو، ووادِاي، وبركو، وبلما وغيرها من المناطق سنة 1906م، وقد استدعى السيد أحمد الشريف عمر المختار، قبل سقوط مدينة (عين كلك) في أيدي الفرنسيين، وطلب منه العودة إلى ليبيا لتولى مشيخة القصور من جديد، وكان ذلك في عام 1906م، وخلال مدة عمله في منصبه هذا كان قوياً حازماً، تحاشت السلطات التركية الاصطدام بهِ، وتوسلت بنفوذه لجباية الضرائب والأعشار من القبائل الخاضعة لهُ، وبقى في هذا المركز حتى سنة 1911م أي حتى وقوع العدوان الإيطالي على ليبيا في أكتوبر عام 1911م، وهنا تبدأ فترة جديدة في حياة السيد عمر المختار.

ويبدو أن نزول الإيطاليين إلى ساحل ليبيا في عام 1911م فاجأ عمر المختار الذي كان موجوداً بجالو وربما كان قادماً من الكفرة أو ذاهباً إليها، ومن ثم عاد فوراً إلى زاوية القصور.

وبلغ نبأ نزول القوات الإيطالية بسواحل ليبيا السيد أحمد الشريف في الكفرة، وقد انزعج كثيراً، وتأثر للنبأ، وجمع مساعديهِ من العلماء والمشائخ، وبحث معهم الأمر، وطالبهم بالاستعداد للجهاد، ودفع الشعب الليبي كله إلى الوقوف في وجهِ الغاصبين، غير أن مساعديهِ استصعبوا قيامهم بحربٍ ضد إيطاليا التي عجزت دولة تركيا الكبيرة عن مقاومتها، أو الدفاع عن آخر ولاياتها الأفريقية، إلا أن السيد أحمد لم يستمع لنصائح مساعديه، ورأى في صد العدوان ومقاومة المعتدي ذوداً عن الدين وعن الوطن، ودفاعاً عن النفس والأرض، وبالتالي فهو واجب مقدس، وهكذا أعلن السيد أحمد الجهاد، وعمم أوامره على كل الناس في برقة، وحثهم على القيام بالجهاد والوقوف في وجه المعتدي بأي وسيلة كانت، وحذر كل من يتخلف عن الجهاد، ويمالئ العدو، وكلف السيد أحمد عمر المختار بإبلاغ هذه الأوامر إلى جميع مشائخ وأعيان برقة، والجبل الأخضر.

وكان السيد أحمد الشريف السنوسي يخشى تقدم الفرنسيين نحو الكفرة، والاستيلاء عليها، وقد اتصل بالحكومة التركية، وطلب منها إرسال مندوبٍ عنها إلى الكفرة ليرفع العلم التركي فوقها بصفتها إحدى الممتلكات التركية، وأرسلت الحكومة التركية آنذاك ممثلاً لها جاء إلى بنغازي، وصحبه عمر منصور الكيخيا وبعض أعيان بنغازي، واتجهوا نحو الكفرة حيثُ رفعوا عليها العلم التركي، وعينوا قائمقاماً للكفرة هو الشيخ (الكيلاني الأطيوش) والد البطل المعروف (صالح باشا الأطيوش)، ولم يكتف السيد أحمد برفع العلم التركي على الكفرة، بل طلبَ رفعه على (عين كلك) بتشاد.

ونعود إلى وقع نبأ نزول الإيطاليين على السيد أحمد، ومطالبة الجميع

بالاستعداد للجهاد رغم معارضة مساعديهِ، وأن عمر المختار كان في الكفرة في ذلك الوقت، لأنه لو كان موجوداً لأيد السيد أحمد في الجهاد، والوقوف ضد العدوان الإيطالي.

وعندما ذهب عمر المختار إلى زاوية القصور التقى بالشيخ أحمد العيساوي الذي أخبره عن الغزو الإيطالي، وعن معركة جليانة، وقصف بنغازي بقنابل الأسطول، واحتلال الإيطاليين لبنغازي، وتحصنهم فيها دون القدرة على مغادرتها، واخبره أيضاً أن الشيخ عمران السكوري جاء في جمع من المجاهدين، وانضم إلى دور بنينا، وكان أول فوج من القبائل يقدم للاشتراك في المعركة، فقوّت هذه الأنباء من عزم عمر المختار على أن يسرع للجهاد، وقد جمع مشائخ القبائل التابعة لزاوية القصور، وتحدث معهم في الأمر، وطالبهم بالإسراع لنجدة أخوانهم المجاهدين في جبهة بنغازي، وقد استطاع أن يكون جيشاً بلغ عدده عدة مئات، وغادر زاوية القصور هو وعائلته قبل حلول عيد الأضحى المبارك بأربعة أيام، وقد قضى المجاهدون يوم العيد وهم في طريقهم إلى بنغازي، وعندما وصل بقواتهِ إلى بنغازي، انضم إلى دور بنينا، ومن هنا تبدأ حياة عمر المختار الجديدة ، حياة الكفاح والدفاع عن الوطن ضد العدو المعتدي.

الفصل الرابع

الملحمة الكبرى
ضد إيطاليا

بلغ نبأ نزول القوات الإيطالية بساحل ليبيا السيد أحمد الشريف السنوسي، وهو في الكفرة، وقد استغرق وصول النبأ بعضاً من الوقت، إلا أنه انزعج وتكدر، ورأى شبح الخطر يخيم على بلاده التي لا حول ولا قوة لها، وقد جمع أعوانه ومساعديه، وطالبهم بالاستعداد للجهاد في سبيل الوطن، ودفع المعتدي عنها، إلا أن أغلب رجاله قالوا له إن إيطاليا دولة عظيمة، وقد عجزت تركيا عن مواجهتها، فكيف نستطيع نحن محاربتها بدون سلاح ولا أموال ولا رجال مدربين ومستعدين للقتال، فغضب السيد أحمد، وثار فيهم، وقال لهم إن الوطن في خطر، وإن إيطاليا تريد أن تستولي على أراضينا، وتخرجنا من ديارنا، فالجهاد أصبح أمراً مقدساً يجب أن يقوم به الجميع؛ دفاعاً عن بلادهم، وعن كرامتهم، أما الأسلحة فسوف نجدها، والجنود سوف نعمل على تدريبهم وإعدادهم، وأمر الجميع بأن ينشروا قراراه بالجهاد في كل مكان، وأن يبعثوا الوفود إلى القبائل لحثها على الجهاد، وأصدر بياناً للشعب جاء فيه:

(الحمد لله العزيز الجبار، والصلاة والسلام على من أطال عمر الدين، وعلى آله الأنصار...

واعلموا أن الأجل محتوم، فما خائض المعركة ميت إلا به...

عن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب...

واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف...

ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عدد، فإن قوة الإيمان يتلاشى في جنبها كل عدد، فجموعهم المعسكرة مكسرة، وعزماتهم المؤنثة مصغرة، وإن كانت ذواتهم مذكرة مكبرة، وقد وعد الله ناصره بالنصر والتثبيت، والعدو بالتعس والتشتيت ولا ترتدوا على أدباركم، لضعف من بعض أمرائكم، فإن المرء

لو جاهد الله وحده لصدق وعده، وأعز جنده، بل جاهدوا ولوفرة، وأثبتوا ولو مرة، فقد كان في الغزوات تتبادل الرايات الجماعات، كلما حي أمير أخذها الآخر لينال المرام، وفي الحديث الحث على الجهاد مع كل إمام، فلا تنكسرن قلوبكم لقلة عدد، ولا تجبنوا لضعف مدد، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده، منتظراً بالنصر وعده، فقد قال تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، والأحاديث في الترهيب من ترك الجهاد والترغيب فيه لا يحاط بها كثرة، فمن الأول "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزع عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم" أي الواجب عليكم من جهاد الأعداء والإغلاظ عليهم، وإقامة الإسلام ونصرة الدين، وآله وإعلاء كلمة الله، وإذلال الكفر، وأهله ومنه "إن ترك الجهاد خروج عن الدين"، وإذ لا يرجع إلى الشيء إلا خرج عنه، هذا في الجهاد الكفائي، فكيف بالجهاد الذي تعين بمفاجأة العدو، وإذا كان القاعد خارجاً عن الدين فكيف بمن يبايع الكفار بحطام على قتال المسلمين وكتابة نفسه في جندهم).

وكان السيد أحمد بعد وفاة السيد المهدي، تولي الأمر بعده، قاد المعارك ضد فرنسا، بقوة وبراعة، وشارك مع أتباعه في مجموعة معارك بالسودان وتشاد ضد الفرنسيين في مناطق مختلفة، مثل (واداي، كلك، علالي، وان، جنقة الكبرى، جنقة الصغرى، تبستي، بركو، قرو...الخ)، وشرع احمد الشريف في تشكيل جبهة إسلامية، ضد الغزو الفرنسي الزاحف من جنوب تشاد إلى شرقها وشمالها، فقام بالاتصال بسلطان واداي (داود مرة) سنة 1903م، وأقنعه بسحب اعتراف واداي بالحماية الفرنسية على كانم، وباقرمي، واستجاب السلطان داود لذلك وسحب اعترافه بالحماية الفرنسية، واتصل بالسلطان على دينار (سلطان دارفور) الذي أعلن توحيد جهود المسلمين ضد الغزو الصليبي الأوروبي، لقد رأى أحمد الشريف

أن التوسع الفرنسي في الصحراء الأفريقية يعتبر تهديداً مباشراً لحركته الإسلامية الدعوية، ولتجارة القوافل التي كانت تدعم بمردوداتها الاقتصادية نظام زواياه في تلك المناطق.

لقد كانت تجارة القوافل ما بين ساحل البحر الأبيض المتوسط، وأواسط أفريقيا تقع تحت إشراف وحماية السنوسيين، وتعتبر من أعمدة الاقتصاد في الحركة السنوسية، ولنضرب مثلاً على ذلك بالحاج أحمد الثني الغدامسي الذي كانت له تجارة عظيمة مع أهل برنو، ووادي، وغات، ومصر، وطرابلس، وتونس، وكان جميع ما يأتي إلى الجغبوب يأتي على يديه، وهو الذي يجلبه إلى هناك بأثمان متهاونة، رفقاً بالإخوان؛ ولذلك كان من المقربين من الشيخ محمد المهدي.

فالسيد أحمد الشريف عندما تولى القيادة العامة في برقة، كانت لديه خبرة طويلة بالقتال، والدعوة، والتعامل مع القبائل والبلدان، وغادر الكفرة متجهاً إلى الجغبوب التي وصلها واستقر بها، وكانت الحكومة التركية عندما رأت أن الليبيين قاوموا الاحتلال الإيطالي فكرت في مساعدتهم، وأرسلت بعض الضباط الأتراك برئاسة أنور باشا، وكمال أتاتورك بطل تركيا ومؤسس جمهوريتها، وقد استدعت الحكومة التركية أنور باشا الذي سافر إلى الجغبوب وقابل السيد أحمد الشريف، وأبلغه فرمان السلطان بتعيينه نائباً للخليفة، وقائداً للقوات الليبية، وسلم إليه أمور البلاد، وسافر وغادر السيد أحمد الجغبوب، وجاء إلى الجبل الأخضر، وقام بتنظيم الجهاد من البطنان حتى جنوب بنغازي، وشرق سرت، فقد وزع المجاهدين على المواقع التي وصلها الإيطاليون، وحثهم على الجهاد، ورد الإيطاليين، ومنعهم من التقدم في أراضي الجبل.

في 9 سبتمبر 1912م فصلت طرابلس عن برقة، وقد جندت إيطاليا قوة كبيرة مؤلفة من الفرقة الرابعة، وأبحرت إلى طلميثة التي احتلتها

دون مقاومة في أبريل عام 1912م، وقد انضمت القوات التي نزلت في طلميثة إلى القوات التي جاءت من بنينا إلى المرج، وتقدمت القوات الإيطالية نحو مراوة فواجهتها قوات المجاهدين وردتها على أعقابها، ويقول غرازياني في هذا الصدد إن المجاهدين قاموا بهجمات مستمرة على القوافل الإيطالية، والقوات الإيطالية بفضل قواتهم الكبيرة، وبراعتهم في قيادة المقاتلين (1).

وكان السيد أحمد الشريف قد أمر قواته بمهاجمة الإيطاليين في كل موقع، الأمر الذي جعل غرازياني يعترف ببراعة المجاهدين، وقوتهم.

وكانت قوات المجاهدين موزعة حول بنغازي، والمرج، وتاكنس، والقصور، ودرنة، وقرب الحدود المصرية، وفي يوم 15- 16 سبتمبر 1913م خرجت قوة إيطالية كبيرة مدعمة بالمدفعية والمدرعات، وعدد كبيرٌ من الجنود؛ لقتال المجاهدين، والتقى الجيشان في تاكنس، وقد قُتل الجنرال توريللي قائد القوات الإيطالية في بداية المعركة، وانقض المجاهدون على القوات الإيطالية، فشتتوها، وهزموها، وكان مقتل الجنرال توريللي ضربة شديدة تلقتها إيطاليا أثرت في معنويات جنودها، واستعدادها للحرب.

وقد ظلت قبائل المغاربة والعبيد والعواقير يقاومون التقدم الإيطالي، ويُلحقون بهم الهزائم في إجدابيا والخروبة ومسوس، وتوالت المعارك بين الطرفين، وفي عام 1913 قررت القيادة الإيطالية القيام بعمليات عسكرية في المنطقة الوسطى من الجبل الأخضر، وقد أعد الإيطاليون لهذه المعركة جيشاً كبيراً مزوداً بالمدفعية والسيارات المدرعة؛ للسيطرة على المنطقة، والقضاء على المقاومة بها، وتشتيت مراكز تجمعات المجاهدين في العرقوب وسلنطة؛ وذلك تمهيداً للهجوم على زاوية المخيلي التي كانت في تلك المرحلة قاعدة مهمة لحركة الجهاد في برقة، وقد واجه المجاهدون القوات الإيطالية

---

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا – روما 1937م .

في معركة حامية استمرت عدة ساعات، ردوا فيها القوات الإيطالية على أعقابها بعدما كبدوها الخسائر، وغنموا منها مغانم كثيرة من الأسلحة والمؤن والذخائر.

وفي 15 فبراير عام 1914م تحركت قوة إيطالية بقيادة الجنرال (كفاشيوكي) من شحات نحو زاوية العرقوب، واصطدم جناحها الأيمن بالمجاهدين في زاوية العرقوب، حيث كان يرابط مائتان من المجاهدين من القوات النظامية وغير النظامية، وتقول المصادر الإيطالية أنه قد استشهد في هذه المعركة 10 من المجاهدين، وتحول الباقي إلى مواقع أخرى، كما أقامت القوات الإيطالية حامية في الموقع، لم تلبث أن تعرضت لهجوم عنيف يوم 22 فبراير عام 1914م شنه عليها المجاهدون، وكبدوها خسائر باهظة، وردوها على أعقابها.

وقامت معارك أخرى في شليظيمة، وأم شخنب، وسلنطة، وقد حاول الإيطاليون يوم 16 مارس 1914م احتلال اجدابيا، وقد ردتهم المقاومة على أعقابهم، فعادوا إلى الزويتينة، حيث وصلتهم إمدادات كبيرة، ثم عادوا الكرة على اجدابيا؛ فاحتلوها يوم 21 أبريل بعد معارك دامية تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة.

ودارت جميع هذه المعارك بقيادة السيد أحمد الشريف الذي كان يُشرف عليها ويوجهها، ويوزع المقاتلين على مواقع الجهاد حسب الحاجة والضرورة، وقد شارك عمر المختار في أغلب هذه المعارك، وكان إيمانه القوي بدينه، وتعلقه الكبير بوطنه يدفعانه إلى المزيد من المشاركة في القتال والعمل على رد العدو إلى بلاده التي جاء منها، وقد جاء في صحيفة الاتهام في محاكمة عمر المختار ببنغازي أنه اشتبك مع نفر من شرطة الكاربنيير في منطقة قمينس يوم 20 فبراير عام 1914م، وقد لقي فيها مصرعه ضابط صف، وخمسة رجال من الضابطية، واتهم بأنه شارك في معركة وقعت في

شحات ضد جنود الحامية هناك في يوم 25 مارس 1914م، وقد قتل وجرح فيها عدد من الإيطاليين، وفي 5 أكتوبر 1914م وقع صدام مسلح ما بين قوات يقودها عمر المختار وقوة إيطالية كبيرة بقيادة الرائد (الكاو اليير روبيرتو بونته) بالقرب من منطقة مستينة، وفي 6 نوفمبر 1914م قام عمر المختار على رأس قوة تقدر بأربعمائة رجل بالهجوم على مخفر سلنطة، قُتل فيه أحد الضباط الإيطاليين، والعديد من الجنود.

وقد اتخذ السيد أحمد في هذه الأثناء منطقة امساعد مقراً لأركان حربه، وفي هذه الأثناء حدث شيء غير متوقع غير وجه الأحداث في برقة، فقد تجمع حول السيد أحمد في امساعد عددٌ من الضباط الأتراك والألمان والعرب، الذين أرسلتهم تركيا لغاية في نفسها بعد أن تخلت عن ليبيا، وسلمتها لإيطاليا بدون مقاومة ولا حرب، لقد دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا والنمسا، وحركت قواتها المرابطة بالشرق الأوسط للهجوم على المواقع الإنجليزية في قناة السويس، ومن ثم احتلال مصر إن استطاعت، ووجدت القوات التركية مقاومة شديدة من الإنجليز لم تستطع التغلب عليها، ففكرت القيادة التركية والألمانية في شغل القوات الإنجليزية في غرب مصر ليخف ضغطهم في قناة السويس، واتجهت هذه القيادة صوب برقة لإقناع السيد أحمد الشريف بالقيام بالهجوم على صحراء مصر الغربية كي تنقل القوات البريطانية بعضاً من قواتها في قناة السويس لمواجهة الخطر الذي جاء يتهددها من الغرب، وكان نوري باشا شقيق أنور باشا وجعفر العسكري العراقي الجنسية وغيرهم من الضباط أخذوا يضغطون على السيد أحمد للقيام بالهجوم على الإنجليز إلا أن الأخير كان يعلم مبلغ الضرر الذي سيصيب برقة في حالة غلق الحدود بن مصر وليبيا، لقد كانت مصر تورّد إلى ليبيا المؤن والسلاح والأموال والرجال وكل شيء أخر يريده الليبيون، وإذا ما أغلقت الحدود توقف كل ذلك عن ليبيا، خاصة وأن العام كان عامَ

جفاف، والناس تعتمد على ما يصلها من مصر من مؤن للبقاء، وقد تردد السيد أحمد في إصدار الأمر بالهجوم، غير أنه في سنة (1916م)، قامت القوات الليبية المرابطة بامساعد بالهجوم على القوات الإنجليزية الموجودة في صحراء مصر الغربية، واحتلت القوات الليبية السلوم وسيدي براني والواحات الداخلية وسيوه، واقتربت من مرسى مطروح، حيث تحصنت القوات البريطانية، ولم يقع ما توقعته القيادة الألمانية التركية من سحب بريطانيا لجزءٍ من قواتها المواجهة للأتراك في قناة السويس، بل أنها جلبت فرقة من السيارات المدرعة من البلقان التي دخلت الصحراء لأول مرة، وهاجمت القوات البريطانية المدرعة القوات الليبية فأعادتها إلى مواقعها داخل الحدود الليبية، واحتلت السلوم وأعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه، ومن الطبيعي أن تُغلق الحدود في هذه الحالة، وتتوقف إمدادات المؤن عن الليبيين الذين كانوا في أشد الحاجة إليها، واستدعى السيد أحمد ابن عمه الإدريس؛ ليأتي ويتولى الأمور، وعندما بدأ إدريس السنوسي مفاوضته مع الإنجليز، طلبوا منه أن يبتعد السيد أحمد الشريف عن كل الأراضي البرقاوية، وأن يُشرك في المفاوضات الإيطاليين أيضاً، ومن هنا بدأت الاتصالات السنوسية الإيطالية، فقد اجتمع بالزويتينة ممثل الحكومة الإيطالية والبريطانية والسنوسيين؛ للاتفاق على إيقاف القتال وعقد صُلحٍ ما بين الأطراف الثلاثة، واجتمع إدريس السنوسي بالإيطاليين في عكرمة، ودارت بينهما مفاوضات طويلة استغرقت قُرابة العامين، وانتهت بالتوقيع على اتفاق عكرمة، الذي ينصُ على إيقاف القتال بين الطرفين، وفتح الأسواق الساحلية لسكان الدواخل، واحترام شعائر الإسلام، ونشر الثقافة والتعليم، وجباية الزكاة من جميع السكان، ونص الاتفاق على نزع السلاح عن السكان، واكتفاء الأمير بألف جندي مسلح، والتنازل له عن واحات جالو وأجلة والكفرة؛ ليُديرها مباشرة، وجعل مقر إقامته في أجدابيا، وقد غادر السيد أحمد

الشريف البلاد إلى الحدود الطرابلسية ثم إلى تركية، وقد انتهى بذلك وجـود السيد أحمد الشريف في ليبيا، وانتهى عمله فيها.

عند بداية المفاوضات بين إدريس السنوسي والإيطاليين لم يكن عمـر المختار راضياً عن الاعتراف بالسيادة الإيطالية على البلاد، وقد سافر إلـى اجدابيا وحرض المشائخ والأعيان ضد إيطاليا ودفعهم إلى كتابة البيان الذي يعترف فيه الشعب الليبي بسيادة إيطاليا على الساحل فقط، وأن لا تهـتم إلا بالتجارة. وقد اجتمع زعماء طرابلس في نفس الوقت وأصدروا بياناً مشابهاً لبيان اجدابيا، وكانت رسالة صريحة إلى إيطاليا بأن الشعب الليبي يـرفض سيادتها عليه.

عمر المختار يتولى قيادة الجبل الأخضر والبطنان:

تولى عمر المختار قيادة الثورة في الجبل الأخضر وفي البطنان، مـن الفترة 1923م إلى 1931م، إلا أنه كان في الفترة الممتـدة مـن 1923م إلـى 1930م سيد الجبل الأخضر والبطنان، والمسيطر على السكان الذين يعيشون في هاتين المنطقتين، فقد كانت حكومته التي أطلـق عليهـا الإيطـاليون اسـم (حكومة الليل) تسود البلاد في الليل، وتتصرف في أمورها كما تشاء، بينما يظل الجنود الإيطاليون قابعين في معسكراتهم، وكانت وارداته المالية تتألف من الزكاة، ومن رسوم الجمارك على البضائع التي كان يستوردها التُجـار، ويبيعونها للأهالي، وكذلك من الهبات التي كانت تصله مـن وراء الحـدود، وكانت عائلات المجاهدين تعيشُ حياة عادية إلى جانبهم، وكانت حدود مصر مفتوحة على مصرعيها؛ للقوافل الداخلة إليهـا والخارجـة منهـا، وكانـت دورياتُ المجاهدين تتجول في ضواحي بنغازي، وفي جنوبها دون أن يمنعها أي مانع، وقد جند الإيطاليون قوات كبيرة من الجنود الإرتريـة، والجنـود الإيطاليين، والقمصان السود الفاشيست، ومن المرتزقة الليبيين، وكانت هـذه

القوات مُزودة بأحدث الأسلحة، وبالمدافع، والرشاشات، والمدرعات، والفرسان، وأسراب الطائرات، وكانت هذه القوات التي تبلغُ عشرة أضعاف عدد الثوار، بالإضافة إلى الإختلاف في الأسلحة، تقوم بحملاتٍ كبيرة على مواقع المجاهدين الذين يصمودون لها، ويُكبدونها الخسائر، ويتمكنون من الإنسحاب عندما تهددهم هذه القوات بالتطويق، وغالباً ما كانت تعود القوات الإيطالية إلى قواعدها، وهي تجرُ أذيال الفشل، وقد أقلق هذا الوضع روما، التي غيرت ثلاث ولاة في الفترة المذكورة، وكان كل منهم أُرسل بمهمة القضاء على عمر المختار وثورته، ولكنه لم ينجح، ووقف عاجزاً أمام قوة عمر المختار وبراعته العسكرية.

كما ذكرنا سابقاً فإن عمر المختار لم يشترك في عملية السلام بين السنوسيين وإيطاليا، ولا في مفاوضاتها، ولا تبعاتها،و لم يمد يده للإيطاليين، ولم يتناول منهم قرشاً، ولم يكن راضياً عما يحدث، وكان يشاركه نفس الشعور عدد من القادة الذين رفضوا التعامل مع إيطاليا أو الاحتكاك بها، لقد كان عمر المختار ورفاقه المعارضون يحاربون من أجل إخراج إيطاليا من بلادهم نهائياً لا من أجل التفاوض على بقائها،و لم يكن في إمكان عمر المختار رفع صوته بالمعارضة احتراماً لرؤسائه، ولكنه اكتفى بالانسحاب من الساحة، وترقب الأحداث، وعندما أعلن الوالي الجديد (بونجفاني) سقوط جميع الاتفاقيات التي أُبرمت مع السنوسية وإلغاء الامتيازات الناتجة عنها، وقام بإشعال الحرب من جديد ضد الليبيين؛ غادر عمر المختار زاوية القصور، وذهب إلى اجدابيا حيث كان الأمير إدريس السنوسي يستعد لمغادرة الوطن إلى مصر، وقد أمر بتعيينه قائداً عاماً للجبل الأخضر والبطنان، فشعر عمر المختار أن وقت الجهاد قد عاد، وأن دوره في هذا الجهاد لم ينته بعد، وكان مؤمناً بأن الجهاد واجب مقدسٌ على كل فرد في الأمة، وأن مقاومة الغزو الإيطالي عملٌ يأمر الله ورسوله به، وأن أية مهادنة

أو تفاهم مع العدو كان يعتبره خيانة للوطن وللدين، وهكذا نشأ عمر المختار على هذه المبادئ القويمة، والتي لم يتخل عنها طيلة حياته، وكانت كفاءته ومقدرته وذكاؤه وإخلاصه وإيمانه المطلق بقدسية الأرض، وحق الليبيين في الحياة الحرة الكريمة على أرضهم، هو ما جعله يتولى قيادة جميع الأعمال الحربية في الجبل الأخضر وفي البطنان، وإن دوره في معركة الليبيين ضد إيطاليا قد ترك آثاراً بعيدة جاوزت حدود الجبل الأخضر وليبيا بشكل عام لتمتد إلى الوطن العربي والإسلامي والعالم بأجمعه، وأصبح اسم عمر المختار رمزاً للحرية والاستقلال ومقاومة العدو الغاصب.

وصل عمر المختار الجبل الأخضر في عام 1923م، وشرع في الاتصال بمشائخ القبائل لإقناعهم بأن الجهاد ضد إيطاليا حقٌ مقدس، وإن جميع أفراد الشعب يجب عليهم المساهمة إما بالمشاركة في القتال، وإما بمد يد المساعدة إلى المقاتلين، وقد أخذ يتجول في الجبل الأخضر وفي البطنان متصلاً بمشائخ القبائل، وشارحاً لهم مهمته ورغبته في الحصول على مساعدتهم.

ويقول الطيب الأشهب: إن الشيخ الصغير بوبكر حدوث وابنه يونس توليا تمويل قوةٍ صغيرة من المجاهدين لمرافقة عمر المختار في تجواله الذي أقنع القبائل على مساعدته [1].

وبعد أن نظم أموره بالجبل الأخضر، وتأكد من مساعدة السكان له، أراد أن يذهب إلى مصر لإطلاع الزعامة الليبية على التدابير التي اتخذها ويطلب منها التوجيهات، وكان يُرافق عمر المختار في تجولاته بالجبل الأخضر مجموعة من المشائخ والمجاهدين على رأسهم الشيخ علي العبيدي والشيخ يوسف بورحيل والشيخ حسين الجويفي والشيخ الفضيل بو عمر

---

(1) محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، ص66 .

وغيرهم من القادة، وقد رافقه هذا الركب وهو في طريقه إلى مصر، وعندما وصولوا بئر (الغبي) طلب منهم انتظاره في هذا الموقع، ثم دخل الحدود المصرية مع بعض الرجال، وقام بمهمته في القاهرة، واتصل بالزعامة الليبية، واخذ منها التوجيهات، ثم قرر العودة، وقد أُشيع خلال وجوده بمصر أن السفارة الإيطالية كلفت بعض الشخصيات الليبية للاتصال به، ومُطالبته بالتخلي عن هذه القضية مُقابل حياة رغدة توفرها له إيطاليا حيثُ شاء، وقد رد على الوسطاء رداً جافاً أشعرهم فيه أنه يُجاهد من أجل الوطن والدين لا من أجل الجاه والترف، وكان ذلك في شهر مارس عام 1923م.

وقد غادر عمر المختار القاهرة في طريقه إلى ليبيا، ووصل إلى بئر الغبي، حيث كان رُفقاؤه في انتظاره، وكانت إيطاليا تتبعُ تحركاته في مصر وفي ليبيا، وأعدت كميناً لأسره، وقد هاجمت قوات إيطالية من المدرعات الموقع في بئر الغبي الذي وصله عمر المختار في طريق عودته إلى الجبل الأخضر، وقد هاجمت القوات الإيطالية الموقع إلا أن المجاهدين تصدوا لها بقوة، وردوها على أدبارها.

وأسس عمر المختار أول دور في منطقة الشبيكة، وأُطلق عليه اسم (دور البراغيث) رغم وجود متطوعين آخرين من مختلف القبائل الأخرى غير البراغيث، إلا أن هذه التسمية جاءت من وجود الدور في منطقة البراغيث، وعُين السيد يوسف بو رحيل قائمقاماً لدور البراغيث إلى جانب منصبه كنائب للسيد عمر المختار في جميع المنطقة، وقد قام الجنرال (بونجفاني) باستعداد كبير لخوض معركة فاصلة مع عمر المختار قبل أن يكبر شأنه ويشتد ساعده، و قد جند قوات كبيرة من الإرتريين والإيطاليين والمرتزقة العرب، زودها بالمدفعية والمدرعات وجميع أنواع الأسلحة، وكان على ثقة من أن المعركة ستكون لصالحه، وأنها ستكون فيها نهاية الثورة الليبية، ودارت المعركة في موقع جردس، وكانت معركة كبيرة حامية انتهت

بهزيمة الإيطاليين وفوز المجاهدين، وكانت خسائر الإيطاليين في الأرواح كبيرة، كما أن المجاهدين خسروا عدداً من رجالهم، وغنم المجاهدون أسلحة كثيرة وذخيرة ومؤناً ومدافع ثقيلة وخفيفة، وكانت هذه أول لطمة يتلقاها الجنرال (بونجفاني) من عمر المختار، وكان ذلك في (أغسطس- 1923م)، وكان العدو يُعلق عليها الأمل، وعُرفت بمعركة جردس، وهذه المعركة كانت يوم ذاك هي الأولى من نوعها شدة بعد معركة (الحيران) التي كانت بين المنتجعات من جهة والطليان من جهة أخرى في يوم (19- أبريل- 1923م)، وعقب هذه المعركة تأسس دور البراعصة بقيادة السيد (حسين الجويفي)، وعين عصمان الشامي قمنداناً به، وكان أول عمل قام به هذا القائد الجديد هو مهاجمة مركزي مراوة وسلنطة في آن واحد ومحاصرتهما عدة أيام، ثم تأسس دور ثالث بمنطقة درنة يُعرف بدور الحاسا، وأسندت قيادته إلى السيد الفضيل بوعمر، وكان بكل دور من هذه الأدوار قائمقام مدني ينظرُ في شؤون الدور الحياتية، وقمندان عسكري يقود القوات المسلحة، ومأمور مالي يجبي الأعشار والزكاة من السكان المحليين، ويمول الدور بما يحتاجه من مؤن وغذاء، وكان يتبعُ المأمور المالي عددٌ من الموظفين كلٌ منهم يهتم بشأن من الشؤون المسندة إليه، وكان للدور قاضٍ ينظر في القضايا بين الناس وخاصة القضايا الشرعية، وكان هناك فقهاء يقومون بتدريس الأولاد القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، وقد ألف عمر المختار في قيادته هيأة استشارية من كبار المجاهدين والمشائخ، وقد تألفت هذه الهيئة من عبد الحميد العبار شيخ قبيلة العواقير، ومن يوسف بو رحيل شيخ قبيلة المسامير، ومن الفضيل بو عمر وعصمان الشامي، وكان الأخير جندياً تركياً من أصل سوري انضم إلى المجاهدين وحارب معهم، وتولى قيادتهم في بعض المعارك، وبرز كأحد أبطال الجهاد؛ فضمه عمر المختار إلى مستشاريه، أما الفضيل بو عمر فكان من خريجي معهد الجغبوب، وكان الرأس المفكرُ للثورة الذي كان يستعين به عمر المختار.

وقد اتخذ عمر المختار مقر قيادته في معسكر البراغيث، وكانت لهذه الأدوار فروع تُعرف باسم (القراقولات)، وكانت مهمتها مراقبة تحركات العدو والتجسس عليه، وإعلام قيادة الأدوار بذلك.

وقد اضطرت الحكومة الإيطالية إلى تغيير الوالي الجنرال (بونجفاني) بسبب فشله في مواجهة عمر المختار، واختارت بديلاً له الجنرال (مومبيللي) المعروف بقدراته وخبراته العسكرية؛ ليتولى ولاية برقة، ويقوم بالقضاء على عمر المختار، وتوالت محاولات الجنرال (مومبللي) والي برقة في الوصول إلى الجبل الأخضر معتمداً على قواته العديدة التي زُود بها مؤخراً؛ فتصدت له قوات عمر المختار، وحالت دونه ودون ذلك، وقام الجنرال مومبللي في فترة ولايته بتنظيم قواته وزيادة عددها ومعداتها، وأنشأ فرقاً عسكرية صغيرة متحركة، وأنشأ مطارات صغيرة في سفح الجبل الأخضر.

وانتهى عام 1923م بعد أن نظم عمر المختار أدواره، وقيادته، ووسائل تموينه، وقد خاض كما ذكرنا عدة معارك ناجحة مع القوات الإيطالية التي كانت تجني الهزيمة تلو الأخرى.

وفي تاريخ 3 فبراير 1924م في منطقة تاكنس قامت القوات الإيطالية بحملة كبيرة ضد قواعد المجاهدين إلا أن الأخيرين تصدوا لها، وألحقوا بها الخسائر، وردوها على أعقابها، وشهدت منطقة حلوق الجير بعض المعارك التي دارت بين القوات الإيطالية والمجاهدين في يوم 14 أبريل 1924م، وفي 30 أبريل 1924م، وفي 15 مايو 1924 قد دار قتال عنيفٌ بين المجاهدين والقوات الإيطالية الكبيرة التي كانت تسعى إلى تطويقهم، وقد كانت زاوية القصور منذ بداية نزول الإيطاليين بالجبل الأخضر مركزاً لتجمع المجاهدين الذين تصدوا في أبريل 1913م لحملات الجنرال تساوني ضد المرج وشحات، وقد لعبت زاوية القصور دوراً هاماً في معركة الجهاد، فجرت يوم 19 مارس 1924م معركة عنيفة هامة بين قوات الطرفين، إذ كانت القوات الإيطالية

تحاول السيطرة على الموقع، واتخاذه حامية من حامياتها؛ إلا أن المجاهدين قاوموها بعنف، وأعادوها إلى قواعدها بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في الأرواح وفي العتاد، وفي تاريخ 20 مارس 1924م قام الجنرال مومبللي بهجوم كبير على المجاهدين في أم الجوابي بالجبل الأخضر، وكان قصدهم الالتفاف على دور العبيد وتطويقه، إلا أن العملية فشلت، والتقى الطرفان في معركة أخرى في موقع (علم الحاضر) حيث جرت معركة مع نفس القوة الإيطالية، واستطاع المجاهدون في هذه المعركة إجبار القوات الإيطالية على التراجع، وخرجت القوات الإيطالية في تاريخ 10 أبريل 1924م لمهاجمة مواقع المجاهدين في موقع بليحوش في الجبل الأخضر، وقد دارت معركة دامية خاضها المجاهدون بجلد وقوة، ثم أجبروا القوات الإيطالية على التراجع، وقد شبت معركة أخرى بين المجاهدين والقوات الإيطالية في منطقة (بئر الضائر) في جنوب الخط الواصل بين مراوة وسلنطة في يوم 16 أبريل 1924م، وقد فشل الإيطاليون في هذه المعركة في التقدم بالجبل الأخضر، وعادوا على أعقابهم خائبين.

واستمرت القوات الإيطالية في محاولتها إلحاق ضربة شديدة بقوات المجاهدين، فاشتبكت معهم في معركة حامية يوم 8 مايو 1924م، انتهت بفشل القوات الإيطالية في محاولة تطويق المجاهدين كما وُضعت الخطة.

وفي إطار المحاولات الإيطالية التغلغل في الجبل الأخضر وقعت معركة أخرى بزاوية النيّان بجنوب مراوة (11 مايو 1924م) انهزمت فيها القوات الإيطالية شر هزيمة، وخسرت الكثير من رجالها وعتادها، كما سقط من المجاهدين بعض الشهداء.

وكان عمر المختار في ذلك الوقت في قمة قوته، وسيطرته على الجبل الأخضر والبطنان حتى الحدود المصرية، وكان السكان المدنيون يُطيعونه، ويساعدونه، ويمدونه بما يحتاجه وفقاً للاتفاق الذي تم بينهم وبينه في بداية

العمليات، ويقول الجنرال غرازياني إنه بالرغم من الجهود التي بُذلت لجعل السكان المدنيين يخضعون لإيطاليا فإنهم لم يقبلوا أبداً الولاء لإيطاليا؛ لأنهم في داخلهم كانوا ثوراً[1].

واستمر الأهالي بالجبل الأخضر في تقديم المساعدات والعون والزكاة لعمر المختار رغم ما كانوا يتعرضون له من عقاب شديد على أيدي الإيطاليين.

وجاء الوالي الجديد (مومبيللي) إلى بنغازي وكله ثقة بنفسه، وفي رأسه مخططاتِ كان يُريد تطبيقها، وقد درس الحالة، وأوضاع المجاهدين، وأوضاع المدنيين، والأساليب العسكرية التي كانت متبعة من قبل، والتي قرر أن يغيرها من أساسها، وقد زودته الحكومة الإيطالية بكتيبتين إرتريتين، وقوة من جنود إيطاليين من وحداتهم المتمركزة في طرابلس.

وبالرغم من فشل الجنرال (مومبيللي) في جميع محاولاته الهجومية على الثوار، فقد استمر في الاستعداد عسكرياً ودعم قواته بقواتٍ ومعداتٍ جديدة بقصد التغلُب على عمر المختار في معركة فاصلة.

وقد واصل الجنرال مومبيلي هجماته على الثوار، حيث حشد قواته وقام بهجمات على المجاهدين، ودارت بينه وبينهم معركة يوم 1 يناير 1925م بوادي القطارة، وهو من المواقع التي نشطت فيها حركة المقاومة ضد الإيطاليين في نهاية سنة 1924م، وبداية سنة 1925م، حيث شن المجاهدون عدداً من الغارات على المواقع المعادية، وقد حدث اشتباك مع مجموعة منهم تتكون من 250 مشاة، و50 فارساً، وقد تولى المجاهدون زمام المبادرة، وقاموا بمهاجمة القوة المتحركة نحوهم، وتمكنوا من إلحاق خسائر كبيرة بها، بالرغم مما كانت تتميز به من تفوق عددي[2].

(1) غرازياني، السلام الروماني في برقة المذكور، ص196 .

(2) معجم معارك الجهاد، بيروت، 1972م، ص514 .

وقد جرت معركة يوم 3 فبراير 1925م في وادي سمّالوس، وأتبعتها معركة أخرى في 18 أبريل 1925م، وكان هذا الوادي من مسارح الحرب في الفترة التي تولى قيادتها عمر المختار، وقد شهد هذا الوادي منذ بداية الصدام عُقب سنة 1923م عدة معارك، وعمليات حربية تصدى فيها المجاهدون للمحاولات الإيطالية الرامية إلى السيطرة على الجبل، والقضاء على المقاومة، وتميزت كل المعارك بالعنف والضراوة، صمد فيها المجاهدون أمام الهجمات الإيطالية المتواصلة وردوها، ودارت معركة أخرى يوم 5 فبراير 1925م بزاوية الحمامة جنوب البيضاء، كما دارت معركة أخرى في 13 أبريل 1925م ببئر تنجدر في منطقة مراوة، ومعركة أخرى وقعت في منطقة قصر أبي عسكر التي تقع في السفوح الجنوبية الوسطى من الجبل الأخضر يوم 14 أبريل 1925م. وقد فشل الإيطاليون في تحقيق أي نجاح في هذه المعارك التي شنوها على المجاهدين بقوة وإصرار.

وفي سبيل احتلال الجغبوب سنة 1926م، تكونت حملة إيطالية كبيرة من 91 ضابطاً، و731 جندي إيطالي، و1645 مرتزقة ارتريين، و36 سيارة مدرعة، و305 سيارة نقل، و115 حصان(جواد)، و4 مدافع، و60 رشاشاً، وتحركت هذه القوة لاحتلال الجغبوب في 30 يناير 1926م، وقد سبق هذا أن حلقت الطائرات فوق الواحة، وألقت عليها مناشير باسم الوالي تعلمها فيه بأن الواحة ستُحتل، وأن القوات الإيطالية ستحترم كل شخص لم يقم باعتداءات عليها، وأن القوات الإيطالية ستحترم العادات الدينية، وزيارة قبر السيد محمد ابن على السنوسي.

وقد قامت هذه القوات الضخمة بالزحف على الجغبوب، وهي على استعداد للقتال إلا أنها عندما وصلت الواحة قابلها شيخ الزاوية ومعه بعض الطلبة، وقال لهم إن الواحة ليس فيها إلا نحن وبعض السكان الفقراء.

وخشيت القيادة الإيطالية عندما قررت احتلال الجغبوب أن تتحرك

قوات عمر المختار لنجدة المدافعين عن الجغبوب، وقامت قواتها بتصعيد العمليات الحربية بالجبل الأخضر لإشغال قوات عمر المختار ومنعهم من نجدة إخوانهم في الجغبوب، وكان المجاهدون من المغاربة قد رابطوا بأدوارهم في وادي فرج، ورابط العواقير في ساونو، والعبيد في آبار الزوزات، والبراعصة في بئر الزيتون، والحاسة في الحليقية، وقامت القوات الإيطالية بحملة واسعة في المنطقة لملاحقة هؤلاء المجاهدين، وانطلقت من قواعدها في الأبيار وشحات والمرج في اتجاهات مختلفة، ودارت بين الطرفين معارك عديدة في قصر تاكسيس يوم 26 يناير 1926م، ومعركة آبار الزوزات يوم 30 يناير 1926م، وكان عمر المختار بطل هذه المعارك، والقائد الملهم الذي أدار دفتها وقت الهجوم والدفاع والانسحاب عندما يقتضي الأمر.

وواصل الإيطاليون هجماتهم على المجاهدين، فالتقى الطرفان في معركة حامية يوم 30 يناير 1926م في قصر تاكسيس الواقع جنوب مراوة، وانتهت المعركة بفشل المهاجمين وردهم على أعقابهم.

وقد استمرت محاولات الإيطاليين لتحقيق هدفٍ من أهدافهم بمهاجمتهم المستمرة للمجاهدين، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أغراضهم، وكانوا يعودون إلى قواعدهم خائبين، ونذكر من هذه المعارك معركة قصر تاكسيس يوم 6 مايو 1926م، التي دارت رحاها حامية بين الطرفين، وانتهت بفشل القوات المهاجمة، كما دارت معركة أخرى يوم 28 مايو 1926م، حيث هاجمت القوات الإيطالية قواعد المجاهدين في منطقة آبار السرير الواقعة في منطقة الشعفة، وتصدى المجاهدون للقوات المهاجمة، وأعادوها إلى قواعدها تجر أذيال الفشل والعار، وفي نفس اليوم وقعت معركة أخرى في وادي سمّالوس اقتتل فيها الطرفان بشدة وضراوة، وانتهت بعودة المهاجمين، وفي يوم 29 مايو 1926م دارت معركة أخرى بين الإيطاليين وقوات المجاهدين في قصر

أبي عسكر، وقد تراجعت القوات الإيطالية بعد أن عجزت عن الوصول إلى هدفها؛ بسبب شدة المقاومة التي واجهتها.

وكان الجنرال مومبيلي يريد أن يُحقق ولو انتصاراً واحداً على المجاهدين بعد أن وضعت فيه روما ثقتها الكاملة، ولكن الفشل الذي واجه قواته حيثما حلّت جعله يُدرك أن المعركة قاسية، وأن عمر المختار ليس بالقائد السهل الذي يمكن التغلب عليه، وقد أمر بإعادة تشكيل قواته وتوزيعها على الأماكن الحساسة، وتشديد الهجمات على المجاهدين.

وقد أمر بمواصلة الهجمات الشديدة على المجاهدين، فالتحمت القوات الإيطالية مع قوات عمر المختار في يوم 30 يونيو 1926م في معركة حامية بوادي الجرِّيب انتهت كالعادة بفشل المهاجمين، وعودتهم خائبين.

وكانت روما تتبعُ باهتمام كبير العمليات الحربية التي كان يقوم بها الجنرال مومبيلي وتأثيراتها، وقد تأكدت أن الجنرال مومبيلي قد عجز عن تحقيق الأهداف المرجوة منه؛ ولذلك تم الاتفاق على سحبه وإرسال بديلٍ جديد عنه عساه يستطيع أن يحقق ما فشل الجنرالان مومبيلي وبونجفاني في تحقيقه.

الجنرال تيروتسي والي برقة الثالث :

بعد أن أمرت الحكومة الإيطالية بسحب الجنرال مومبللي؛ لفشله في تحقيق أهدافها، وإرسال بديل غيره عسى أن ينجح فيما فشل في تحقيقه أسلافه، ووقع اختيار موسوليني على الجنرال تيروتسي رفيقه القديم في الحركة الفاشيستية، ومن كبار رجالها، وقد قبل المنصب، واتصل بوزير المستعمرات وزمرته المتطرفة، وزودوه بالنصائح، وأطلعوه على الوضع في برقة، وسبب عجز الولاة السابقين في القضاء على ثورة عمر المختار، وبضرورة الضرب بشدة على الثوار، ومعاملة السكان الذين يتعاونون مع

الثوار بعنف، وقسوة، وطلبوا منه أن يكتب للوزارة في حالة حاجته إلى قوات إضافية أو أسلحة متطورة.

وكان الجنرال تيروتسي رجلاً دمث الأخلاق معتدل الأفكار والتصرفات، ولم يكن دموياً كالذين خلفوه في الحكم، وكان موسوليني قد طلب من الجنرال تيروتسي إبعاد العناصر المناوئة للنظام الفاشيستي عن برقة؛ لأنهم يقومون بأعمال ضارة بالنظام.

ووصل تيروتسي بنغازي عام 1927م، واستُقبل بمثل ما أُستُقبل غيره من الولاة الذين سبقوه، بحفاوة وهتافات وتقدير، وشرع في دراسة الأوضاع المحلية، ووضع الثورة، ووسائل تموينها بالمؤن والرجال والأموال وعلاقتها القوية بالحدود المصرية التي كانت مفتوحة على مصراعيها تزود الثوار بما يريدونه، وتبيع لهم ما كانوا يريدون بيعه من حيوانات استولوا عليها من الأعداء أو أعطاها لهم السكان كضريبة زكاة.

واهتم الجنرال تيروتسي بالمعارضين للحزب الفاشستي أكثر من اهتمامه بمحاربة الثوار، وقد أخذ يلاحق هؤلاء المعارضين ويتتبعهم ويتحرى عنهم، وإذا ما ثبتت التهمة على أحدهم أمر بإبعاده إلى إيطاليا، وكان أغلب هؤلاء المعارضين قد وجدوا مأمناً في بنغازي في سنوات الصلح بين السنوسيين والإيطاليين، فاختلطوا بالعرب، وارتبطوا بصداقات مع بعضهم، وكانوا سعداء بمرحلة السلام التي وصلت إليها البلاد، وحالة الاستقرار والهدوء التي تسودها، وعندما قامت الفاشستية، وعرفوا عقيدتها وأهدافها وسياستها حنقوا عليها، ورفضوا التعاون معها، إلا إذا كان هذا التعاون مفروضاً عليهم.

وبالرغم من العداء الذي عاد من جديد بين العرب والإيطاليين، والحرب التي اشتعلت من جديد، فقد حافظ هؤلاء على صداقاتهم مع العرب

وكراهيتهم للنظام الفاشستي القائم، وعندما انتظمت الثورة بقيادة عمر المختار ومقاومته الشديدة الناجحة للقوات الإيطالية؛ رأوا أن من واجبهم مساعدة الثوار؛ وذلك بمدهم بالمؤن والسلاح، وكانوا يتقاضون ثمن المؤن والسلاح الذي يزودون به الثوار ويربحون من وراء هذه العمليات، وكانت الصفقات تتم في مرابيع بنغازي، ويُسلم السلاح والسلع في أماكن معينة يتفق عليها الطرفان، وكان هؤلاء المعارضون بمقتضى عملهم مع الدولة يستطيعون الحصول على بعض الأسلحة التي تستوردها الحكومة؛ لتسليح الجيش والمرتزقة الليبيين، والرجال الذي أعلنوا عن تعاونهم مع الحكومة ضد الثوار في حين كان تعاونهم صادقاً مع الثوار المجاهدين.

واستمر تيروتسي في تعقب هؤلاء الإيطاليين وترحيلهم إلا أنه لم يصل إلى بعضهم بعدما ضللوه بمواقفهم المزيفة، وواصلوا تعاونهم مع الثوار في حذر شديد وبكميات أقل من السابق، وقد ساعد هؤلاء الرجال الثورة، وأيدوها ووقفوا إلى جانبها رغم أنهم كانوا إيطاليين وبعضهم يعمل مع الحكومة، والبعض الأخر يعمل في الأعمال الحرة.

وعندما تولى الجنرال غرازياني الحكم في برقة كان لا يزال هناك بقايا من هؤلاء المعارضين، فهاجمهم وأبعدهم عن البلاد، وكان غضبه شديداً منهم؛ فهم إيطاليون يساعدون عمر المختار ضد القوات الإيطالية، وقد قرر إنزال عُقوبة الإعدام على العرب الذين يتعاونون مع الثوار، فما بالك بالإيطاليين.

وكتب غرازياني في كتابه (برقة الهادئة) بهذا الصدد ما يلي: (من المخجل أن يسلك بعض الوطنيين الإيطاليين هذا السلوك المعيب في حق حكومتهم ووطنهم ومن أجل الإثراء عن طريق تهريب المؤن والأسلحة للثوار، وآسف لتكرار هذا الكلام في حق الوطنيين الإيطاليين، وأضع يدي على هذه النغمة الحساسة الحزينة التي تجرح كرامة بلدنا وعلمنا وتحز

في إحساسنا ونفوسنا، إلا أنه كان من واجبي أن أعرى هذه الشرذمة بحيث يطلع عليها أي مواطن في البلاد وخارجها ليأخذ عبرة من هذه الأعمال الهدامة التي تبثها السنوسية في طريق تقدمنا حتى وصلت بها الوقاحة بأن تؤثر على قلوب بعض الضعفاء لتستغلها لصالحها ولصالح الثوار، أن هؤلاء الضالين وصلت بهم الخيانة بأن يدعوا بأنهم موالون للقوات الزاحفة بينما الأسلحة والذخيرة والمؤن كانت تُباع إلى الثوار علناً أمام الخاص والعام وتحت ستار مواد للقوات الإيطالية)[1].

اهتم الجنرال تيروتسي اهتماماً بالغاً بمدينة بنغازي، وإصلاحها، وتحسينها، فقد أُنشِأ في عهده صندوق توفير برقة الذي ساهم مساهمة كبيرة في نهضة بنغازي العمرانية والاقتصادية، فكان هذا الصندوق يتولى الإقراض للبناء والتجارة والزراعة والصناعة ومجالات أخرى، وكان يقدم نصف قيمة المبنى المزمع إنشاؤه قروضاً، وعندما يتم البناء وفقاً للشروط التي وضعتها الحكومة، فهذه الأخيرة تمنح نصف قيمة البناء هبةً منها؛ لتشجيع الناس على العمران، وبهذا الشكل قامت البنايات على جانبي شارع جمال عبد الناصر، ومن الميناء حتى شارع عمرو بن العاص، ومن جنوب هذا الشارع إلى سيدي حسين والبركة، وأُنشأت بشارع الشابي مبان جميلة متناسقة قام تحتها سوقٌ كبيرة من أهم أسواق بنغازي، واتخذت بذلك مدينة بنغازي شكل المدينة الحديثة، وازداد سكانها بمزيدٍ من الإيطاليين.

وقام الجنرال تيروتسي ببناء الفندق البلدي الذي كانت المدينة في حاجة إليه، وأصبح سوقها الرئيسي للحبوب والخضراوات والفواكه، وقام بعد ذلك ببناء الملعب البلدي الذي كان يقع في جنوب الفندق، وبناء الكاتدرائية الكبيرة، وشيد فندق الجزيرة، ومسرح برنيقة، وشُيدت منارة بنغازي

---

(1) غرازياني، برقة الهادئة، بنغازي 1975م .

في عهده، وكانت المنارة القديمة تقع في مواجهتها على شاطئ البحر، وقد بنتها في السابق شركة فرنسية، وكانت تقع إلى جانب السجن الذي اندثرت أثاره الآن، واستعمل الإيطاليون المنارة مستودعاً للمياه، وتعتبر هذه المنارة اليوم رمز مدينة بنغازي.

وحاول تيروتسي بناء ميناء جديدة لبنغازي إلا أنه أخفق؛ لأن تكاليف البناء في ذلك الوقت كانت تتجاوز 200 مليون ليرة، وكان موسوليني لا يبخل عليه بالأموال؛ إلا أن المبلغ المطلوب كان كبيراً بالنسبة للحكومة الإيطالية، وقُدر لميناء بنغازي أن تبقى على وضعها حيث لا تستطيع البواخر الكبيرة الرسو فيها، بل تقف خارج الميناء، وتتولى القوارب نقل الركاب والبضائع إلى الميناء، ولم تتمكن حكومة المستعمرة من بناء ميناء كبيرة لبنغازي إلا في أواخر الثلاثينات، وقبل أن يتم بناء الميناء اشتركت في تدميرها الطائرات البريطانية والألمانية والإيطالية، وذلك خلال الحرب العالمية الثانية.

وتحدث تيروتسي مرة من شرفة قصره إلى الجمهور يحدثهم عن القتال الدائر بينه وبين عمر المختار، فقال (لقد عثرنا في إحدى المعارك على نظارة عمر المختار، وهذا دليل على أننا قريباً سنعثر عليه)، وكانت هذه النظارة هي التي أراها غرازياني لعمر المختار يوم مقابلته له، وقال له: (إنه منذُ وقوع هذه النظارة بأيدينا توقعنا وقوعك أيضاً).

أما فيما يتعلق بالحرب ما بين الإيطاليين وعمر المختار، والتي أُرسل تيروتسي لإنهائها لصالح إيطاليا، فإنه قد أعد عُدته، وحشد الكثير من جنوده ومعداته بقصد مهاجمة الثوار والقضاء عليهم، وكان المجاهدون قد خاضوا عدة معارك ضد الإيطاليين في شهر يناير عام 1927م، ثم تحولوا إلى منطقة قبيلة العبيد، بالنظر لما تُوفره من إمكانيات للتجمع، وإعادة التنظيم والاستفادة من المراعي الرائعة، في هذه المنطقة الخصبة، وضرب العدو لهذا التجمع ألف حساب، وتخوف من الاحتمالات التي يمثلها وجود تلك القوة الصغيرة

من المجاهدين التي لا تزيد عن 350 مجاهداً، وفقاً لتقدير المخابرات الإيطالية نفسها، وما كادت تنتهي إلى القيادة العسكرية بالمنطقة معلومات عن وجود هذا التجمع بقيادة عمر المختار، حتى بادرت إلى طلب الموافقة على القيام بهجوم فجائي على هذا الدور، وخرج فعلاً الميجر(باسي) بقوة مكونة من 12 ضابطاً و744 جندياً، بالإضافة إلى المدفعية والسيارات المصفحة، والطائرات، وكان هدف القوات الإيطالية التطويق والقضاء على المجاهدين الموجودين في المنطقة، إلا أن عيون عمر المختار قد أنبأته بتحرك الإيطاليين، وبعدد قواتهم ومعداتهم؛ فاستعد لهم، وتحركت هذه القوة الإيطالية في مساء 27 مارس 1927م، في اتجاه جردس العبيد التي وصلتها في صباح اليوم التالي، ثم واصلت زحفها عبر الغابات الكثيفة المنتشرة في هذه المنطقة، ولكنها ما كادت تقترب من أم الجوابي حتى بدأت تواجه مقاومة، وأخذت المقاومة في التزايد على طول الطريق التي كانت تسلكها القوة الإيطالية، حتى بلغت منخفض الرحيبة التي جرها المجاهدون إلى مواقع اختاروها، حيث وقعت معركة من أكبر المعارك التي خاضها عمر المختار، والتي كبدت العدو خسائر باهظة، وتعتبر معركة الرحيبة من أعنف وأنجح المعارك التي جرت في هذه المرحلة من الجهاد يوم (28 مارس 1927م)، واستطاع العدو أن يحتلّ بعض المواقع المرتفعة، إلا أن المجاهدين عادوا بعد ذلك إلى شن هجومهم المضاد في اتجاه أمامي، مع حركة التفاف، شعر بعدها القائد الإيطالي باستحالة بلوغ أهدافه؛ فأصدر الأمر بالانسحاب، ولكن المجاهدين لم يمهلوه حتى يحقق هذا الانسحاب؛ فاستغلوا فرصة التفكك الذي بدأ في قوات العدو، وساعدتهم على ذلك معرفتهم بمسالك الغابة، وتمكنوا بذلك من الإحاطة بقوات العدو، وفصل بعضها عن البعض الآخر، وبذلك حققوا انتصاراً باهراً على القوات الإيطالية ظل يؤلم القيادة الإيطالية سنوات عديدة، وتعترف المصادر الإيطالية بالفشل الذي حققته قواتها من هجومها

الكبير على المجاهدين، وبالهزيمة النكراء التي تعرضت لها القوات الإيطالية في معركة الرحيبة، وقد عزا الإيطاليون هزيمتهم في هذه المعركة إلى التقدير الخاطئ لقوة المجاهدين، والمبالغة في تقدير قوة المجندين العاملين في صف القوات الإيطالية، وإلى التردد، وعدم وضوح الهدف، ثم الخطأ في اتخاذ قرار الانسحاب أثناء المعركة.

ويعترف الجنرال تيروتسي بالهزيمة المنكرة والخسائر الكبيرة التي بلغت ستة ضباط، و340 جندياً قتيلاً، ويقول إن الصراع كان ملحمياً، وقد جرى جسداً لجسد، وكان وقعُ هذه الهزيمة على وزارة المستعمرات والحكومة الإيطالية شديداً ومؤلماً، فقد كانت روما تنتظر من تيروتسي القضاء على عمر المختار لا هزيمة القوات الإيطالية.

وقد برر تيروتسي أسباب هزيمته في الرحيبة تبريراً طويلاً، أخذ حيزاً من كتابه (برقة الخضراء)، وقد جاء في هذا التبرير:

(ولكني أفضل أن أنقل هنا أهم النقاط البارزة من التقرير الذي أرسله إليّ قائد الجيش، بعد أن أجرى تحقيقه على الطريقة التي تمت بها المعركة التي عُرفت باسم معركة الرحيبة، والأسباب الرئيسية للفشل، وقد كان التقرير موضوعياً وهادئاً، وإذا كان حقاً ما يُقال من وجوب الاستفادة من الأحداث الفاشلة؛ فإن الإحاطة بهذا التقرير ومعرفته، يمكن أن تفيد في صياغة تلك الممارسة الاستعمارية التي ما تزال قليلة الانتشار فيما بيننا.

وقد قيل في ذلك التقرير:

تنفيذ الخطة العملية: عند الساعة السادسة من يوم 27 مارس، أمر الميجر (باسي) بتجميع القوة العاملة تحت قيادته عند الساعة الثامنة، مع ما يلزمها من معدات المعركة، وعند الساعة التاسعة والخامسة والأربعين دقيقة، كانت القوة مشكلة على النحو التالي الكتيبة السابعة الليبية، قسم بطاريات ليبية،

باندة من الفرسان ويبلغ مجموع القوة 12 ضابطاً، و744 جندياً، وقد تحركت نحو جردس العبيد التي وصلتها في اليوم التالي عند الساعة التاسعة صباحاً.

وعند منخفض جردس العبيد جمع الميجر (باسي) الضباط، وأبلغهم بنيته في مفاجأة الدور الذي كان يقدر قوته بحوالي 250 رجلاً، وفي الساعة السادسة والخامسة والأربعين دقيقة بدأ الزحف نحو الهدف عبر غابات كثيفة، وحوالي الساعة السابعة والنصف بدأت الطلائع تتصل بدوريات العدو قرب أم الجوابي، وتابعت القوة زحفها عبر مقاومة متصاعدة متزايدة حتى بلغت منخفض الرحيبة حيث التحمت كل قواتها في المعركة.

وقد تم الاستيلاء على المنحدر الواقع إلى جنوب هذا الموقع بعد معركة رائعة، ولكن بعد فترة من التوقيف قصيرة، عاد العدو إلى شن هجمات مضادة أمامية، كما شن في الوقت نفسه هجوماً تطويقياً من الشرق، وقد أدرك القائد أنه لم يعد في وسعه أن يبلغ الهدف، وخاف من عواقب التطويق والالتفاف، فأصدر أمره بالانسحاب تمهيداً للعودة.

وقد تمت هذه المعركة تحت ضغط متزايد من العدو الذي زاد من جرأته بطريقة غير عادية، بل إن الهجوم التطويقي الذي تم عبر الغابة قد باغت بعض الفصائل أثناء حركتها، وهكذا أمكن عزل الفصائل الصغيرة ودحرها، وقد ضعفت المقاومة وآلت إلى مقاومة مضطربة، تقوم بها جماعات تدافع عن نفسها، والتي كانت في النهاية تنهزم بطريقة غير منظمة نحو الإبادة، بالنظر إلى أن الطريق نحو جردس قد احتلتها قوات كبيرة).

وكانت أولى الإجراءات التي بدت لي كما بدت للقائد العام ملحة وضرورية، هي العمل الفوري في الجبل على إعادة تلك الهيبة العسكرية التي هزتها هزيمة الرحيبة.

ويشير تيروتسي بعد معركة الرحيبة إلى الوضع السيئ الذي كانت عليه القوات الإيطالية، فيقول: (وقد خرج الجنرال (شي) من اتصاله المباشر مع القوات التي قُدر أن يعمل معها اعتباراً من أبريل بانطباعات سيئة، للنقص الواضح الذي لاحظه في الملابس، وفي التجهيز، وفي التسلح، بل أنه تلقى من قادة الكتائب المختلفة عرضاً غير مريح حول الإعياء البدني الذي تعاني منه الفصائل، ونوعاً من التذمر والاستياء لم يسلم منه حتى الضباط.

وقد دفعه ذلك إلى الاقتناع بعدم إمكان القيام بالعمليات المزمع القيام بها، واقترح في تقرير رفعه إليّ بتاريخ أول أبريل بأن نتكاثف في إعادة تنظيم القوات، ثم نمضي بعد ذلك حتى النهاية في العمل ضد الثوار، بعد أن يكون الجهاز العسكري قد استعاد كل فاعليته ونجاعته... كان تقرير الجنرال (شي)، الصريح قد كشف عن حس عالٍ من المسؤولية، وجدية مشكورة في تحديد الأهداف، ومع ذلك فقد بدا لي مطبوعاً بطابع من التشاؤم الزائد الذي لم أتردد في تنبيهه إليه).

وبعد انتصار الرحيبة المجيد، وتوقعاً لردود فعلٍ عنيفة من قبل الإيطاليين، قام عمر المختار بتغيير إستراتيجيته من مواجهة العدو بحشود أدوار متفرقة، حسب المرابطة المعتادة، إلى صف موحد لقواته، وأخذ يستعد لمواجهة القوات الإيطالية والصمود أمامها.

ويعلق الجنرال تيروتسي على الوضع العام بعد معركة الرحيبة، ويقول إن الوضع في الجبل لم يكن وردي اللون، ولا سهلاً، ففي شهر مارس سنة 1927م، أشارت المعلومات الواردة من مختلف المتصرفيات، بعد أن جرى تنسيقها وفحصها من قبل القسم السياسي لإدارة الشئون المدنية والسياسية للحكومة، إلى مواقع المرابطة التالية لقوات المجاهدين:

قطاع وادي الفارغ والواحات:

جالو من 50 إلى 100 مسلح.

دور قجة بن عبد الله من 200 إلى 250 مسلحاً.

دور المنشقين من العواقير من 150 إلى 200 مسلح.

دور المغاربة الشرقيين بقيادة الصديق الرضا السنوسي من 500 إلى 600 مسلح.

المجموع: من 930 إلى 1150.

و يمكن الاعتقاد بأنها أرقام غير كاملة، إذ أن عدداً كبيراً من الأسلحة يوجد لدى القبائل، وليس من السهل إحصاؤها ضمن الفاعلية الواقعية المستمرة للتجمعات التي اتخذت اسم (أدوار) أو معسكرات المحاربين.

قطاع الجبل :

دور العبيد من 450 إلى 500.

دور البراعصة من 500 إلى 550.

دور الحاسة والعبيدات من 300 إلى 350.

دور الكوف (و يتألف من الدرسة والبراعصة من 150 إلى 200).

الطابور المصراتي من 50 إلى 70.

المجموع: من 1450 إلى 1670.

قطاع البطنان :

جماعات منفصلة تبلغ مجموعة قواتها من 80 إلى 100 مسلح.

إذن يوجد في الجبل من 1500 إلى 2000 مسلح 25% منهم فرسان، أُحسِنَ تدريبهم وتجميعهم (عدا القوة المنفصلة في الكوف)، وهم مزودون بروح حربية لا يستهان بها، وقد ازدادت هذه الروح جرأة بعد النجاح الذي حققوه في الرحيبة.

وكانت هذه الأرقام التي ذكرها تيروتسي، وتصوره لوضع المجاهدين أقرب إلى الموضوعية، إلا أن عدد المجاهدين وتنظيمهم وتوزيعهم لا يعرفه إلا عمر المختار والمحيطون به.

وقد أحدث انتصار الرحيبة موجة من الفرح بين الليبيين كافة، والليبيين الذين في المهجر، وقد ظنوا أن هذا الانتصار فاتحة انتصارات أخرى، ستؤدي إلى تحقيق الأهداف التي يدور من أجلها الصراع، وقد ارتفعت معنويات المجاهدين والسكان على السواء، وأصبحوا يفتخرون بثورتهم المجيدة، والتي يؤملون أن تحقق أهدافهم.

وبعد شهر من الانتصار الذي حققه المجاهدون في الرحيبة، والذي حطم هيبة القيادة الإيطالية وكبريائها، أراد الإيطاليون أن يعيدوا اعتبارهم وينتقموا لهزيمتهم، فبلغهم بأن المجاهدين من أبناء الجبل تجمعوا في قصور المجاهير، ثم تحولوا عنها بعائلاتهم نحو بئر القندولة وسيرة، ورصدت الطائرات الإيطالية تجمع المجاهدين في حلوق الجير والغابات المجاورة له، فحشدوا قوة كبيرة تتألف من ست كتائب، وثلاثة فصائل فرسان، وقوة غير نظامية، وستة أقسام مدفعية، وعدداً من الطائرات، بقيادة قائد الجيش الإيطالي في الجبل الجنرال متزتي، وذلك للقيام بهجوم مفاجئ على أدوار المجاهدين، ونجوع عائلاتهم، مستعينة في تحركاتها بالطيران الذي تولى مهمة التوجيه والإرشاد، والإغارة الجوية بالقنابل والرشاشات، وقد عرف عمر المختار من مخبريه بالأهالي تحرك هذه القوة، وعددها، وعدتها، وأخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهتها، وقد اصطدمت القوات الإيطالية بالمجاهدين في (حلوق الجير)

الواقع جنوب شرق مراوة، وذلك في يوم 27 أبريل 1927م، واستمرت المعارك حتى اليوم التالي، ولم تنجح القوات الإيطالية في عمليات تطويق المجاهدين والقضاء عليهم، وانسحب المجاهدون، وعادت القوات الإيطالية إلى قواعدها، وقد زعمت المصادر الإيطالية أن القوات الإيطالية وجهت ضربة شديدة للمجاهدين؛ وذلك لتبرير الحملة الكبيرة التي أعدوها ووجهوها ضد المجاهدين، والتي عادت بخفي حُنين.

و في يوم 11 مايو 1927م في منطقة بئر عتَّاقة، التقت قوة من المجاهدين بقوات إيطالية، وانتهت المعركة بدون أن تحقق القوات الإيطالية أهدافها.

ووقعت في مناطق عديدة من الجبل الأخضر عدة وقائع حربية خلال صيف عام 1927م، وكانت القيادة الإيطالية لا تزال تحت وطأة هزيمتها في الرحيبة، وقد قام الجنرال مترتي بعدة محاولات في الجبل الأخضر لرد الثأر، والانتقام لمعركة الرحيبة، وشنّ حملة كبيرة قاصداً منها إزالة أثار هزيمة الرحيبة، والتأكيد على الفعاليات العسكرية للقوات الإيطالية؛ فحرك قوة كبير بقيادته تتكون من ست كتائب، وثلاثة فصائل فرسان، وفصيلة فرسان غير نظامية، وستة أقسام مدفعية، بالإضافة إلى الطيران، وغادرت هذه القوة مراوة، متجهة نحو مراكز تجمعات القبائل الثائرة الذين اصطدمت بهم في معارك كثيرة؛ انتهت بلا غالب ولا مغلوب، وعادت القوة الإيطالية إلى قواعدها دون أن تحقق أي هدفٍ من أهدافها.

وقد توقف الإيطاليون عن القتال في شهر مايو؛ لتنظيم قواتهم، ومعالجة رجالِهم، والاستعداد من جديد لخوض معارك أخرى حددُ لها شهر يوليو سنة 1927م.

ويُشير المخبرون الإيطاليون إلى أن عمر المختار قد استعد لمواجهة

الحملات الإيطالية المقبلة، وأبعد العائلات عن مواقع الأدوار، واحتاط لنقص المياه وقد تزود بعدد كبير من القرب؛ لكي يكون احتياطياً مائياً، وغايته الواضحة من ذلك أن تكون له حرية الحركة والعمل في المناطق الخالية من الماء، ولعله لم يطرح من حسابه العمل في تلك المنحدرات الجنوبية من الجبل، وبصفة عامة فإن كل شيء يُظهر النية المحددة في إبداء مقاومة صامدة.

وفي صيف عام 1927م قامت الحكومة الإيطالية بحملاتٍ كبيرة شارك فيها ألاف الجنود والمصفحات والمدفعية والفرسان وأصحاب القمصان السود الإيطاليون، ودارت معارك كثيرة بينهم وبين المجاهدين، وادعى الإيطاليون قتل مئات المجاهدين، وغنيمة آلاف الحيوانات، ومطاردة المجاهدين؛ إلا أنهم في اليوم التالي وجدوا أمامهم قوات المجاهدين صامدة تنتظرهم؛ لتقاوم هجومهم وتردهم خائبين، إن المتتبع لأخبار تيروتسي عن المعارك والقتلى من المجاهدين يظنُ أنه لم يبق مجاهد واحد على الجبل الأخضر، وإنما الغاية لا تزال محاولة الانتقام لمعركة الرحيبة، وإصابة المجاهدين بضربةٍ قاضية، وهذا ما لم يتحقق، ولن يتحقق طيلة ولاية الجنرال تيروتسي.

وكان من أهم المعارك التي نشبت في هذه الفترة معركة بئر الزيتون التي جرت يوم 10 يوليو 1927م، حيث تصدى المجاهدون لقوات متزتي الزاحفة من مراوة، وقد انتهت المعركة بخسائر للطرفين، حيث تقول المصادر الإيطالية أنه سقط من المجاهدين 30 شهيداً، ولم تذكر شيئاً عن خسائرها التي كانت كبيرة.

ولم تكف القيادة الإيطالية عن توجيه قواتها باستمرار؛ لملاحقة المجاهدين، والاصطدام بهم عسى أن تحقق نصراً تنتقم فيه لمعركة الرحيبة، وحاولوا بثقلهم العسكري أن يضيقوا الخناق على حركة الجهاد، ويقضوا عليها بكل الوسائل، فألقوا بثقلهم العسكري كله في عمليات مطاردة وملاحقة

للمجاهدين، وتشتيت تجمعاتهم، وتفريقهم، إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل، وظل عمر المختار ورجاله صامدين لمواجهة هجمات جديدة.

و قد خرج الجنرال متزيتي قائد القوات الإيطالية في برقة على رأس حملة كبيرة في يوليو عام 1927، أخذت تجوب تلك المناطق الجبلية الوعرة، وبينما كانت قواته تحط رحالها قرب رأس الجلاز للاستراحة، فوجئت فجر يوم 13 يوليو 1927م، بأحد أدوار المجاهدين، يتحول إلى تلك المرتفعات تحت حماية بعض المدافعين الذين كانوا يتولون حماية مؤخرة الدور، وتأمين انتقاله، وبادر هؤلاء المدافعون إلى إطلاق النار على القوة الإيطالية، ونشبت في الحال معركة عنيفة هامة، استمرت بضعة ساعات، وكانت واحدة من سلسة المعارك التي جرت خلال هذه الفترة في الجبل الأخضر.

وترتبط بهذه المعركة الهامة، عدة معارك أخرى جرت خلال هذه الفترة، وحاول الإيطاليون منها رد اعتبارهم الذي أهتز في معركة الرحيبة.

وبالرغم من ادعاء تيروتسي تشتيت قوات المجاهدين وبعثرتها في كل مكان، وعدم قدرتها على المقاومة، نجده في عام 1928م يتحدث عن قواتٍ كبيرة للمجاهدين بقيادة عمر المختار تقف وتستعدُ لمواجهة أي هجوم إيطالي. وفي ديسمبر سنة 1928م غادرت قافلة صغيرة مكونة من أربعة وثلاثين فرداً من أفراد القمصان السود الإيطاليين، وبينما كانت تجتاز غابات الوادي التي تؤدي من غوط الساس إلى جردس العبيد تعرضت لوابل عنيف من النيران، قامت بإطلاقها زمرة كبيرة من الثوار كانت قد اتخذت مواقعها، متعرضة لتلك القوة، وقضى المجاهدون على جميع أفراد الجنود الفاشيست، وانتصروا عليهم انتصاراً باهراً، وكان وقع هذه المعركة على القيادة الإيطالية مؤلماً وحزيناً، وخاصة لأن جميع القتلى كانوا من الإيطاليين، كما حدثت اصطدامات أخرى بين المجاهدين والقوات الإيطالية انتهت بتراجع الأخيرين، وعدم تحقيق أهدافهم.

وبالرغم من أن تيروتسي ادعى أنه أباد أكثر المجاهدين وبعثرهم، وشتت شملهم، نراه في يناير 1928م يقول: أخذ نشاط عمر المختار يتصاعد ويتزايد تدريجياً، وينتشر من الجبل حتى البطنان.

وقد واصل عمر المختار استعداداته، وتنظيم قواته، و زيادة عددها، وقد ضم إلى قواته في هذه الفترة العواقير والبراعصة والفواخر الهاربين من سرت؛ خشية ملاحقة القوات الإيطالية لهم.

ودارت في عام 1928م سلسلة من المعارك كان يُحاول فيها الإيطاليون كعادتهم تحقيق نصرٍ على قوات عمر المختار، إلا أن جميع هجماتهم كانت تنتهي بدون نتيجة، رغم ما يدّعونه من انتصارات على المجاهدين وإلحاق الخسائر الكبيرة بهم، فقد كتب تيروتسي في كتابه برقة الخضراء المذكور أنه في 80 يوماً من صيف 1927م، قتلت القوات الإيطالية 1640مجاهداً، وغنمت الآلاف من الحيوانات، وأسرت العديد من أسر المجاهدين، وإن ما تبقى من الثوار قد تشتت شملهم، وتوزعوا في عدة أماكن من الجبل، إلا أنه يقول في أوائل 1928م إن عمر المختار يقف على استعداد لمواجهة القوات الإيطالية، إذا هاجمته، أو مهاجمتها في مراكزها وحامياتها، ومن هنا يتضح كذب الجنرال تيروتسي، ومبالغاته الكثيرة؛ رغبةً منه في إشعار الجمهور الإيطالي أنه انتقم لمعركة الرحيبة، وقضى على الثورة الليبية، وإذا نجحَ في مهمته التي أسندتِ إليه، وهي القضاء على عمر المختار وقواته، فلماذا تقوم الحكومة الإيطالية بسحبه وإبداله بغيره؟.

وكانت القيادة الإيطالية في هذه الفترة التي عجزت فيها عن القضاء على الثورة الليبية تغطي هزائمها وفشلها بادعاءات انتصارات وهمية، وأعدادٌ كبيرة من القتلى بين المجاهدين، وذلك لتُشعر روما بأنها انتصرت على الثوار، واقتربت من القضاء عليهم.

يقول غرازياني في تعليقه على الأحداث التي تمت في عهد الوالي تيروتسي: (قامت العمليات الحربية في ربيع وصيف عام 1927م؛ من أجل احتلال الواحات الواقعة على خط عرض 29، وبعد احتلال الواحات المذكورة كان بالجبل الأخضر عمر المختار ورجاله، المجتمعون في ثلاث مجموعات، وجميع السكان المدنيين كانوا إلى جانب الثوار، والحدود المصرية مفتوحة على مصراعيها لتمدهم بالإمدادات والبضائع، وكانت حكومة الليل التي يترأسها عمر المختار في قوتها رغم ما أصابها من ضرر)[1].

(1)ـــ غرازياني، السلام الروماني في ليبيا، ص208 .

الفصل الخامس

المتغيرات الجديدة وحرب الإبادة

موسوليني يواجه الوضع في برقة:

في العام الذي تولى فيه موسوليني السلطات في ليبيا لم تكن أفكاره الاستعمارية واضحة، بل كانت غير دقيقة، وأحياناً متناقضة، وإنه لم يُعد بعد برنامجه، ولكنه كان يعلم بوضوح أن وضع إيطاليا في البحر الأبيض المتوسط كان وضعاً هشاً، ولكنه كان يعتبر البحر الأبيض ذا أهمية بالغة؛ حيثُ أن أقل تغيير في البحر الأبيض المتوسط يهم إيطاليا، ومن هذه النقطة كان موضوع ليبيا، ولا شك يحوز اهتمامه، وبعد ثلاثة أيام من توليه الحكم، قابل والي طرابلس الكونت (فولبي)، وقال له يجب العمل على إعادة احتلال ليبيا، والأمر يتعلق بمرحلة نهائية؛ وهو قطع أي علاقة بالماضي، وبالرغم من أن موسوليني لم يضع برنامجاً بالنسبة لليبيا؛ إلا أنه ينوي وضع إجراءات جديدة تتناقض والإجراءات الماضية، فقد كان لا يوافق على الاتفاقيات التي تمت بين إيطاليا والسنوسية؛ لأنه كان يريدُ أن تصبح ليبيا أرضاً إيطالية، وقد وجد موسوليني في وزير مستعمراته (فيدرسوني) الرجل الذي يُطبق هذه السياسة بدون تردد.

وألقى وزير المستعمرات في المعهد الاستعماري الإيطالي خطاباً عبّر فيه عن تعليمات موسوليني بخصوص المستعمرات، في 17 مارس 1923م، التي تتلخص فيما يلي:

1- عدم القيام بمواقف مخادعة مع الثوار التي تضر العلم الإيطالي.

2- عدم التردد في تطبيق الأفكار البسيطة والواضحة لسياسة تتفق مع سياستنا ومصالحنا.

3- لن نستعمل بعد اليوم الوسائل الحربية الثقيلة في مواجهة قوات العدو السريعة والخفيفة، وإنما سنستعمل قوات قليلة وسريعة ومحاربة بتحديد الأهداف التي يجب الوصول إليها.

وظل موسوليني يسعى بكل قواه إلى بسط السيادة الإيطالية على جميع الأراضي الليبية، وفي هذا الصدد غير ثلاثة ولاة كما سبق وذكرنا، وكان يرجو من كل منهم القضاء على الثورة في ليبيا، وفي سنة 1929م صعد نجم موسوليني الدولي، واستقرت الأوضاع في إيطاليا، وبدأ في تقوية جيشه وطيرانه وأسطوله ؛ لكي يكون دولة مهابة في أوروبا، وأخذ موسوليني يُطالب فرنسا وبريطانيا بحق إيطاليا في المستعمرات التي استولت عليها فرنسا وبريطانيا بعد نهاية الحرب مع تركيا وألمانيا، وكان مؤتمر الصُلح الذي عُقد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى قد أعطى إيطاليا مدينة (تريسته)، ومقاطعة (فنيسيا جوليا) اللتان كانت تحتلهما النمسا وذلك تعويضاً لإيطاليا عن خسائرها في الحرب، إلا أن النظام الفاشستي يدعي اليوم بأن تريسته وفنيسيا جوليا أراضٍ إيطالية كانت تحتلها النمسا واستردتها إيطاليا بعد انتصارها على الأخيرة؛ ولذلك فإن حق إيطاليا في الولايات العثمانية العربية والمستعمرات الألمانية في أفريقيا يظلُ قائماً؛ لتعويض المليون قتيل ومعاق الذين ضحت بهم إيطاليا في الحرب، وبدأ موسوليني يُشاكس بريطانيا وفرنسا ورأى أن أصلح مكان لهذا العمل هي الولايات العثمانية العربية التي استولت عليها بريطانيا وفرنسا من تركيا؛ لأن أهل هذه البلاد يتحركون ويُطالبون باستقلال بلادهم، وركز موسوليني نشاطه هذا في القنصلية الإيطالية بالقدس التي كانت تتصلُ بالزعماء العرب المتمردين وتعدهم بمساعدة إيطاليا؛ لتحقيق أهدافهم، إلا أن موسوليني كان يجدُ قضية ليبيا، وتعلق العرب بها، ودفاعهم عنها، يقفُ عقبة في وجه مشاريعه.

وفي عام 1929م بعد إقالته للجنرال تيروتسي من ولاية برقة؛ لأنه فشل في تحقيق الغرض الذي كان يُريده موسوليني، وتشاور مع وزير مستعمراته الجديد الجنرال (دي بونو) الاستعماري المتطرف في العمل الذي يجب أن تقوم به إيطاليا للقضاءِ على الثورة في برقة، واحتلال جميع أراضي ليبيا،

وكان يُريدُ قائداً قوياً لا رحمة في قلبه، يُنفذ ما يُطلب منــه بــدون نقــاش، ولا مراجعة ضميره، واستعرض موسوليني مع وزير مستعمراته أسماء عدد من القادة، وأخيراً لم يجد أمامه سوى المارشال (بادوليو) (رئــيس أركــان حرب القوات الإيطالية والعسكري المعروف في كل إيطاليا بقدراته العسكرية) والذي في استطاعته أن يُحقق له أهدافه، وكان موســوليني لا يميــلُ إلــى المارشال بادوليو؛ لأنه مرتبطٌ بالملك، وشديد الإخــلاص لــه، واســتدعى موسوليني المارشال بادوليو، وعرض عليه المهمة، فوضع الأخيــر خمــسة شروط؛ لكي يقبل هذه المهمة، وهذه الشروط هي:

أولاً: الاحتفاظ بمنصبه الحالي كرئيسٍ لأركان حرب القــوات المــسلحة الإيطالية.

ثانيــاً: أن يحصل على نفس الراتب الذي كان يتقاضاه عندما كان سفيراً في تشيلي.

ثالثــاً: أن لا تقل ولايته عن خمس سنوات.

رابعــاً: أن يمنحه الملك لقب شرف.

خامساً: أن تكون له صلاحياتٌ مطلقة.

وتقبل موسوليني شروط المارشال بادوليو على مضض، كما وافق علــى شرطٍ أخر طلبه، وهو توحيد برقة وطرابلس في ولاية واحدة يكون هو رئيسها.

تولي المارشال بادوليو ولاية طرابلس وبرقة:

وصل بادوليو إلى طرابلس يوم 24 - 1 - 1929م وأصدر في اليــوم نفسه منشورين أحدهما موجه للإيطاليين أكد لهم فيه أن الاستعمار الزراعي والاستيطاني أصبح حقيقة ملموسة لا مجرد رغبة، وهذا ما سوف يحدث في برقة أيضاَ، وكان المنشور الثاني موجهاً لليبيين وقد جاء فيه: (أنتم يا سكان

طرابلس وبرقة تعرفون جميعاً منذُ سنوات أن الحكومة الإيطالية طيبة وعادلة مع من يخضع لها، ويمتثل لقوانينها وأوامرها، وهي شديدة بدون رحمة مع المعارضين الذين دفعهم جنونهم إلى الاعتقاد بأن في إمكانهم التمرد على القوة الإيطالية التي لا تقهر).

وكان في ذهن بادوليو مشروع استمالة الثوار بدون حرب، واستسلامهم الكامل للحكومة، وقد أدرك بادوليو على ضوء الوضع القائم في برقة أن الزعامة الفعلية أصبحت بيد عمر المختار، وهو وحده الذي يقرر الحرب أو السلم، ولذلك فإن المارشال بادوليو عندما أراد التفاوض مع المجاهدين عام 1929م ذهب رأساً إلى عمر المختار، ولم يتصل بزعيم أخر سواءً في برقة أو في المهجر.

وكان المارشال بادوليو قد زار ليبيا عدة مرات، ودرس أوضاعها العسكرية، وكان ملماً بأحوالها، وحروبها، ومعاركها، وكان يعلمُ أن السكان المدنيين هم الذين يقومون بمساعدة الثوار بالأموال والرجال والسلاح والأخبار، وأنه لن يستطيع القضاء على عمر المختار ما دامت هذه العلاقة قائمة بين الأهالي والثوار، وفكر بادوليو في خداع المجاهدين بإدعاء رغبته في التفاوض معهم، في حين أنه كان يرغب في الحصول على هدنة ما بين الطرفين؛ تستطيع خلالها المخابرات الإيطالية والأعوان من التغلغل في صفوف المجاهدين وإغرائهم بالمال والمأكولات والحياة الهادئة؛ لكي يتركوا عمر المختار ويعودوا إلى أهلهم وأقاربهم.

وكلف بادوليو نائبه في برقة الجنرال سيشلياني بجس نبض بعض الأعيان العرب المتصلين بعمر المختار بخصوص التفاهم بين الحكومة الإيطالية والمجاهدين، ووضع حدٍ للحرب، وإعادة البلاد إلى هدوئها وسكينتها، وقد أمر بادوليو نائبه في برقة الجنرال سيشلياني بسحب الحاميات

المتقدمة، ووضع خطة دفاعية فقط، وإعادة تنظيم قواته، والاستمرار في حوار المجاهدين؛ لإيجاد تسوية سلمية لا تتعارض مع مصالح إيطاليا.

كان بادوليو يعرف ويُدرك فاعلية عمر المختار العسكرية وخطورتها، ويعرف المصادر التي تمده بالرجال والمال والمعلومات؛ لتأمين استمرار المقاومة كما ذكرنا، وكان بادوليو يعلم أن القوات الإيطالية بوضعها الراهن كانت عاجزة عن القيام بأي عمل عسكري حاسم، وقد وصف الوضع الذي وجده في برقة في تقرير لوزير المستعمرات، جاء فيه: (وجدت في برقة وضعاً مختلفاً عن طرابلس، فقد كان عمر المختار شديد النشاط، وقادراً على مهاجمة أي من مراكزنا متى شاء، ووجدتُ قواتنا في برقة في حالة تسيب وتفكك وموزعة على العديد من الوحدات التي كانت تفتقر إلى التنسيق الأساسي، وعاجزة عن القيام بأي عمل هجومي؛ لافتقارها إلى الوسائل السوقية؛ وبسبب هبوط معنوياتها؛ لشعورها بأنها محاصرة، السكان المدنيون يتظاهرون بالخضوع لنا بينما هم في الواقع مع الثوار، ويتواصل هذا الواقع المزري منذُ سنوات، وقد بذل ثلاثة ولاة جهودهم وطاقاتهم؛ للتغلب عليه بدون جدوى، وهذا بالإضافة إلى روح التشاؤم السائدة، وسلبية الموظفين العسكريين والمدنيين، وتفشي الفساد في الإدارة)[1].

شعر الليبيون بعد سماع تهديدات بادوليو ووعيده أن البلاد غدت على أبواب متغيرات خطيرة أشد وأقسى مما سبق، إلا أن السياسة التي اتّبعها بادوليو في برقة كانت تتناقض مع تصريحاته وتهديداته، فقد أمر نائبه سيشلياني في الشروع بحوار مع المجاهدين لإيجاد تسوية سلمية لا تتعارض مع مصالح إيطاليا.

---

(1) التقرير موجود بمحفوظات وزارة الخارجية الإيطالية تحت رقم 21 – 150 ملف رقم: (50) أ. ديلبوكا.

وقد اتخذ بادوليو طريقين مختلفين؛ لحل المشكلة الليبية:

الطريق الأول: محاولة التفاوض مع المجاهدين؛ للوصول إلى تسوية سلمية تحقن الدماء، وتعيد الهدوء إلى البلاد، وتوفر على الدولة النفقات العسكرية الطائلة، وتدعم في الوقت نفسه سمعته سياسياً وعسكرياً، وذلك وفقاً لشروط إيطاليا.

الطريق الثاني: في حالة فشل المفاوضات فإن إيطاليا تكون قد كسبت وقتاً؛ لتنظيم وتعزيز قواتها والاستفادة من التغلغل بين المجاهدين، ومعرفة أخبارهم وأسرارهم، وإغرائهم بالأموال والوعود للتخلي عن القتال، فإذا أصروا على الحرب؛ فسوف تُعلن عليهم حرب إبادة تشمل الثوار والسكان ومصادر حياتهم.

ولم يسلك بادوليو طريق السلام لاقتناعه به، وإنما كما كتب جورج روشات:

(كان يرمي إلى الحصول على نجاح شخصي بوضعه حدّاً للقتال في غضون أشهر قليلة، ولم يكن يفكر في اقتسام حقيقي للسلطة مع الليبيين، وإنما كان يحاول من وراء السلام تحقيق تغلغل تدريجي داخل البلاد يحقق لإيطاليا أهدافها بدلاً من اللجوء إلى الطرق التقليدية المستندة على السلاح)[1].

وكانت الدوائر الاستعمارية وعلى رأسها وزير المستعمرات دي بونُو تعارض الاتصال بالمجاهدين أو تقديم أي تنازلات لهم، ومن المعتقد أن بادوليو لم يُقدم على فكرة الاتصال بالمجاهدين دون أخذ الضوء الأخضر من موسوليني.

وشرع الجنرال سيشلياني في الاتصال بالزعماء العرب، عارضاً عليهم فكرة بادوليو السلمية، وقد بلغَ نبأ هذه السياسة الإيطالية الجديدة سُكان برقة،

---

(1) ب. بييري وجورج روشات – بادوليو – تورينو – 1974م، ص592.

فسروا وسعدوا بهذه البادرة الطيبة، وتطوع بعض أعيان بنغازي بالانضمام إلى بعض مشائخ القبائل للاتصال بعمر المختار، وإقناعه بالحوار مع الإيطاليين، وقبل الأخير فكرة الالتقاء بممثلي الحكومة؛ للوصول إلى تسوية سلمية تعيد إلى البلاد استقرارها، وللعرب حقوقهم المشروعة.

ووقع أول لقاء بين عمر المختار والإيطاليين في يوم 20- 3- 1929م، بدار على باشا العبيدي حيث التقى بمتصرف درنة "داود ياتشي" بحضور عدد من أعيان ومشائخ البلاد، وبعد تبادل وجهات النظر اتفق الطرفان على مواصلة الحوار للوصول إلى صيغة اتفاق تُرضي الطرفين تتم الموافقة عليها في لقاء أعلى ما بين عمر المختار وحاكم ليبيا العام "بادوليو"، وتواصلت اللقاءات بين الطرفين في سانية القيقب يوم 27 - 3 - 1929م، وفي قلعة الباكور يوم 6 - 4، وفي بئر المغارة بوادي القصور يوم 20 - 4، وشارك في هذا الاجتماع السيد الرضا وعدد من المشائخ والأعيان، ولم يتوصل الجانبان في كل هذه الاجتماعات إلى صيغة مقبولة، غير أن "داود ياتشي" في لقائه مع عمر المختار يوم 27 - 5 بالقرب من القيقب قدم الشروط التي تقبل إيطاليا على أساسها السلام وإيقاف القتال، وهذه الشروط هي:

1- عودة الزعماء السنوسيين وأعضاء الأسرة السنوسية للبلاد على أن يكونوا تحت إشراف الحكومة، وأن تتم عودتهم بترخيص من الحكومة الإيطالية بصفتهم مهاجرين يرغبون في العودة إلى الوطن.

2- يستمر الاعتراف بأوقاف الزوايا وممتلكاتها، وتصرف رواتب لمشائخها.

3- استرجاع أملاك الأسرة السنوسية الخاصة بعد التحقق من صحة ملكيتها.

4- إعفاء الزوايا وأملاك السنوسيين من الضرائب.

5- تسليم المجاهدين نصف سلاحهم مقابل ألف ليرة عن كل بندقية، على أن ينضم نصف المجاهدين الآخر الذي احتفظ بسلاحه إلى تنظيمات

تنشئها الحكومة لفترة من الزمن يُتفق عليها، إلى أن يتم إعداد المكان المناسب لإقامتهم وتموينهم ومراقبتهم.

6- إبعاد الإخوان السنوسيين عن الأدوار، وتعهد الحكومة الإيطالية بأن تصرف لهم المرتبات اللائقة بمراكزهم.

وتؤكد المصادر الإيطالية التي أوردت هذه الشروط أن عمر المختار عارض بقوة فكرة نزع السلاح، ودافع عن بقاء الأدوار.

وكان عمر المختار قد أدرك من خلال مقاومته الطويلة أنه لا يستطيع بوسائل حربه الحالية ولا بمساعدة السكان له من إخراج إيطاليا من ليبيا، فإيطاليا دولة قوية مصدر جنودها لا ينضب ووراءها مصانع للسلاح تمدُ القوات العاملة في ليبيا بما تحتاجه وما تريده، وقد أخذ عمر المختار عهداً على نفسه أنه لا يستسلم أبداً لعدوه، وأنه سيواصل القتال حتى الموت،إلا أن طلبَ الإيطاليين الحوار معه جعله يعيد النظر في مواقفه، ويحاولُ أن يلتقي مع الإيطاليين في نقطة تضمنُ حقوق الليبيين وتضع حداً للقتال وتعيد البلاد إلى هدوئها وأمنها، ولذلك قبل فكرة الحوار مع الإيطاليين؛ معتقداً إن هذا الحوار سيؤدي إلى حصول البلاد على بعض الحقوق والامتيازات الشبيهة بما حصلت عليه عام 1920م، غير أنه في داخله كان لا يثقُ في الإيطاليين، ويخشي غدرهم، وتسلطهم عليه، وقد رفض الشروط التي قدمتها إيطاليا من أساسها، وأدرك أنها غير جادة في مسعاها السلمي، ويجب الاحتياط، وأخذ الحذر.

ويقول الجنرال غرازياني إن عمر المختار اعترض على تسليم أسلحة نصف المجاهدين، وقال إن الأدوار ستقوم بحماية البلاد من السلوم إلى سرت، وستوضع تحت قيادة الحسن الرضا، وهذا في مصلحة الحكومة لأنها لن تنفق عليهم بل سيتناولون رواتبهم من الزكاة التي تؤخذ من السكر.

ويقول غرازياني أيضاً أنه كان حاضراً في الاجتماع عبد الحميد

العبار، وحسن الرضا، والفضيل بو عمر، ويقول المتصرف الإيطالي بأنه شعر أن السيد الحسن الرضا يتجه نحو السلام والصلح مع إيطاليا، وقد هدد عمر المختار بالاستقالة والذهاب إلى مصر إلا أنه اقترب من المندوب الحكومي، وقال له أنقل اعتراضي إلى الوالي وأخبرني برده.

و يقول غرازياني أنه في يوم 13 يونيو 1929م التقى عمر المختار في قلعة الشليوني في المرج ونائب الوالي سيشلياني، وفي هذا الاجتماع قال عمر المختار: (لا تدعونني بأني ثائر لأني لم أستسلم أبداً للحكومة، وقد قاتلتكم دائماً لأن ديني يأمرني بذلك)، وقد بدا أن عمر المختار قبل اقتراحات الحكومة إلا فيما يتعلق بقواته المسلحة، وقد طلب مدة خمسين يوماً لجمع قواته وتنظيمها، واكتفى بأخذ الزكاة من المواطنين؛ لسد حاجة القوات المسلحة.

وقول غرازياني إن عمر المختار قد تغير بعد وصول الأمر من إدريس بتوليه جميع مهام المقاومة، وإبعاد السيد الرضا وابنه حسن عن المجاهدين[1].

وكلام غرازياني هذا به شيء من الواقع، وبه مبالغات وأقوال غير حقيقية، فعمر المختار كان في حواره معهم حريصٌ دائماً على حقوق الشعب الليبي المهضومة.

ويبدو أن حسن الرضا قد شعر بضعف مركزه بعد أن تولى عمر المختار جميع السلطات؛ فأخذ القوات الموالية له وابتعد عن قوات عمر المختار.

وطلب داود يانتشي لقاءً جديداً مع عمر المختار، وتم اللقاء في 30 – 5 في قندولة، وقد حضره الفضيل بوعمر وعبد الحميد العبار وحامد القمّاطي وآخرون، ورافق عمر المختار مائة وخمسون فارساً لحراسته، وقد حضر الاجتماع عدد من المشائخ والأعيان، وتوصل الجانبان إلى اتفاق مبدئي لم

---

(1) رودولفو غرازياني، السلام الروماني في ليبيا، 1937م.

تفصح عنه المصادر الإيطالية، غير أن عمر المختار الذي اعتاد غدر الإيطاليين وتنكرهم لعهودهم طلب حضور ممثلين عن مصر وتونس؛ ليشهدوا على ما تم الاتفاق عليه، فاعترض داود ياتشي على ذلك وأكد أن إيطاليا ستفي بالتزاماتها ولا تتنكر لها، فثار في وجهه عمر المختار؛ وسرد له قائمة طويلة من سوابق إيطاليا في الغدر والنكث بالعهود والتسلط والتقتيل، وانفض الاجتماع دون الوصول إلى نتيجة.

وأخيراً بعد سلسلة من اللقاءات والاتصالات اتفق الطرفان على عقد اجتماع بين عمر المختار والجنرال سيشلياني في يوم 13 – 6 في قلعة الباكور حيث قدم عمر المختار طلباته، ووعد الجنرال سيشلياني بنقلها إلى المارشال بادوليو الذي سيناقشها مع المختار في اجتماع قادم حُدد له يوم 19 – 6 بسيدي أرحومة بالقرب من المرج.

وكان أهل برقة يُتابعون باهتمام بالغ سير المحادثات ما بين الطرفين، وأملوا خيرا عندما علموا أنه سيتم لقاءٌ بين عمر المختار والمارشال بادوليو في سيدي أرحومة، مؤملين أن هذا اللقاء سينتهي باتفاق مُرض للطرفين، ينال بموجبه الشعب البرقاوي حقوقه، وتبسط إيطاليا سيادتها على برقة، إلا بالنسبة للمناطق التي سيتفق عليها، والتي ستصبح تحت سلطان الوطنيين مباشرة، ولم تعلق الصحف الإيطالية بشيءٍ عن المحادثات التي تمت بين عمر المختار والإيطاليين، ولا عن الاجتماع المقبل الذي سيلتقي فيه عمر المختار وبادوليو، وهذا التكتم يُدل على سوء نية الإيطاليين وغدرهم.

إن اجتماع الزعيم الليبي والزعيم الإيطالي بعد سلسلةٍ من الاجتماعات التمهيدية التي تمت بين الطرفين، والتي نوقشت فيها شروطهما يدل على أن الطريق أصبح ممهداً للاتفاق الذي سيوقعه عمر المختار وبادوليو في سيدي أرحومة، والذي سيضع حداً لقتالٍ دام ثمانية عشر سنة، وتكبد فيه الطرفان الخسائر والتضحيات.

اجتماع سيدي أرحومة:

كان يوماً حافلاً بالأحداث، وقد اتجهت الأنظار في جميع ليبيا إلى سيدي أرحومة، راجين أن تسفر اجتماعات الطرفين عما يتوقعه الجميع من سلام يعم البلاد، ويهدئ النفوس ويضع حداً للقتال والتضحيات.

وفي يوم 19 – 6 – 1929م التقى الزعيمان وجهاً لوجه ونداً لند، وقد وصل عمر المختار وفي معيته أربعمائة فارس لحمايته، ووصل بادوليو وحاشيته في أربع سيارات، وقد نُصبت خيمة كبيرة ضمت الجميع، وكان في معية عمر المختار الفضيل بو عمر وعبد الحميد العبار وغيرهم من القادة، وكان في معية المارشال بادوليو الجنرال سيشلياني والمتصرفون الذين تولوا المحادثات مع عمر المختار، وحضر الاجتماع عددٌ من المشائخ والأعيان، وأفتتح بادوليو الجلسة مرحباً بعمر المختار، وعبّر عن رغبة إيطاليا في عودة حياة الأمن والاستقرار إلى ربوع برقة، ووضع حدٍ للعداء والقتال، وعودة اللاجئين إلى بلادهم، وسيادة الأمن والرخاء فوق جميع البلاد، وأعطى الكلمة لعمر المختار الذي أناب عنه الفضيل بو عمر الذي قرأ شروط المجاهدين وتمسكهم بحضور مندوبين عن مصر وتونس كشهود على الاتفاق، ولم يُعلق بادوليو على الشروط ولا على طلب حضور تونس ومصر كشاهدين، إنما اكتفى بالقول بأنه سيرفع شروط المجاهدين إلى رؤسائه؛ لدراستها، ثم يُخبر عمر المختار بالرد عليها، وأضاف بادوليو أن المحادثات ستستغرق بعض الوقت، وطلب عقد هدنة لمدة شهرين قابلة للتجديد، تتوقف خلالها جميع العمليات العسكرية، وتُفتح أبواب الأسواق للمجاهدين، وتبادل الطرفان الهدايا في نهاية الاجتماع، فقدم بادوليو لعمر المختار ومساعديه ساعات ذهبية، وأهدى عمر المختار لبادوليو فرساً عربياً أصيلاً، وأُخذت الصور التذكارية للمجتمعين، وقد نشرتها مجلة (اللطائف) المصورة المصرية في وقته، وكانت جميع الدلائل تبشر بأن الطرفين صادقان في

نواياهما، وأن البلاد تجاوزت محنة الحرب والمعاناة، وقد عمت الفرحة اللاجئين في مصر، الذين اعتقدوا هم أيضاً أن وقت انتهاء معاناتهم قد حل، وأن عودتهم للوطن أصبحت قريبة.

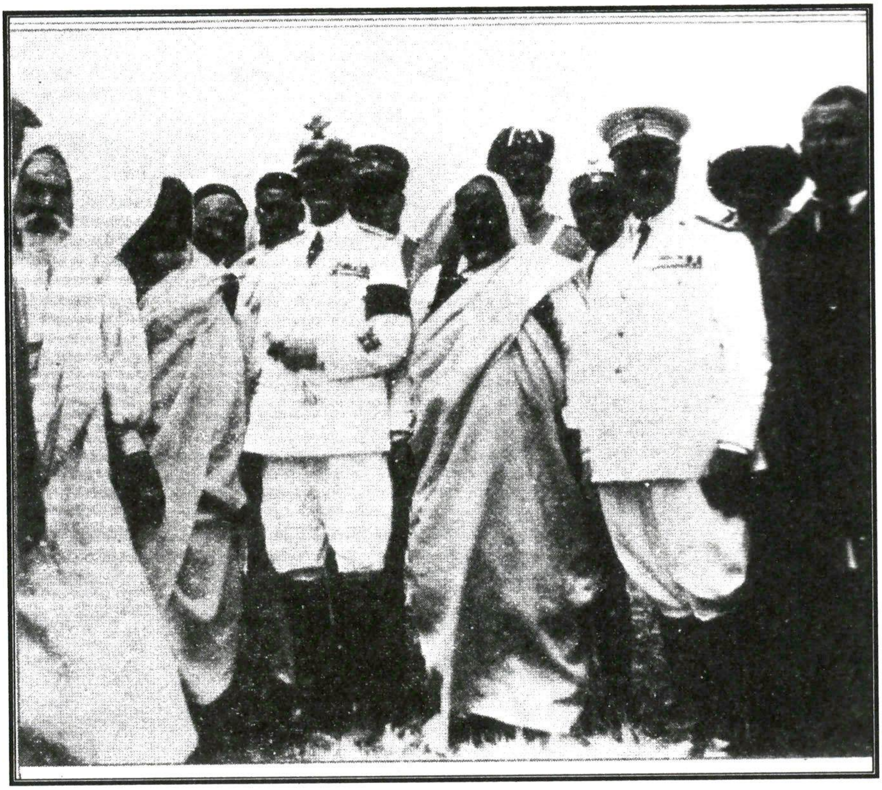
وعاد بادوليو إلى بنغازي، وابرق إلى روما أن عمر المختار استسلم وجميع رجاله، ولم يذكر شيئاً عن الشروط التي قدمها أو التي قبلها، وعلى أي أسس تم الاستسلام، وعندما وصل طرابلس عقد مؤتمراً صحفياً، أعلن فيه استسلام عمر المختار ونهاية المقاومة في برقة.

واندهش عمر المختار واندهشت ليبيا بأسرها والعالم العربي؛ لنبأ استسلام عمر المختار ورجاله لبادوليو، والجميع يعرفون أن عمر المختار لازال على رأس قواته المسلحة بعيداً عن المراكز الإيطالية، وأنه قدم شروطه لبادوليو، وينتظر الرد منه، وأن بادوليو طلب منه هدنة لمدة شهرين؛ حتى تستقر الأمور، وأحدثت تصريحات بادوليو هذه بلبلة بين المجاهدين والناس لغرابتها ولبعدها عن الواقع، فادعاء بادولو أن عمر المختار قد استسلم لإيطاليا دون قيد أو شرط إدعاءٌ باطل، تكذبه المفاوضات التي دارت على مدى شهرين وشارك فيها مسئولون إيطاليون على مختلف المستويات ومشائخ وأعيان أهل البلاد، ويكذبه قبول الهدنة التي لا تعقد مع من يُلقي سلاحه، وكذلك بقاء المجاهدين في مواقعهم محتفظين بسلاحهم، وقد فسر الكاتب الإيطالي جورج روشات موقف بادوليو هذا الغريب بقوله: (إن التفاؤل الذي لا يتردد بادوليو عن إبدائه كان يعكس في المقام الأول عجز القيادات والأوساط الاستعمارية الإيطالية عن تقييم عمق جذور حركة المقاومة وفهم مسلك زعمائها، إلا أن سلوك بادوليو وسلوك مساعده الوفي سيشلياني وموقفهما من هذه الحركة، كانت له دوافع ومسببات أخرى، فسياسة المهادنة والمصالحة التي بادر بها بادوليو في مستهل ولايته، كانت تصطدم فعلاً بمعارضة الأوساط الاستعمارية التي كانت تقف لأسباب متعددة (العزة القومية، مصالح تتعلق بالترقية في الوظائف، أسباب تجارية، وأحقاد

عنصرية، وهلم جرا...)، إلى جانب سياسة القوة والقهر حيال الأهالي المحليين، أضف إلى ذلك أن (دي بونو) من واقع غيرته من الاستقلال في التصرف الذي كانت تتمتع به شخصية ذات شأن ومرتبة عالية كبادوليو، ما كان ليترك فرصة تمر دون أن يخطر موسوليني بالنتائج الوخيمة لسياسة الضعف والمساومات التي تتعارض مع صورة القوة والنخوة (الإمبراطورية)، وهي الطابع الذي كان يسعى الحاكم الفاشي إلى إضفائه على البلاد، ولم يسلك بادوليو نفسه طريق المصالحة عن قناعة عميقة، بل على أمل تحقيق انتصار شخصي، بإنهاء الحرب في غضون بضعة أشهر، كما إنه لم يفكر إطلاقاً في تقاسم السلطة مع المقاومة، بل كان يركز كل همه على تحقيق اتجاه إيطالي أكثر مرونة وجدوى من الاتجاه بالطرق التقليدية القائمة على قوة السلاح، ولم يكن موقفه هذا سهلاً، لأنه كان يضطره إلى القتال على جبهتين: ضد المقاومة وضد الأوساط الاستعمارية الإيطالية، وكلاهما متحفز لأدنى هفوة تقع منه، وانطلاقاً من ذلك في نظرنا اختار اللعب على حبلين، وهذا ما كان يدفعه إلى طمأنة الأوساط الاستعمارية والجهات الأخرى في روما والادّعاء بأن استسلام عمر المختار كان دون قيد أو شرط، بحيث يتمكن من تسيير سياسته دون تدخل خارجي من جهة، وإلى التفاوض مع عمر المختار حول عقد صلح وسط، مبني على تقاسم السلطة في برقة من جهة أخرى، اعتقاداً منه (من واقع اقتناعه بعجزه عن استئصال حركة المقاومة من جذورها) إن هدنة تدوم بضعة أشهر، متى اقترنت بعمل لبق ومتبصر أساسه بث الفساد والرشوة والشقاق، من شأنها أن تؤدي إلى تصدع الجبهة (المقاومة) وإحلال سلام تسود فيه السيطرة الإيطالية الكاملة، لذلك كان بادوليو على استعداد لإبداء التنازلات لصالح عمر المختار على المدى القريب، ولكن دون الوصول إلى عقد اتفاقيات كتابية أو ذات طابع رسمي، ظل يطالب بها المختار (... ويعد بها سيشلياني)[1].

---

(1) عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، جورجو روشا، طرابلس 2005م، ص99 – 100.



عمر المختار وبادوليو بعد لقاء سيدي ارحومة.

ويضيف روشات (والشيء المؤكد هو أن تنفيذ اتفاقيات يونيه كان معلقاً على تطور الوضع بصورة إيجابية، لأن حركة المقاومة لم تهزم في ميدان القتال، بل كانت في وضع يمكنها من التفاوض حول عقد سلم وسط من مركز القوة)[1].

وكما توقع عمر المختار فإن الإيطاليين قرروا التغلغل بين المجاهدين خلال فترة الهدنة، وإغرائهم بالأموال والوعود؛ كي يتخلوا عن عمر المختار، ويعودوا إلى ذويهم، كما توقع أن يجروا حسن الرضا إلى جانبهم،

---

(1) المرجع السابق، ص97.

وقد قبل شروطهم، وعسكر هو ورجاله في غوط الجل بالقرب من مـراوة، وابتعد عمر المختار وقواته عن المراكز الإيطالية؛ انتظاراً لـرد بـادوليو، وعندما طال رد بادوليو كتب إليه عمر المختار رسالة يذكره فيها برده على مقترحاته، غير أن بادوليو لم يرد عليه، وتمادى في تجاهله الأمر الذي خلق توتراً جديداً ما بين الطرفين.

وقد شعر عمر المختار بتلاعب الموظفين، والعملاء الإيطاليين، ومحاولات بث الفتنة ما بين المجاهدين، وإغـرائهم علـى تـرك الجهـاد، والانضمام إلى إيطاليا؛ لقاء الأموال والأطعمة التي تقدم إليهم.

وقد بعث عمر المختار بهذا الصدد رسالة إلى نائب الوالي سيشلياني هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه.

إلى المحترم نائب والي برقة سيشلياني

تحية واحترام

أقدم لسعادتكم أسمى الاحترام، وأخبركم بـأن الغايـة الوحيـدة مـن محادثات قندولة 28 يونيو 1929 م، وقد قلتم إن الغاية هي العمل مـن أجـل تهدئة البلاد، وقد أملنا أن رجال الحكومة سيقومون بهذا العمل حقيقة، وبـأن تنتهي حركة العداء بيننا وبين الحكومة، وإبعاد المشاغبين، وإذا ما وقـع أي حادث يجب اعتباره أنه وقع بالخطأ، والآن فإن رجال الحكومـة ورؤسـاء المحادثات المرتبطين بكم فإنهم يعملون لبث الفتنة بيننا وبين الـسيد حـسن الرضا، وبمساعدة بعض المتصرفين الذين يوزعون الغذاء والمأكولات، وهل هذا يتم بمعرفتكم وحسب أوامركم أم لا؟ وإذا حدث سوء تفاهم لهذا الـسبب

فالمسؤولية تقع على الحكومة لا علينا، وإذا ارتأيتم منع التموين عن الجميع والتخلي عن ما حدث في الماضي ثم الالتقاء بي سيعم السلام والخير البلاد كلها، وسأكون مسروراً إذا ما استلمت ردكم، وأقدم لكم احتراماتي وتحياتي.

نائب الوكيل العام

عمـر المختـار

وقد رد نائب الوالي على عمر المختار برسالة ذكره فيها بالتعهدات التي أخذها في بئر قندولة ولم يُطبقها، وأشار إلى الدعاية التي يقوم بها لمنع اللاجئين من العودة إلى الوطن، وعرقلة التسهيلات التي منحتها الحكومة إلى جميع من يطلبون الاستسلام، ولا يجد مانعاً من استقباله إذا ما التزم بكل ما تعهد به في قندولة، وهذه الرسالة لم ترض عمر المختار الذي بعث برسالة أخرى بتاريخ 9 أكتوبر 1929م جاء فيها:

(وبعد البسملة

إلى سعادة نائب الوالي .. تحية واحترام.

نعرفكم بأنا استلمنا رسالتكم المشرفة بواسطة والي المرج، واطلعنا على عبارتكم الحميدة والأهم هو اطلاعنا على صحة سعادتكم، وهي غاية ما نشتهي، وأن حامل رسالتي هذه يسلمكم رسالة موجهة إلى سعادة المارشال بادوليو، ونرجو من سعادته أن يرسل الرد الذي يُسلم إلى حامل الرسالة، تقبلوا احتراماتي.

9 أكتوبر 1929م

الممثل عمر المختار

وهدد عمر المختار بأنه إذا لم توقف الحكومة أعمال الفتنة والدس بين المجاهدين؛ إنه بداية من 24 أكتوبر 1929م لن يكون مسؤولاً عن الأوضاع ما لم توقف الأوضاع المذكورة.

وكان بادوليو يعوّل على تخريب المقاومة من الداخل بعد انضمام حسن الرضا إليهم، وبعد أن شرع أعوانه في شراء الذمم وتحريض المجاهدين بالمال والغذاء على التخلي عن عمر المختار، وقد كتب بادوليو رسالة إلى وزير المستعمرات يُخبره بأن 70% من المجاهدين أصبحوا في صفنا، ونعتقد أن بادوليو منذُ بداية اتصاله بعمر المختار كان ينوي إرضاء المجاهدين بامتيازات مادية، وبعض الامتيازات الأخرى التي لا تؤثر في سيادة إيطاليا على البلاد، فقد كان يعلم أن أية امتيازات سياسية يقدمها لعمر المختار سوف تُرفض من وزير المستعمرات وزمرته من المستعمرين.

والدليل على سوء نية بادوليو أنه في الوقت الذي كان يتفاوض فيه مع عمر المختار، بعث برسالة بتاريخ (13 سبتمبر 1929م) إلى نائبه سيشلياني جاء فيها: (بناء على الأوامر الصادرة عن سعادة الوزير دي بونو، أؤكد تعليمات العمل الآتية:

أولاً: حاول جلب أكبر عدد ممكن من المنشقين إلى الانضواء تحت لوائنا دون اللجوء إلى الزعماء، أعمل على تحريك المستسلمين خاصة البراعصة والدرسة ضد المنشقين بالعمل لا بالقول، مع إسنادهم عند الاقتضاء بتشكيلات من قواتنا – حاول أن تشرع في أقرب فرصة ممكنة في تنفيذ الأشغال العامة، بحيث يتيسر استخدام اليد العاملة المحلية إلى أقصى حد ممكن.

ثانياً: يجب أن يتم ذلك بطريقة لا تؤدي إلى قلب الوضع رأساً على عقب قبل الأوان)[1].

وبعدما أدرك عمر المختار تلاعب الإيطاليين ومراوغتهم لكسب الوقت وتحقيق أهدافهم عن طريق الدس والفتنة، بعث برسالة إلى الجنرال سيشلياني

---

(1) عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، جورجو روشا، طرابلس 2005م، ص102.

يوم 25 – 9 يشكو فيها من مماطلة إيطاليا في إتمام الاتفاق، وقيام رؤساء المفاوضات والموظفين بتوزيع الأغذية والأموال لشراء الضمائر، وحمّل الحكومة الإيطالية مسؤولية ما سوف يحدث، وطلب اجتماعاً جديداً مع سيشلياني، فأجابه هذا الأخير بأنه إذا أراد أن يجتمع به عليه أن يتوقع شيئاً أخر غير ما جرى عليه الحديث يوم 13 – 6، وبعث عمر المختار برسالتين أخيرتين إلى بادوليو وسيشلياني يوم 9 – 10 أنذرهما فيهما أن الهدنة لن تجدد بعد 24 – 10، وأن القتال سيستأنف بعد ذلك.

وقد ظهرت نوايا إيطاليا بالغدر والخيانة واضحة، وأن فكرة المفاوضات مع عمر المختار كانت فكرة ترمي من ورائها إيطاليا إلى الحصول على استسلام المجاهدين بدون شروطٍ ولا مقابل، ومن العار أن رجلاً في مركز بادوليو الهام في بلاده يلجأ إلى التحايل والغدر والكذب؛ ليتخلص من عدوه الذي جاء ليقاتله بالسلاح، وتكتمت الدوائر والصحف الإيطالية على إدعاء بادوليو باستسلام عمر المختار، ولم تشر إليه لا من بعيد ولا من قريب، ما عدا وزير المستعمرات دي بونو الذي حنق على بادوليو ووبخه برسالة سيأتي ذكرها، وحنق بادوليو على عمر المختار أشد الحنق؛ لأنه لم ينقد لرغباته،و يستسلم دون قيدٍ أو شرط، وأضمر في نفسه كل شرٍ لعمر المختار إلى أن وقع أسيراً في أيديهم، وعندما بلغ بادوليو النبأ العظيم كان أول من طالب بإعدام عمر المختار.

عندما تأكد عمر المختار من تلاعب إيطاليا وعدم جديتها ومحاولتها القضاء على المقاومة عن طريق الفتنة والإغراءات المادية والوعود المزيفة، وتجاهل مطالبه وعدم الرد على رسائله، قرر عدم تجديد الهدنة والعودة إلى السلاح، وقد أراد أن يطلع الليبيين وأبناء الأمة العربية على ما حدث خلال المفاوضات وتحميل إيطاليا مسؤولية فشلها، ومسؤولية استئناف القتال، فأصدر بياناً مفصلاً يوم 20 – 10 – 1930م نشرته صحيفتا المقطم والأخبار

القاهريتين، وضمنه مجمل الحوار الذي دار بينه وبين بادوليو في سيدي أرحومة، والذي صحح فيه الوقائع التي كان الإيطاليون يذيعونها على غير حقيقتها، وكشف مراوغاتهم وعدم جديتهم وخداعهم ومحاولتهم تدمير المقاومة عن طريق شراء الضمائر والدسيسة وشق الصفوف، وأشار البيان إلى أن لقاء سيدي أرحومة اقتصر على الاتفاق على عقد هدنة لمدة شهرين قابلة للتجديد، وعلى تقديم طلبات المجاهدين، بناءً على طلب بادوليو، والتي تتلخص في الآتي:

1- عفو عام عن جميع من قاموا بأعمال سياسية في الداخل وفي الخارج وإطلاق سراح المساجين لأسباب سياسية.

2- سحب جميع الحاميات الإيطالية التي أقيمت خلال حرب عامي 1922 - 1928 بما فيها حاميتي جالو والجغبوب.

3- الحق في تحصيل الزكاة من العرب القاطنين بقرب الحاميات الإيطالية وعلى الساحل.

ووجه عمر المختار من خلال بيانه نداء إلى المجاهدين والليبيين كافة جاء فيه: (فليعلم إذن كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر وحدتنا لتتم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلك.

وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية، وأن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمي إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب وتقدمه، فهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم مادامت لنا قلوب تعرف أن في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال)[1].

---

(1) فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة المذكور، القاهرة، ص303.

وذكر الدكتور فؤاد شكري: (أن الشروط التي عرضها المختار أساساً للاتفاق النهائي مع الطليان متفقة في جوهرها مع ما كان الطليان أخذوا العهود والمواثيق على تنفيذه عندما أصدروا القانون الأساسي لقطر برقة عام 1919م وأبرموا اتفاقية الرجمة، وهي شروط تكفي للمحافظة على كيان العرب واحترام عقائدهم الدينية ولغتهم العربية وتصون أوقاف الزوايا، وتخول المختار أخذ الزكاة الشرعية من العرب القاطنين حول المراكز الإيطالية بالسواحل، وإرجاع الممتلكات التي اغتصبتها الحكومة من الأهالي، علاوة على ذلك طلب عمر المختار العفو الشامل عن جميع من عدتهم إيطاليا مجرمين سياسيين سواء كانوا في الداخل أم في الخارج، وإعطائهم مطلق الحرية في حمل السلاح وجلبه من الخارج إذا امتنعت الحكومة عن بيع السلاح لهم، وفضلاً عن ذلك فقد نصت هذه الشروط على أن يكون للأمة رئيس تختاره بنفسها ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له الحق في الإشراف على مصالحها كما يكون للقاضي الإسلامي وحده القول الفصل بين الوطنيين، وسحب كل المراكز التي استحدثتها إيطاليا في أثناء الحرب بما في ذلك مراكزهم في الجغبوب وجالو).

وقد أورد الدكتور شكري صيغة أخرى متقاربة لشروط عمر المختار تعكس تقريباً ما دار في المفاوضات وما نشره الإيطاليون، وهذه الشروط حملها على العبيدي إلى داود ياتشى بصفتها مطالب رؤساء المجاهدين، وكانت تتلخص في: (اعتراف الحكومة بزعامة السنوسية الدينية في البلاد وأوقافها وتدفع الرواتب لمقدمي الزوايا والمشائخ، على أن يقبل المجاهدون نظير ذلك تسليم نصف ما لديهم من أسلحة بالثمن الذي يحددونه لها وهو ألف ليرة إيطالية للبندقية الواحدة، وإقامة أعضاء الأسرة السنوسية في المدن بعيدين عن الأدوار، وفضلاً عن ذلك فقد طالب المجاهدون بإعادة المهاجرين من برقة إلى أوطانهم، والواضح أن الغرض من هذه المطالب التمهيدية تنظيم شؤون

البلاد على أساس الاتفاقيات المبرمة في عكرمة والرجمة، وإعادة العمل بالقانون الأساسي الذي ألغاه الإيطاليون بعد الانقلاب الفاشستي)[1].

وقد شعر عمر المختار بتلاعب الإيطاليين ونواياهم الغادرة؛ فلم يسمح لرجاله بارتياد أسواق المدن والشراء منها، وقد أراد أن يعرف رد الإيطاليين على شروطه التي سلمها للمارشال بادوليو، وقد طالت المدة دون أن يحصل على هذا الرد فكتب رسالة إلى بادوليو يستوضحه في الموضوع، ولم يُجاوبه بادوليو؛ وهنا أدرك عمر المختار أن الإيطاليين قد نصبوا له فخاً، يريدون وقوعه فيه، إلا أن الله نجاه منه وألهمه بالابتعاد عن المراكز الإيطالية، ونتساءل لماذا هذا التصرف المشين من قبل المارشال بادوليو الذي كان هو المطالب بالحوار مع عمر المختار، وكان هو الذي حدد لقاء سيدي أرحومة، وقد تباحث مع عمر المختار، واستلم شروطه، واعداً إطلاع رؤسائه عليها ثم إفادته بالرد، إلا أن بادوليو رغم جميع هذه الحقائق عندما وصل بنغازي أعلن أن عمر المختار ورجاله قد استسلموا كما سبق وذكرنا، وعقد مؤتمراً صحفياً في طرابلس أكد فيه نفس الشيء، فلماذا كذب بادوليو هذه الكذبة المفضوحة وهو يعلم أنه قد حضر لقاءه مع عمر المختار جمعٌ كبير من الإيطاليين والليبيين، ولم يشهد أحدهم على أن عمر المختار قد استسلم لبادوليو، لقد كذب بادوليو على عمر المختار وهو يعلم أن الأخير كان على رأس قواته بعيداً عن المراكز الإيطالية، مستعداً لاستئناف القتال، وقد علم سكان ليبيا والإيطاليون والعالم أجمع أن بادوليو يكذب عندما أعلن استسلام عمر المختار، وهل كان بادوليو يعتقد أنه عندما يُعلن أن عمر المختار استسلم إليه مع رجاله، فسوف يتجاوب معه عمر المختار ويحقق له ما أراد، لقد كذب بادوليو كذبته الكبرى، وتنكر في نفس الوقت لعمر المختار، وتجاهل

(1) فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة المذكور، القاهرة، ص298.

ما تم بينهما من اتفاق وإعلان هدنة لمدة شهرين، وما تبادلوه من هدايا، لقد نسي بادوليو هذا كله وأعلن الحرب على عمر المختار.

وتفجّر الموقف يوم 8 – 11 – 1929م، عندما هاجم المجاهدون دورية إيطالية وأبادوها، وكان رد فعل سيشلياني السريع إرسال أربع طائرات لقصف منتجعات المجاهدين بما فيها من أطفال ونساء وشيوخ، إلا أن المجاهدين استطاعوا إسقاط إحدى الطائرات، وأسروا طياريها، وأصدر سيشلياني بعد يوم من هذا الحادث بياناً جاء فيه: (لقد فرضت علينا خيانة عمر المختار استئناف الحرب ضد الثورة، وسيكون قتالاً شاملاً بلا رحمة ولا توقف ضد كل من يرفع السلاح في وجه الحكومة أو يحمله بدون ترخيص).

وفي يوم 16 – 11 – 1929م أي بعد مرور أربعة أيام على سقوط الطائرة الإيطالية، حشد سيشلياني معظم قواته وطائراته ومصفحاته؛ لمهاجمة وتطويق أدوار المجاهدين وإبادتها، وأسند إلى الطيران الدور الأول في هذه المهمة، وكان بادوليو عندما أمر بهذا الهجوم على ثقة بأن الثورة تفككت وأصبحت على وشك الانهيار، ونقل قناعته هذه إلى وزير المستعمرات الذي أبرق إليه في نفس اليوم الذي بدأ فيه الهجوم (6 – 11 – 1929م) ليطمئنه بأن الأمور على ما يُرام، وأن ثلثي الثوار أصبحوا إلى جانب إيطاليا، وسوف يتم القضاء على الآخرين في وقت قريب[1].

ودام القتال قُرابة أسبوعين وأسفر عن فشل القوات الإيطالية في تحقيق مخططاتها، وقد تمكن عمر المختار ورجاله من الإفلات من عملية التطويق بفضل قوات الحماية، كما اعترف الجنرال سيشلياني فقد استمات في القتال إلى أن تمكنت قوات المجاهدين من الابتعاد، وكانت هذه أول معركة يخوضها مارشال إيطاليا ضد المناضلين، ولم تختلف نتيجتها عن نتائج غيرها من

---

(1) أ. ديلبوكا، ص162.

المعارك السابقة التي أطاحت بثلاث ولاة، وآثار هذا الفشل الجديد غضب وزير المستعمرات دي بونو الذي أبرق يوم 25 – 11 – 1929م إلى بادوليو يحرضه على مزيد من الشدة والقسوة في حربه ضد المجاهدين، وأكد له أن أي عمل يقوم به مهما تعارض مع العرف الدولي والقيم الإنسانية فله ما يبرره

مادام يؤدي إلى تحقيق الغرض، ولا نستغرب أن تصدر هذه الأفكار من الرجل الذي وقف أمام البرلمان الإيطالي قائلاً : إن إيطاليا بحاجة إلى أراضي ليبيا لا لسكانها العرب، ولم يكن بادوليو بحاجة إلى تشجيع أو تحريض فقد أعلن منذُ أن وطأت أقدمه ليبيا عزمه على تدمير ليبيا وسكانها إذا لم يخضعوا و ينصاعوا لحكم إيطاليا، وقد كتب إلى الجنرال سيشلياني بعد فشل حملته على المجاهدين أن المطلوب للتغلب على الثورة جهاز استخبارات نشط، وقنابل غاز (الإيبريت) التي وعد الجنرال بإرسالها إليه في أقرب وقت، وكان بادوليو قد اتفق مع المسئولين في روما على استعمال الأسلحة والوسائل المحرمة مادامت الحرب التقليدية لم تأت بنتيجة.

تلقى عرب برقة نبأ توقف المفاوضات بألم شديد، بعدما داعبت نفوسهم الآمال في تغيرٍ للوضع وحلول عهد جديد يرضي الليبيين، وقد انتظر الناس من بادوليو بعد توقف المفاوضات أعمالاً وحشية ضدهم وضد المجاهدين من أجل القضاء على المقاومة، فهذا الرجل الدموي المتوحش لا تقف أعماله الإجرامية عند حد، وقد ذكر في رسالةٍ إلى غرازياني أنه سائر في الطريق التي خططها إلى النهاية ولو قُضي على جميع عرب برقة،إنه يضع حياة جميع عرب برقة في كفة ونجاحه في القضاءِ على الثورة في كفةٍ أخرى، ووصلت الأنباءُ إلى المهاجرين فيما وراء الحدود؛ فتكدروا وتألموا وتوقعوا موصلة القتال والمعاناة مادام الإيطاليون لا يُريدون وضع حدٍ لها.

وكان الجنرال دي بونو (وزير المستعمرات) لا يميلُ إلى المارشال بادوليو، وقد ساءه جداً أن يُعلن بادوليو استسلام عمر المختار ورجاله دون

أن يكون للنبأ أي وجهٍ من الحقيقة، وقد أرسل بالمناسبة رسالةً إلى المارشال بادوليو ضمّنها شماتته فيه وتوجيهه وإصدار التعليمات إليه، وهذا ما جاء في الرسالة بتاريخ 10 – 11 – 1929م: (لقد تحقق مع الأسف كل ما كنت أتوقعه وذكرته في رسالات سابقة، أبعث إليكم بهذه التعليمات والتي وافق عليها رئيس الحكومة:

1- قطع جميع المفاوضات مع الثوار والقيام بمهاجمتهم.

2- مراقبة العناصر السنوسية مراقبة شديدة دون أي اعتبار.

3- عدم الحديث عن أي استسلام دون أن يكون الأمر واقعياً.

4- شنق جميع المشائخ الذين يقعون بأيدينا.

5- ضرورة التكتم على هذه الهزيمة السياسية والعمل على عدم تسريب أخبارها.

سيشلياني فشل ويجب إقالته دون أن يشعر الناس أن إقالته كانت نتيجة لفشله)[1].

وقد طالب الوزير من بادوليو إبعاد الجنرال سيشلياني؛ لأنه المسئول عن كل ما حدث، ويجب أن يتم إبعاده بصورة لا يشعرُ فيها السكان بأنه معاقب لفشله، لأن المساس ببادوليو له تأثيرات كبيرة على المستوى الدولي والإيطالي والمحلي.

واتفقت روما وطرابلس كرد فعل على هذه الهزيمة على الشروع في حرب إبادة لا رحمة فيها تشمل الثوار والسكان والحيوانات والنباتات، حرب وحشية لم يعرف العالم مثيلاً لها في فظاعتها وقسوتها وتأثيراتها المأساوية،

(1) أ. ديلبوكا، ص161.

واستُبدل الجنرال سيشلياني بالجنرال غرازياني الذي اشتهر بأعماله الوحشية في طرابلس وغدره وخيانته للمجاهدين.

وقد قُوبل بسرور فشل المفاوضات من قبل المتشددين في كراهيتهم لليبيين؛ لأنهم كانوا يخشون أن تقدم إيطاليا لليبيين بعض الامتيازات في حين أنهم كانوا يريدون بسط سيادة إيطاليا الكاملة على ليبيا، وسَر لفشل المفاوضات المقاولون الإيطاليون، والمنتفعون من الحرب، وشركات النقل الإيطالية وغيرهم من الإيطاليين الذين كانت تُدر عليهم الحرب أرباحاً طائلة.

كما أرتاح لفشل المفاوضات أيضاً العسكريون وكبار الضباط الذين كانوا بفضل المقاومة يحصلون على الرشاوى والترقيات والعلاوات والمزايا، ولم يدُر بخلد أحد من هؤلاء الإيطاليين أو العرب أن الحرب التي تعايشوا معها منذ عشرين عاماً سوف تتحول إلى حرب إبادة تشمل المجاهدين والسكان المدنيين والحيوانات دون رحمة أو وازع من ضمير أو إنسانية، وكان على بنغازي أن تنال نصيبها من الرعب وعمليات القمع والدمار والاعتقال والإبادة التي أعدها مارشال إيطاليا العظيم للقضاء على حفنة من الرجال كانوا يُدافعون عن وطنهم وحريتهم، وكان الشعب الليبي من ورائهم يؤيدهم ويساعدهم ويقاسي ويضحي بالأرواح في سبيل المحافظة على راية الحرية مرتفعة في جزء من الوطن المغتصب.

أحدثت التطورات السياسية وفي مقدمتها فشل المفاوضات وعودة الحرب، أثراً سيئاً في نفوس الليبيين، وقد بددت الآمال المعقودة على نجاح هذه المفاوضات، وحصول العرب على بعض الحقوق والاستقرار، واقترنت خيبة الأمل هذه بالخوف مما كان يدّبره بادوليو من إجراءات قمعية لا إنسانية للقضاء على المقاومة بعد أن فشلت إيطاليا في القضاء عليها في حرب تقليدية مشروعة، وظل العرب يترقبون تطور الأحداث بشيء من القلق، ويدركون في نفس الوقت أن مواصلة المقاومة وتحدي إيطاليا المتغطرسة له ثمن يجب دفعه.

واشتد القلق لدي المهاجرين فيما وراء الحدود، وتوقعوا من بادوليو وغرازياني أن يقوما بأعمالٍ وحشية منافية لما اتفقت عليه الشعوب المتحضرة، وكان أكثر ما يخشونه مواصلة إيطاليا الضغط على الحكومة المصرية لإبعاد المهاجرين الليبيين عن الحدود المصرية الليبية.

وكان بادوليو قد اتفق مع الجنرال دي بونو (وزير المستعمرات) على اتخاذ التدابير القاسية ألاإنسانية ضد سكان برقة المدنيين والثوار على السواء دون رحمة أو شفقة، وقد أُحيط موسوليني علماً بالخطط المعدة للقضاء على الثورة في برقة إلا أنه لم يكن يهتم بالتفاصيل، وإنما كان يهمه هو القضاء على الثوار بأي ثمن.

وكتب إريك ساليرنو الكاتب الإيطالي أن بادوليو كان مستعداً لتقديم بعض التنازلات إلى عمر المختار ليصل معه إلى اتفاق يؤمن للبلاد السلام والاستقرار إلا أن عصابة المستعمرين المستفيدين اقتصادياً ووظيفياً من استمرار القتال وقفت ضد بادوليو ومنعته من تنفيذ فكرته السلمية، ودفعه إلى استئناف القتال من جديد[(1)].

الجنرال غرازياني نائب والي برقة:

ولد غرازياني يوم 11 أغسطس 1882م، بقرية تُدعى (فيليتينو) من قرى إقليم (إبرتسي)، وكان الابن الرابع من بين 9 أبناء، وبعد تخرجه من المدرسة الابتدائية التحق بالمدرسة الثانوية وقد تولدت في نفسه خلال وجوده بها الرغبة في الالتحاق بالكلية العسكرية، ونظراً لعدم مقدرته المادية التحق بروما بكلية الحقوق، وقد أدى الخدمة العسكرية الإجبارية وتخرج ضابط احتياط، إلا أن حلمه بأن يكون ضابطاً فعلياً لم يتحقق، وشارك في مسابقةِ

---

(1) إيريك ساليرنو، حرب الإبادة في ليبيا، روما 2005م، ص82.

للحصول على لقبِ ضابط فعلي في الجيش، وقد نجح في المسابقة، وعُـين ضابطاً في الجيش الإيطالي وذلك في عام 1906م.

وفي عام 1908 أُرسل إلى إرتريا للعمل بالقوات المسلحة هناك، وفـي عام 1912م عاد من إرتريا إلى إيطاليا، وفي عام 1913م أُرسل إلى ليبيا حيث عمل في بنغازي وذلك إلى جانب القوات الإيطالية التي احتلت البلاد.

وعاد من برقة والتحق بإحدى فرق الجيش الإيطالي، وعندما أُعلنـت الحرب العالمية الأولى شارك فيها بصفته ضابطاً في القوات الإيطالية، وقـد تحصل على ترقية خلال الحرب فوصل إلى مساعد عقيد، وعنـدما انتهـت الحرب عمت إيطاليا الإضرابات والمظاهرات والثورات، وقد كان الانتصار الإيطالي مرفوضاً في الداخل، وقد صدرت الأوامر آنذاك للضباط بـالتجول دون سلاح، وانتزعت الجماهير علامات النياشين من صدور الضباط التـي تحصلوا عليها أثناء الحرب، وقد احتلت الجماهير الثكنات العسكرية، ودمروا شعراتها، وقُتل العائدون من الحرب، وأهين علم الوطن.

وفي أكتوبر من عام 1921م، طُلب من غرازياني السفر إلى أفريقيـا، وعُين في زوارة بمهام عسكرية، وعندما توسـع القتـال بـين الإيطـاليين والليبيين، أصبح غرازياني من العناصر الرئيسية في ذلك القتال، وقد عُـين قائداً عسكرياً وسياسياً في الجبل الغربي حيث دارت بينه وبـين المجاهـدين معارك ضارية في غريان ونالوت وبقية أنحاء الجبل الغربي، وقد اسـتطاع في النهاية بفضل قواته الكبيرة ومدافعه وطائراته من احتلال غريان ودفـع المجاهدين إلى الجنوب، وقد خاض غرازياني وبعض الـضباط الإيطـاليين الآخرين المعارك مع المجاهدين بداية من الساحل حتى حدود ليبيا الجنوبيـة لمسافة 1500 كم، وكان المجاهدون يتراجعون أمام القوة الغاشمة إلى الجنوب ويرون بدمائهم الأراضي التي يتخلون عنها، ويغطونها بأشلائهم وقبـورهم، وبعد ثماني سنوات من المعارك التي كان يخوضها المجاهدون دون مساعدة

من أي جهة، ويُحاربون بالأسلحة التي غنموها من الإيطـاليين فـي فـزان والقرضابية وغيرها من المعارك التي دحروا فيها الإيطاليين، وأخيراً دفـع غرازياني ما تبقى من المجاهدين نحو الحدود الجنوبية التي اجتازوها بعد أن شعروا بأن أنفاس العدو تلسع رقابهم، وقد غادروا وطنهم والدموع في أعينهم والآلام تعصر قلوبهم، إلا أن غرازياني لم يشهد الفصل الأخير من الصراع الليبي الإيطالي لأن بادوليو قد اختاره نائباً للوالي في برقة، ويبدو أن الـذي رشح غرازياني هو الجنرال دي بونو (وزير المستعمرات) وذلـك ليخلـق منافساً قوياً لبادوليو، وطار غرازياني إلى روما حيث قُوبل في مجلس النواب مقابلة الأبطال، فهتفوا له كثيراً وصفقوا له أكثر، وقابل موسوليني فرحب بـه وشكره على عمله في ليبيا، وقال له إنه أرسله إلى برقة للقضاء على الثـورة التي أقلقت الحكومة الإيطالية وقضّت مضاجعها، وسافر غرازياني إلى بنغازي بعد هذا النصر الذي حققه.

وصل غرازياني إلى بنغازي يوم 27 – 3 – 1930م، وبعد أن استعرض حرس الشرف صعد إلى قصره، وأطل على الجماهير، وألقى كلمة عبرت عن غروره وغطرسته واعتداده بنفسه، وقد أعلن صراحة عن إيمانـه بالمبـادئ الفاشستية، وربما كانت هذه أول مرة يُعلن فيها جنرال في الجيش عن انتمائـه للفاشستية، وكانت وسيلة تملق ونفاق للفوز برضا المسئولين في روما.

وأدرك المواطنون الذين أجُبروا على استقبال نائب الـوالي الجديـد، نوعية الرجل وغروره ولم يتوقعوا منه أي خير للبلاد.

وكان الوضع في برقة قد أقلق الحكومة الإيطالية التي غيرت ثـلاث ولاة في بضع سنوات؛ لعجزهم عن القضاء على الثورة المشتعلة منذُ عـام 1922م فوق الجبل الأخضر، وكان من خلال المفاوضات التي تمـت بـين بادوليو وعمر المختار عام 1929م قد أستطاع الإيطاليون الحـصول علـى

معلومات هامة عن تنظيم الثوار وتمويلهم ومدهم بالرجال، وقد أخبرهم الحسن الرضا أن السكان المدنيين كانوا يعوضون الشهداء الذين يسقطون في القتال بإرسال بديلٍ لهم؛ كي تظل قوات الثوار في حجمها دون أن تتأثر بالخسائر، وكانت هذه المعلومات قد وصلت الولاة السابقين الذين كانوا يحاولون بطرق شتى منع مساعدة السكان المدنيين للثوار، إلا أنه لم يُفكر أحدهم أبداً في إبعاد السكان عن الجبل؛ ففي ذلك تكون كارثة على السكان يجب تحاشيها. كانت القبائل تسكن في مواقعها، وتحرث الأرض المخصصة لها، وترعى أغنامها في أراضيها، وكان 160 شيخاً يشرفون عليهم، ويتقاضون رواتب من الحكومة، ويديرون شؤونهم، وكانوا مسئولين عن الأمن والنظام على الأقل نظرياً، وكان هؤلاء الشيوخ لا يتمتعون بسلطة كبيرة؛ لأن الحكومة هي التي اختارتهم من بين المقربين إليها أو الذين يتمتعون بثقتها، وفي المدن كان هناك بعض الأعيان يتلقون الرواتب مقابل مساندتهم للحكومة والدعاية لها بين السكان، ويبلغ عدد هؤلاء الأعيان والمشائخ سبعين شخصاً، ويبلغ ما يُصرف عليهم سنوياً مليوني ليرة، وكان الجميع من مشائخ القبائل وأعيان المدن يُساعدون الثوار بكل ما استطاعوا، وكان هناك قُرابة 2500 رجلٍ مسلح يعملون تحت أمر المتصرفين مباشرة، وكانت نفقاتهم تبلغ عشرة ملايين ليرة في السنة، وكانت مهمة هؤلاء ظاهرياً الدفاع عن القبائل ضد الثوار.

ويقول غرازياني عن الوضع في برقة ما يلي: إن من يجهل ظاهرة الثورة في أوضاعها في برقة آخذاً في الحساب المجاهدين فسيلخّص الموضوع في ظاهرة عسكرية فقط، ويرى كيف أن عدداً من القوات الكبيرة يعجز عن القضاء على الثورة، وإذا ما نظر إلى اتساع الأراضي، وغياب الطرق الصالحة لتنقل الجنود، وبسبب الصفة الخاصة التي تتخذها الثورة،

وإذا ما نظر إلى وضع الثورة، سيشعر في الحال أنها ليست مؤلفة من عدد محدود من الرجال الخارجين عن القانون، وإنما ظاهرة معقدة وعميقة، كلفتنا تضحيات ونفقات أخرى كثيرة وتنازلات مؤلمة عن سيادتنا.

كانت الأدوار تمثل القبائل، وكل دور يقيم في المنطقة التي بها القبيلة، وتنضم الأدوار إلى بعضها في حالة قيام معارك كبيرة، وكانت النساء يقمن بإحضار المياه للمجاهدين ومعالجة الجرحى منهم، وكان بالدور علاوة على القائد العسكري قائم مقام مدني يهتم بالأمور المدنية، وقاضي ومسئول عن التموين، وعدد من الضباط، وكانت جميع الأدوار تحت قيادة عمر المختار الذي يُوقع في جميع الوثائق باسم (النائب العام).

ويقول غرازياني كان السكان المحليون يقومون بدور مزدوج حيث أنهم يتظاهرون لنا بالإخلاص والطاعة، ويساعدون في نفس الوقت الثوار، وكان بعض القتلى من المجاهدين نعثر معهم على بطاقات شخصية إيطالية، فهم من السكان المستسلمين ويحصلون على بطاقات عادية، وينضمون في نفس الوقت إلى الثوار.

ويقول غرازياني: قد سألنا حسن الرضا كيف أن قوات عمر المختار لا يتغير عددها رغم الخسائر التي تُمنى بها؟ فقال لنا: إن كل قبيلة عندما يموت واحد من أبنائها تبعث إلى الدور بديلاً عنه مزوداً بمئونته وسلاحه وذخيرته، وجميع الثوار تزودهم القبائل بالمؤن اللازمة، وإذا القبيلة عجزت عن إرسال بديل لشهيدها تدفع إلى عمر المختار 1000 ليرة فيقوم بها بتجنيد مقاتلين من العقبة بمصر[1].

وكان السكان يؤمّنون للثوار وسائل التموين والحياة، ويتقاضون

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

منهم العشر كتأكيد لسيادتهم، ويسيطرون على الحركة التجارية ما بين مصر وليبيا، وكانوا يبيعون في مصر الأغنام التي يستولون عليها أو التي يتركهـا لهم السكان، وإن رقابتنا للحدود المصرية مهما كانت شديدة لـم يكـن فـي إمكانها مراقبة التحركات السرية للأشخاص والمواد ما بين مصر وليبيا، ولم يكن في إمكاننا إيقاف حركة التهريب لهذه البضائع والحبوب الموجهة إلـى برقة، وكان ولا بد من القيام بعمليات الرقابة، وبالقرب من الحدود المصرية كان هناك مجموعة من المهاجرين الذين اضطروا إلى الهجرة بسبب الثورة، وكانت مجموعة من الناس من كل جهة ومـن كـل طبقـة (طرابلـسية، ومصراتية، وورفلة،و فواخر، وعبيدات، وغيرهم)، وقادة الثوار، والإخوان السنوسيين، وثوار فارين، وعائلات المجاهدين، واللاجئين بصورة كبيـرة، وكان لا يمكن معرفة عددهم ولو بصورة تقريبية، لأنهم كانوا غير مستقرين، وقد يكونون عشرة آلاف أو عشرين ألفاً، وهم وصلوا إلى هنا منـذ بدايـة احتلالنا، وهناك مجموعات أخرى أغلبها مصراتية يعيـشون فـي الفيـوم والقاهرة والإسكندرية، وكان كل هؤلاء يعيـشون علـى حـساب الثـورة، ويسيطرون على تجارة التهريب مع برقة، وبأي قدر تؤثر هذه التجارة فـي اقتصاد المستعمرة، وبدا من بعض التحقيقات التي ترمي إلى تأكيد أن هـذه التجارة كانت تغطي حاجة الدور، وليس لها صفة الاستغلال، ويبـدو مـن بعض الإحصاءات ما بين 10 يناير إلى 31 ديسمبر عام 1929م، وصل إلـى ميناء السلوم 6323 طنّاً عن السابق، هذا في حين أن السلوم بما فيه من سكان وجنود مصريين لا يستهلكون أكثر 3500 طناً في العام، وهذا ما يُعطي فكرة عظمة حركة التهريب مع برقة، وهذه الأرقام لفتت نظر الحكومة في عـام 1930م، وكانت أساساً لسلسلة من التحقيقات؛ لمعرفة هل هذه الكميات لتمويل الثوار في الأدوار الذين يتكون عددهم من 600 إلى 700 شخص؟ أو كانـت لتموين مجموعة البادية والثوار الذين كانوا يعيشون لسنوات طويلة بعيـدين

عن رقابتنا وبعيدين عن قوانيننا؟ وقد أعطت هذه التجارة شكلاً خاصاً في الميدان الاقتصادي مؤلفة بذلك اختلاط الميدان السياسي بالاقتصادي.

وخلاصة القول إن حركة التهريب الواسعة هذه تكوّن أساس اقتصاد الثوار، فما يمتلكه المستسلمون ظاهرياً من حيوانات، كان يُباع في مصر ويُشترى بدله غذاء وبضائع مختلفة، وكانت تصل البضائع إلى منتجعات السكان البدو، وكانت حركة التهريب هذه يُراقبها مندوبو الأدوار، وكان لكل قائد أو قائمقام منطقة تختص به لا سياسياً وعسكرياً وإنما جمركياً بصورة خاصة؛ لتقاضي الرسوم على البضائع القادمة من مصر، ويظهر ذلك في الأحوال التالية:

1- ضعف الحركة التجارية ما بين أسواقنا والسكان البدو.

2- تطور سوق السلوم.

3- رخص سعر السكر والدقيق والشاي في المناطق الداخلية.

4- العثور على أكياس وصناديق ومواد تغليف أخرى ذات مصدر مصري، وقد وجدت بين السكان المستسلمين.

5- استعمال العملة المصرية فقط في التبادل التجاري.

6- مظاهر أخرى وأعمال وجدت في الوثائق التي عثرنا عليها لدى الثوار والسكان البدو.

7- عن الأرقام المتعلقة بحركة التهريب عبر الحدود المصرية في المواصلات كانت تُعطى لدافع الضرائب، وكانت مطبوعة في دفاتر من 100 ورقة، إلى جانب تحديد البضاعة أيضاً يوجد ذكر منطقة كل قائد.

ويُضيف غرازياني أنه بعد التأكد من أن مصر كانت تمول بالتهريب لا 600 أو 700 من رجال الأدوار، وإنما تقريباً جميع سكان برقة، وكانت

هذه الحركة كلها يُطبق عليها دفع رسوم الجمرك من قبل الأدوار، ويبدو بصورة واضحة أن الثوار كانوا يعيشون على حركة التهريب، وأن حركة التهريب هذه من الحدود المصرية تمتص من الحياة الاقتصادية للمستعمرة رؤوس أموال كبيرة، وكدليل على ما قُلنا فإن دخل الجمارك في ثلاثة أشهر (يونيو – أغسطس – سبتمبر) من عام 1930م ازدادت بقدر أكثر من مليون ونصف المليون ليرة [1].

لقد نقلنا أقوال الجنرال غرازياني عن الوضع في برقة بعد وصوله إلى بنغازي واستلامه السلطة ودراسته للوضع، وكلام الجنرال غرازياني هذا يدلُ بصورة واضحة على أن الحكومة الإيطالية عجزت في حربها مع الثوار التي بدأت عام 1922م، ولم تتمكّن رغم حشدها للآلاف من الجنود والمدفعية والطائرات والفرسان من القضاء على حفنة الثوار الذين صمدوا في وجه قواتها وهاجموها في أماكن كثيرة وردوا هجماتهم الكبيرة عليهم، هذا اعتراف واضح يشرف عمر المختار ورجاله المجاهدين، ويتعرض غرازياني للحدود المصرية الليبية ويعترف بعجز القوات الإيطالية عن رقابتها أو منع القوافل من الدخول إليها والعودة محملة بالبضائع والأسلحة والذخيرة والمؤن، لقد كانت الحدود المصرية مفتوحة على مصراعيها أمام الثوار، وكانت إيطاليا عاجزة عن إيقاف هذه الحركة، ويعترف غرازياني أن السكان المدنيين كانوا يشترون حاجتهم من البضائع المستوردة من مصر، وكانوا يتعاملون بالجنيه المصري رغم إدعاء إيطاليا بسيادتها على البلاد، إن هذه السيادة كان يُشاركها فيها عمر المختار الذي بسط سيادته على الجبل الأخضر والبطنان رغم أنف إيطاليا.

لقد كتب المؤرخ الإيطالي ديلبوكا يصفُ ثورة عمر المختار، فقال:

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

كان عمر المختار يتحلى بصفة كان غرازياني يُحاول الإقلال منهـا، وهـي عقله العسكري المفكر، وكان يتحلى بكريزما الفقر الذي كان يعـيش فيـه، والمهارة التي أبداها في المعارك، وعمر المختار ليس رجلاً متديناً فحسب بل إنه ولد مقاتلاً، وليس ذلك فقط بل إنه باني النظام السياسي العسكري الـذي دام لمدة عشر سنوات هزم خلالها 4 ولاة، وهو أخيراً وسـيط قـدير كـان يقضي على الخلافات، ويصفي المتضاربين، وهو بألفي رجل وفـي بعـض الأحيان بألف رجل فقط كان يواجه عشرين ألف جنـدي مـزودين بأحـدث الأسلحة، وأصلحها، وبطيران يحميها، ويضرب كل يوم أي كـائن يتحـرك سواء كان رجلاً أو حيواناً، وكان كل يوم يقوم بالهجوم والدليل علـى ذلـك 350 معركة، و210 صدامات مسلحة تمت في العشر سنوات، كـان عمـر المختار يضرب ثم ينسحب ويتلاشى، تاركاً للعدو الغضب وخيبة الأمل الذي يبحث عن معركة نهائية بدون جدوى، وأصبح أسمه شعار المقاومـة فـي برقة، وكان ينطقه المجاهدون باحترام وإخلاص، وكان عمر المختـار فـي حربه الطاحنة ينتفع من الغابات ومن طبيعة الأرض التي كان يعمـل بهـا، ومن تنظيمه المدني كما يشهد بذلك الجنرال (كاني فاري) وتزداد صـعوبة إيطاليا في عدم وجود مراكز مسكونة مثل الواحات والقـرى الجبليـة فـي طرابلس، فإن جميع السكان ينصرفون إلي تربية الحيوانات، ولهذا لا توجـد أهداف تُستهدف، كما أنه لا توجد في منطقة الجبل الأخـضر المـضطربة مراكز ثابتة، ولهذا فعلى الإيطاليين أن يقبلوا نوع الحرب الذي فرضه عليهم الثوار، وكانت الحرب حرب حركة، وقد تخلى الإيطاليون عن احتلال مواقع دائمة، وعلى عكس ما جاء في طرابلس حيث أن إعادة الاحتلال تمت بنظام، وبصورة مستقرة، فإنها في برقة بطيئة جداً ومؤقتة وتواجههـا باسـتمرار المقاومة، ويوجد لدى الأهالي مصدر تموين دائم لا ينضب[1].

---

(1) ديلبوكا، الإيطاليون في ليبيا، باري 1988م، ص67.

وكان الجنرال دي بونو كما سبق وذكرنا يريد من غرازياني أن يكون نِداً لبادوليو، وكان غرازياني من جهته يساعد على تحقيق هذا المخطط، وذلك بالتمرد على بادوليو وإنفراده باتخاذ التدابير القمعية دون استشارته؛ ليكون له وحده شرف القضاء على الثورة الليبية دون رئيسه، وقد أثر بطبيعة الحال هذا الصراع الثلاثي تأثيراً سيئاً على البلاد، لأن القادة الثلاثة كانوا يتبارون ويزايدون في سياسة التنكيل بالشعب الليبي، وتدمير مقاومته البشرية والاقتصادية؛ للظهور بمظهر القوة والتشدد في سحق الثورة الليبية.

افتتح غرازياني عهده الأسود في برقة بسلسلة من الإجراءات القمعية الرامية إلى حرمان المقاومة من المصادر التي تمدها بالأموال والمساعدات، فأمر بتخفيض القوات المسلحة من ثلاثة وعشرين ألف رجل إلى ثلاثة عشر ألفاً، وطال التخفيض معظم الجنود الليبيين المرتزقة؛ لعدم ثقته فيهم، وليقينه أنهم كانوا يساعدون الثوار بمختلف الطرق بما في ذلك التبرع بجزء من مرتباتهم التي كانوا يتقاضونها من الحكومة الإيطالية، كما أمر بتغيير سلاح القلة من الجنود الليبيين الذين لم يشملهم التسريح، وذلك لمنع الثوار من الاستفادة من الذخيرة التي قد يتركها لهم الجنود الليبيون في مواقع المعارك، وأصبحت القوات الإيطالية بعد هذا التخفيض تتألف في الغالب من الإرتريين، وقد أُعيد تنظيمها وتزويدها بأحدث الأسلحة والمعدات، وصدر في نفس الوقت الأمر بنزع السلاح عن الأهالي، وانطلقت الشرطة والعملاء يبحثون عن السلاح في بنغازي وبقية أنحاء برقة، ويهددون بالموت من سوف يُعثر لديه على سلاح لم يقم بتسليمه، وسلم الناس بنادق الصيد وبعض الأسلحة المرخصة، في حين قام سكان بنغازي وبقية القبائل والمدن بتسريب أسلحتهم غير المرخصة إلى المجاهدين، وأخفوا البعض الآخر للدفاع عن أنفسهم وقت اللزوم، إلا أن عُقوبة الموت دفعت الأكثرية إلى التخلص مما

لديهم من سلاح، ويُقدر الإيطاليون أنه تم سحب قُرابة خمسة آلاف بندقية من جميع سكان برقة، إلا أن السلاح الجيد تسرب سراً ووصل المجاهدين.

وفي سبيل حرمان الثوار من المساعدة والتأييد قام غرازياني في يوم 29 – 5 – 1930م بمداهمة جميع الزوايا السنوسية ومصادر أملاكها الثابتة والمنقولة والقبض على مشائخها الذين كان غرازياني يتهمهم بأنهم الأعوان الرئيسيون لعمر المختار، وقد تجاوز عدد المشائخ 30 شيخاً، وكانت عدد الزوايا 49 زاوية، موزعة كالآتي: زاويتان بمنطقة بنغازي، وزاويتان في الأبيار، وزاويتان في سلوق، وثمان زوايا في المرج، وستة في اجدابيا، وسبعة في شحات، وإحدى عشر زاوية في درنة، وأربع زوايا في طبرق، وخمس زوايا في الكفرة، وقد استثنيت زاوية الجغبوب لشهرتها في العالم، وخشية أن تثير ردود فعل في الداخل وفي العالم الإسلامي، وكانت أوقاف الزوايا تقدر بسبعين ألف هكتار من أجود الأراضي بالإضافة إلى البساتين والمباني والحيوانات والممتلكات الأخرى، ورُحل مشائخ الزوايا المعتقلون إلى جزيرة أوستيكا على ظهر باخرة حربية، ولم يُطلق سراحهم إلا في عام 1933م، وقد لاقى ربه خلال مدة اعتقالهم الشيخ عمران السكوري) شيخ زاوية المرج (والسنوسي بن جلون) شيخ زاوية البراعصة (والسنوسي بن ميلود) شيخ زاوية المزاريق (والسنوسي الهاني) شيخ زاوية أم ركبة (وإدريس بوفارس) شيخ زاوية أم حفير).

وقد شاهدت مدينة بنغازي بحزن وألم وصول هؤلاء المشائخ إلى سجن بنغازي مصفدين بالأغلال وفي أشد حالات المذلة والهوان، وشاهدت رحيلهم المؤلم إلى بنينا ثم إلى إيطاليا، وقد أعتُبر هذا العمل اختراقاً لتعهدات إيطاليا باحترام الدين الإسلامي ومؤسساته، وإن استيلاء إيطاليا على أوقاف المسلمين المكرسة لعمل الخير ونشر رسالة النور والعلم هو اعتداء على الدين الإسلامي، وامتدت يد إيطاليا أيضاً إلى أوقاف بنغازي ووضعتها تحت

رقابتها، وتصرفت فيها كما يحلو لها، واتهم غرازياني الزوايا بأنها كانت مصدراً رئيسياً لإمداد المجاهدين بأموال الزكاة والمؤن والمعلومات.

وكانت الحكومة الإيطالية في أواخر عام 1928م قد هاجمت زاوية المرج، واعتقلت شيخها عمران السكوري وعدداً من الناس كانوا مجتمعين بالزاوية، واتهمتهم بالتآمر ضد الدولة ومساعدة المجاهدين، وادعت أن شيخ الزاوية كان يجمعهم بين وقت والآخر لتزويدهم بتوجيهاته فيما يتعلق بنشاطهم ضد الحكومة، وقد أُبعد الشيخ عمران وآخرون إلى جزيرة أوستيكا بإيطاليا حيث توفي هناك كما سبق وذكرنا.

وكتب محرر جريدة (بريد برقة) مقترحاً أن يحول ريع الزوايا إلى أوقاف بنغازي ليُنفق في وجوه الخير والإحسان بصفتها أوقافاً إسلامية، واعتقد الناس في بنغازي أن الحكومة ستعمل بهذا الاقتراح، وفكروا في إنشاء جمعية خيرية تُمول من هذا الريع إلا أن الحكومة الإيطالية لم تأبه بهذا الطلب الذي يُعبر عن حقهم الطبيعي في أوقافهم، وأمرت بضمها إلى أملاك الدولة لتوزيعها على المعمرين، وتصرفت الحكومة أيضاً في المباني والمزارع والحيوانات التابعة للزوايا، وحرمت منها الليبيين، ومن المعروف أن الحكومة الإيطالية اهتمت بممتلكات الزوايا منذ عام 1928م إلا أنها لم تستول عليها خشية من رد الفعل داخل ليبيا وفي البلاد الإسلامية.

نشر غرازياني بياناً موجهاً إلى العرب بشرهم فيه بزوال الزوايا السنوسية وبالخلاص من دفع الزكاة، وانذرهم أن من يدفع الزكاة للمجاهدين سوف يكون الموت مصيره، وأرسل في نفس اليوم برقية إلى بادوليو جاء فيها: " استمراراً في العمل المنظم لتدمير وتفكيك جميع القواعد القائمة والمسببات التي أثرت في سمعتنا، وعرقلت بسط سيادتنا المطلقة على ليبيا، فقد قمت اليوم بإلقاء القبض على مشائخ الزوايا السنوسية"، وكان غرازياني يقصُد من كتابة مقدمة برقيته إلى بادوليو إطلاع وزير المستعمرات وزمرة

المستعمرين على أنه قائمٌ بالعمل المنظم والفعال؛ للقضاء على ثـــورة عمـــر المختار، وأدرك بادوليو غرض غرازياني من كتابة هذه المقدمة، فبعث إليه برقية جاء فيها: "لقد كررت أكثر من مرة مقدمة برقيتك، فأعتقد أنه لا لزوم لتكرارها في كل إجراء تتخذه، واقتصر فقط على ذكر الإجراءات" [1].

وتمادى غرازياني في أعماله القمعية، وأراد أن يُعاقب المتعـــاونين مـــع المقاومة، ورفعها إلى عقوبة الموت، وأنشأ المحكمة الخاصـــة التـــي عُرفـــت بالمحكمة الطائرة؛ لتنقلها بالطائرة من مكان لآخر؛ لمحاكمة المواطنين المتهمين بمساعدة المجاهدين، وعقد جلستها في الهواء الطلق، والميادين، وبقرب النواجع، وكانت تصدر أحكام الإعدام التي كانت تُنفذ فوراً على مرأى من الناس، وكانت إجراءات المحاكمة، والتنفيذ تتم بسرعة عظيمة، ولا تفحص شـــهادة الـــشهود، وتكتفي بمجرد الاتهام؛ لاستصدار الحكم بالإعدام على المتهمين[2].

ولخص غرازياني خطته الإستراتيجية؛ لمحاربة الثوار في النقاط التالية:

1- تدابير لإبعاد السكان عن السنوسيين، ومحاربة هؤلاء بصورة علنية في جمع الميادين وبجميع الوسائل.

2- تدابير عسكرية لضرب الدور بصورة دائمة وفي أي مكـــان، والقيـــام بالحصول على السيطرة على الأرض التي كانوا يسيطرون عليها.

3- تدابير عسكرية ترمي إلى زيادة رقابة السكان المستسلمين، والحـــد مـــن إمكانية تقديمهم المؤن للثوار، بالإضافة إلى رقابة الحدود لمنع التهريب.

4- نزع السلاح عن جميع السكان.

(1) جورج روشات، قمع المقاومة العربية في برقة، 1930 – 1931م، مجلـــة حركـــة تحريـــر إيطاليا يناير – مارس 1973م، ص520.
(2) فؤاد شكري، ص339.

5- تخفيض تدريجي للقوات غير النظامية إلى أن تُلغى تماماً، وهذا معناه إزالة السلاح والأموال والذخيرة من التداول، وهذا معناه منعها عن الثوار.

6- تدابير قانونية ترمي إلى معاقبة جريمة التعاون مع الثوار بالإعدام، ومن جهة أخرى إعادة العقوبات ضد الفارين.

7- التدابير الاقتصادية الرامية إلى السير بسرعة ببرنامج الطرق الموضوع من الوزارة ومن المارشال غرازياني، والتي لم تتحقق بسبب الفشل في الوصول إلى التهدئة في الصيف الماضي، وإن بناء الطرق يؤكد نفوذنا، وبصورة خاصة لأن عمر المختار قال عندما استُأنفت المعارك بتباهٍ: (إن هذه الطرق لن تُبنى مطلقاً)[1].

وقرر غرازياني تجريد الموظفين المدنيين من صلاحياتهم؛ لأنهم فشلوا في السابق في القضاء على الثورة، ووضع جميع الصلاحيات في أيدي العسكريين بحيث أصبحت الإدارة جميعها عسكرية، وكان التنظيم الإداري الموجود في برقة يتألف من متصرفيات بنغازي (العواقير)، والمرج، وشحات (الجبل الأخضر)، ودرنة، وطبرق. وقد أنشئت قيادة عسكرية في الجبل يعود إليها الجنود الموجودون في المتصرفيات الثلاثة (المرج – شحات – درنة).

وقد جمع غرازياني المتصرفين والسلطات والموظفين في بنغازي وأطلعهم على الخطة التي وضعها لمحاربة عمر المختار، والتي تتلخص فيما يلي:

1- إبعاد السكان المستسلمين عن الثوار بصورة قاطعة.

2- القيام بسياسة تهدف إلى اجتذاب السكان على أساس المحافظة على نفوذنا وعلى كرامة الحكومة، ونزع السلاح بما يَدفع إلى الحدود القصوى لضمان إيقاف أو الإقلال من تهريب الأسلحة إلى الثوار.

---

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

3- الضغط على السكان لدفعهم إلى قطع أي ارتباط بالثوار (سواء عن طريق القضاء أو بإشعار الجميع بأن الهدوء ينبع من الهدوء).

4- جمع المخيمات التدريجي لمواجهة هذه الضرورات.

5- تغيير سريع وكامل لجميع الأسلحة (91) التي بيد الجنود غير النظاميين (المرتزقة) المنضمين إلينا، بأسلحة (7087) وذلك لتجنب تهريب الذخيرة[1].

وقد دُرست بدقة جميع النتائج المحتملة لهذه التعليمات الجذرية، ومن المعروف أن ذلك سيمنح الحياة الهادئة للجميع، وهو أيضاً الوسيلة الوحيدة التي ستؤدي إلى القضاء على الثورة.

وقد وزع غرازياني منشوراً على المشائخ والسكان جاء فيه:

" إلى مشائخ وسكان برقة...

بالأمس اجتمعت الحكومة الخاصة بالمرج لمحاكمة قتلة الإيطالي (غارد فالوا)، وقد حُكم عليهم بالإعدام، ونُفذ فيهم الحكم اليوم في المرج، كما حُكم على ثلاثة مواطنين بالإعدام؛ لمساعدتهم للثوار، وكانت الحكومة كريمة معهم، فأوقفت حكم الإعدام وبدلته بثلاثين سنة سجناً، ومصادرة جميع ممتلكاتهم.

إلى مشائخ وسكان برقة...

إن هذا الحادث يعني أن الحكومة تعتبر مساعدة الثوار جريمة خيانة نحو الدولة، وسيُعاقب من الآن فصاعداً لا بمخالفات بسيطة، وإنما بالإعدام، وإن تحويل حكم الإعدام إلى ثلاثين سنة سجناً يدل على كرم الحكومة، وهذا لعلمكم جميعاً.

والله ينير أعمالكم المستقبلية. "[2]

---

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

(2) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

وفي الوقت الذي كان غرازياني يقومُ بحشد قواته وتنظيمها وتزويدها بالأسلحة المتطورة، وبكل ما أنتجته مصانع السلاح الإيطالية من جديد استعداداً للمعركة الفاصلة بينه وبين عمر المختار، كان في الوقت نفسه لا يكفِ عن توجيه التهديدات إلى السكان المدنيين وإرهابهم؛ بُغية وضع حدٍ لمساعداتهم للثوار.

وتشكلت القوات الإيطالية الجديدة لمحاربة الثوار من وحدات متحركة، وتتكون من الكتائب والفرسان والمدفعية والطيران، وتقوم القوات المتحركة بالهجوم حيثُ ما اقتضت الحاجة إلى ذلك، وتقوم القوات غير النظامية الموفدة من طرابلس بحراسة مخيمات المستسلمين حسب الحاجة والظروف، وكذلك تقوم بواجبات متحركة، ولا يعتمد غرازياني كلياً على حرب الوحدات المتحركة؛ لأنها قد تُهزم من قبل المجاهدين إذا لم تستطع القوات الإيطالية مهاجمتهم وتفريقهم.

وقد زار غرازياني الأبيار يوم 22 مايو 1930م وجمع الناس والمشائخ، وتحدث إليهم قائلاً:

1- إن من يقدم مواد غذائية أو سلاحاً أو ذخيرة إلى الثوار أو يساعدهم سيحكم عليه بالإعدام.

2- جميع الأسلحة يجب أن تكون في أيدي الحكومة بدون استثناء، والحكومة ستتولى حماية الناس والحيوانات وممتلكاتهم.

3- لا توجد في برقة سوى حكومة واحدة وهي حكومة إيطاليا، وإن ما يسميها عمر المختار (بحكومة الليل) ستدمر، والويل منكم لمن يعتبرها.

4- نحن نحارب السنوسية بوجه مفتوح، والدين الإسلامي الذي توليه إيطاليا كل احترام يختلف عن الطريقة السنوسية التي تسببت في البؤس الحالي الذي تعاني منه برقة لتتبعها لهذا المذهب.

5- إن دفع الأعشار للسنوسية يعتبر عملاً من أعمال المساعدة لهم، وإن من يدفعها سيعاقب بالموت، فالحكومة فقط لديها الحق في جباية هذه الضرائب.

وليكن هذا قانونكم الذي يوجهكم في جميع أعمالكم".

ونشر هذا الكلام في جريدة (بريد برقة)، وطُبعت منه نسخاً ووزعت في البلاد.

واستمر غرازياني في اتصالاته بالسكان، وتوجيه التهديدات لهم، ومعاقبتهم بالموت إذا واصلوا مساعداتهم لعمر المختار.

معركة الفايدية :

أخذ غرازياني يستعد لمعركة فاصلة بينه وبين الثوار، فحشد الآلاف من جنوده المؤلفين من الجنود الإرتريين والإيطاليين والفرسان والمدفعية والمصفحات والطيران، وقد أرسل له بادوليو كتيبتين إرتريتين ومجموعة من المرتزقة، وكان عدد قواته بأكثر من عشرة أضعاف من عدد قوات المجاهدين، بالإضافة إلى الطائرات والآليات والمدفعية التي كان يفتقر إليها المجاهدون، ونظم قواته ووزعها على المناطق التي يتواجد فيها المجاهدون، واستعد لمواجهة عمر المختار في معركة فاصلة كان متأكداً من أن النصر سيكون حليفه، ويكون الرجل الذي استطاع أن يتغلب على الثورة الليبية في وقتٍ عجز غيره على مدى عشر سنوات من القضاء عليها.



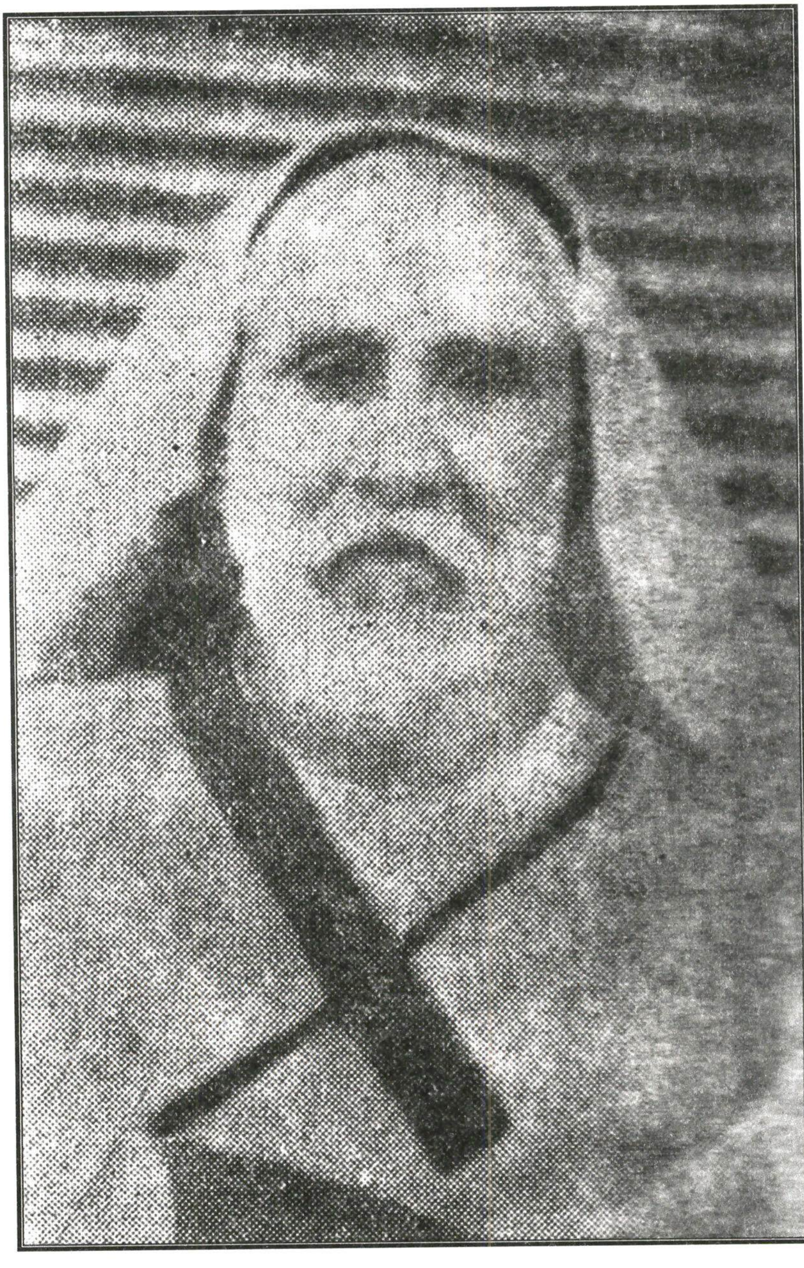
المجاهد الكبير الفضيل بو عمر.



المجاهد الكبير قجة عبد الله.



المجاهد الكبير الشيخ عبد الحميد العبار.



المجاهد الكبير عبد السلام الكزة.

وكان بادوليو على علم باستعدادات غرازياني للمعركة الفاصلة بينه وبين الثوار، وقد أراد الحضور إلى بنغازي؛ للإطلاع على الخطة التي وضعها غرازياني للمعركة وإدخال التعديلات اللازمة عليها، إلا أن غرازياني طلب من بادليو أن يُؤجل زيارته إلى ما بعد الانتهاء من المعركة؛ لكي يحتفلا سوياً بالنصر على عمر المختار، وغضب بادوليو لرفض غرازياني زيارته إلى بنغازي، وانتظر نتيجة المعركة التي سيخوضها مع الثوار، وحدد الجواسيس والعيون مواقع المجاهدين، والمنافذ التي من الممكن أن ينسحبوا منها، والطرق المؤدية إلى هذه المواقع، وتحركت القوات الإيطالية في منتصف شهر يونيو عام 1930م، وقامت بتطويق منطقة فايد التي كان يُعسكر بها المجاهدون تطويقاً كاملاً من جميع الجهات، وتواصلت المعركة لمدة أسبوعين، تضافرت خلالها قنابل الطائرات ونيران المدفعية والرشاشات ونيران آلاف الجنود للقضاء على بضعة مئات من الرجال المسلحين بالبنادق لا غير، وانتهت المعركة بتمكن المقاومين من تحطيم الحصار المضروب حولهم، وشق طريقهم بين الصفوف الإيطالية، وانتصروا على الحملة الإيطالية بعددها وعدتها، وبرر غرازياني هزيمته في الفايدية بقوله (قبل أن تقوم قواتنا بأي عمل كانت أدوار الثوار عندها الخبر بواسطة الذين يزعمون بأنهم خاضعون ومخلصون لسلطتنا، فكانت الأخبار تصل إلى عمر المختار أسرع من البرق الأمر الذي يُفسد علينا كل الخطط التي نرسمها للمعركة، وخاصة في منطقة سلنطة والفايدية والقيقب، وحاملو هذه الأخبار أكثرهم من الجنود المتطوعين في صفوفنا، بينما هم الآفة الخطرة التي تنخر في صفوفنا تحت ستار الطاعة المزيفة، وفي الوقت نفسه جنود في الكتيبة العاشرة)[1].

---

(1) غرازياني، برقة الهادئة، ص163.

وكانت لطمة قاسية تلقها غرازياني حطمت غروره وكبرياءه، وأفسحت المجال لغريمه بادوليو كي يشمت فيه ويعيده إلى حجمه الطبيعي، وقد بعث إليه ببرقية شديدة اللهجة انتقد فيها العملية الحربية من أساسها، وقد جاء فيها:

" تركتك تقوم بهذه العملية دون أن أتدخل تماشياً مع رغبتك في تأجيل زيارتي إلى بنغازي إلى ما بعد نهاية المعركة، إلا أنني أشعر الآن أنه قد أصبح من واجبي أن أتدخل؛ لأن المسئولية تقع على قبل أن تقع على الوزارة، إن معركة الفايدية فشلت كما فشلت المعارك التي سبقتها والتي ستلحقها ما دامت الأوضاع الحالية لا تزال قائمة، وتعود أسباب الفشل إلى عاملين رئيسيين يتمتع بهما الثوار الأول : نظام الحماية والاستخبارات اليقظ جداً، والثاني: براعة عمر المختار الخارقة للعادة، وعدم اهتمامه بالشهرة والمجد العسكري، فإنه يقيّم بهدوء وبرود إمكانيات قواته وعلى ضوء هذا التقييم يقاتل أو يرفض القتال، ويبعثر قواته، وإذا ما درستم تاريخ العمليات الحربية التي تمت فسترون أننا في الغالب إنما غنمنا بعض الحيوانات، ولم نصب العدو بضربات شديدة؛ وذلك بسبب الأوضاع التي ذكرتها، ومادامت الحرب التقليدية لا تثمر فيجب استعمال وسائل أخرى شديدة العنف حتى ولو ألحقت الكوارث بالليبيين، ولذلك يجب خلق فراغ أرضي شاسع بين الثوار والسكان الخاضعين لنا، ولا أخفي عليكم وزن وخطورة هذا الإجراء الذي يعني دمار السكان، إلا أن الطريق قد رُسمت وعلينا أن نسير فيها إلى النهاية، حتى ولو أدى إلى موت جميع سكان برقة" [1].

وقد علق غرازياني على معركة الفايدية، حيث قال: " إن موقعة

---

(1) أ. ديلبوكا.

الفايدية في 11 يونيو عام 1930م، عندما كان موضوع نزع السلاح على قدم وساق، وعمليات المحكمة الخاصة في أوج أعمالها أثرت هذه الموقعة على معنوياتنا وأحدثت لنا جروحاً دامية في قلوبنا"[1].

وقد عم الحزن وزير المستعمرات دي بونو، وفئة المستعمرين المتشددين الذين كانوا يرجون أن تنتهي المعركة بالقضاء على عمر المختار ورجاله، وبسط سيادة إيطاليا على جميع الأراضي الليبية، وفتح باب الهجرة أمام المعمرين الإيطاليين، وبعد فشل معركة فايد شعر بادوليو أنه لا فائدة من الاستمرار في الحرب التقليدية التي لم تأت بنتيجة ولن تأتي بفائدة ولو استمرت عشر سنوات أخرى. وأرسل بادوليو برقية إلى وزير المستعمرات يشعره فيها بضرورة اعتقال السكان وإبعادهم عن الثوار بصفتها الوسيلة الوحيدة الممكنة للقضاء على الثورة، وذلك بحرمانها من قاعدتها الأساسية، وأن التشدد في محاربة الثوار بالطرق التي اتُّبعت في الماضي لن يأتي بأي نتيجة، وأن الطريق الوحيد الذي يجب إتباعه هو فصل الدور عن بقية السكان، وقطع جميع الخيوط المنظمة ما بين الثوار والسكان، وأكد بادوليو في برقيته أن الإجراء خطير ومعقد ولا يأتي بنتائج سريعة، إلا أنه الطريق الوحيد المؤدي إلى نتيجة.

ويبدو من مختلف البرقيات بين المسئولين الإيطاليين أن بادوليو كان صاحب فكرة اعتقال السكان، وأن دي بونو وموسوليني وافقا عليها، وقام غرازياني بتنفيذها في أبشع صورها.

وهكذا قررت إيطاليا الدولة الأوروبية الكبرى شن حرب إبادة جماعية ضد جزء من الشعب الليبي لا يتعدى عدده المأتي ألف نسمة؛ للقضاء على حَفنة من الأبطال أبوا أن يعيشوا عبيداً في ظل حكمها المستبد والمتوحش.

(1) غرازياني، برقة الهادئة، ص159.

الفصل السادس

معتقلات الإبادة

حرب الإبادة:

لم تحقق القيادة الإيطالية نجاحاً ملموساً من سلسلة إجراءاتها القمعية، بالرغم من قسوة هذه الإجراءات وبشاعتها، ونشر موجة من الإرهاب والعنف ألحقت بالسكان الخاضعين الدمار والخسائر.

و قد استمر عمر المختار في تحديه لبادوليو وغرازياني، وتواصلت عملياته الحربية ضد الحاميات الإيطالية، وألحق بها الهزيمة تلو الأخرى، وأربكت هذه العمليات القيادة الإيطالية، وألقت ظلالاً من الشكوك على إستراتيجيتها الجديدة، وعلى نتائج عملياتها القمعية ألللإنسانية، ومما ضاعف هذا الارتباك تزايد فرار الرجال من المعتقلات والتحاقهم بمعسكرات المجاهدين، وكتب غرازياني في هذا الصدد يقول: (ماذا نستطيع أن نفعل ضد مواقف السكان الذين لا يريدون أن يتخلوا عن تأمرهم وتضامنهم مع رئيس الثوار؟ ماذا تبقى لنا أن نفعل؟ إما أن نتخذ التدابير التي أخذناها مع الأخذ بعين الاعتبار الأضرار الاقتصادية التي تنتج عنها، أو إعطاء صلاحيات للجيش في كل مرة يكتشف التضامن مع الثوار، وهذا الحل الثاني أسهل لنا إلا أنه يكون كارثة على السكان حيث أنه سيقضي عليهم في خلال أشهر إما بالموت أو بالهجرة إلى مصر)[1].

وكان غرازياني قد بدأ في تنفيذ مخططه لإبعاد السكان المدنيين عن مواقع الثوار، وكانت المرحلة الأولى من هذه الخطة تقضي بوضع السكان المدنيين بالقرب من مراكز الدولة الساحلية؛ لحمايتها ورقابتها، وقد تقرر جمع سكان البطنان في عين الغزالة (موطنهم الأصلي)، والعبيدات في منطقة درنة، والحاسة في شحات (موطنهم الأصلي)، والعرفة والعبيد في

---

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

منطقة المرج، والبراعصة في مراوة، والعواقير احتفظوا بمواقعهم الممتدة من سلوق إلى توكرة، وسكان الأبيار في مواقعهم، والمغاربة في صحراء سرت، وكان الإيطاليون يظنون أن إبعاد السكان إلى هذه المراكز سيضعُ حداً لتعاونهم مع الثوار، وقد اتضح فيما بعد أن المساعدات للثوار تواصلت، وأن أعداداً من الشباب قد فروا والتحقوا بالمجاهدين.

ويقول غرازياني في هذا الصدد:"إنه بالرغم من التدابير القضائية والسياسية القاسية التي طُبقت بدون رحمة، فإن مساعدة الثوار والتجسس لصالحهم قد ألحقت الضرر بقواتنا بصورة متزايدة" [1].

ويتهم غرازياني السكان المدنيين رغم اعتقالهم ووضعهم بقرب المراكز الإيطالية أنه خلال معركة الفايدية التي دارت من 15 إلى 30 يونيو عام 1930م أنهم وقفوا إلى جانب عمر المختار جميعهم بدون استثناء.

و ذكر الأستاذ يوسف البرغثي في كتابه (المعتقلات الفاشستية بليبيا) حيث يقول: (إن معتقل عين الغزالة المؤقت يقع ضمن حدود إستراتيجية تضمن عدم فاعلية هجمات الثوار لتخليص ذويهم، إذ تحيط به مياه البحر من ثلاث جهات، كما تحيط به سلسلة هضاب البطنان كحائل طبيعي من الجنوب والجنوب الغربي ومدينة طبرق التي تتمركز بها الحاميات الإيطالية من الجنوب الشرقي، ورغم حصانة الموقع تمكن المجاهدون من دور العبيدات والحاسة من الاتصال بالمعتقلين سراً، ودبروا معهم كميناً للقوات الإيطالية بهدف تخليصهم، فقام ما يُقارب من 500 شخص من المعتقلين بعين الغزالة ومعهم حمولة الجمال من الحبوب متظاهرين بعزمهم على حرثها؛ ليتحصلوا منها على مئونة مخيماتهم،و لكنها كانت مجرد خدعة وصفها غرازياني بقوله: (في الحقيقة كانت خدعة من سكان المنطقة بالاتفاق مع عمر المختار

---

(1) غرازياني، السلام الروماني في ليبيا.

بأن يُفاجئ المجاهدون القافلة في منتصف الطريق ويستحوذوا عليها، ويستولوا على الأسلحة والذخيرة بعد قتل جنود الحراسة)[1].

وقد تضاعف حقد الجنرال غرازياني على العرب، وزادت رغبته في الانتقام منهم بعد حادث عين الغزالة، ويقول الجنرال غرازياني في هذا الصدد: (انعقدت المحكمة الخاصة لمحاكمة المشائخ المسئولين عن حركة الكمين الذي حدث في عين الغزالة، وهكذا أعُدم من أعُدم وسجن الباقون بمدد متفاوتة)، ويقول المطلعون أن عدد من نُفذ فيهم حكم الإعدام في عين الغزالة بلغ 15 شخصاً خلال مدة ستة أشهر، منهم المشائخ بو بكر البايد القطعاني "بو بنداق"، وعائلة الطيف بو منصورة السبعة ضمنهم أبنة اللطيف بو منصورة الغيثي وتدعي خيرة، كما شملت الإعدامات بالمعتقل المشائخ: محمود بالقاسم الطلحي وأخيه مازق وعمه صالح حمد الوادي وسعد الجبالي وسليمان الشاعث القرباع، وبو قعيدة الفاخري، وصالح البسطة الحمري.

وعُقد اجتماع في بنغازي في أخر شهر يونيو عام 1930م، ضم وزير المستعمرات دي بونو والمارشال بادوليو والجنرال غرازياني، وذلك لدراسة الوضع العسكري والسياسي على ضوء ما تحقق، واتخاذ المزيد من إجراءات القمع والعنف من أجل الوصول إلى الهدف، وكان القادة الثلاثة يدركون جيداً حجم الجريمة القائمة، وأبعادها المأساوية على الليبيين، وردود فعلها على المستويين الدولي والإسلامي، وما يترتب عن ردود الفعل هذه من تأثيرات على سياسة إيطاليا الخارجية، فقد تدفع روما إلى تغيير سياستها تجاه المقاومة الليبية، والدخول معها في حوار كما سبق وحدث قبل، ولذلك فإن الإسراع بإنهاء المقاومة مهما كانت الوسيلة والثمن هو السبيل الوحيد لتبرير ما اقترفته أيدي القادة المذكورين من آثام، ووضع حد لحملة الاستنكار ضد

---

(1) يوسف البرغثي، المعتقلات الفاشستية بليبيا، طرابلس 1993م، ص93.

إيطاليا، وأعلن غرازياني أن الحكومة الإيطالية قررت القضاء على الثورة مهما كانت الوسيلة ومهما كان الثمن، وقد تنقل وزير المستعمرات والمارشال بادوليو في الدواخل وتحدثا إلى الناس مهددين ومتوعدين، وأن من يتتبع تصرفات وخطب ومنشورات الحاكم العام والجنرال غرازياني في صيف وخريف عام 1930م يُدرك في الحال أن الحرب كانت تُشن ضد السكان المدنيين من بدو وحضر، لا ضد المقاومة المسلحة بقيادة عمر المختار، وكانت القيادة الإيطالية على قناعة تامة، وقد عبرت عن قناعتها هذه في تصريحاتها وأوامرها، بأن القضاء على السكان المدنيين هو السبيل الوحيد للقضاء على الثورة، وقد حمّلت هذه القيادة السكان المدنيين مسئولية استمرار المقاومة المسلحة، ومسئولية الفشل العسكري الذي لحق بالقيادة الإيطالية الجديدة المغرورة، ونتيجة لهذه القناعة صدرت الأوامر باعتبار جميع سكان برقة العرب في حالة اعتقال ورقابة مشددة.

اعتقال السكان المدنيين في صحراء سرت :

في يوم 25 يونيو عام 1930م تقرر إخلاء الجبل من السكان، ونقل جميع السكان إلى خارج الجبل من طلميثة إلى الغرب، وهي الجريمة التي لم تقترفها أية دولة استعمارية أو غير استعمارية ضد شعبٍ قُدر لها أن تحكمه، فلم يسبق في التاريخ الحديث أن شعباً بكامله يُرحل من مواطنه وأراضيه ودياره التي عاش فيها قروناً إلى صحراءٍ قاحلة وفي معتقلات محاطة بالأسلاك الشائكة، وبنادق الجنود الإرتريين.

وقد اقتنعت إيطاليا أن عملية حشد الأهالي بقرب المراكز العسكرية ريثما يتم الإعداد لترحيلهم إلى موطنهم النهائي بصحراء سرت عملية فاشلة، وقد اتضح أن المساعدات لم تتوقف عن الثوار، وعمليات هروب الشباب قد استمرت، وإن السكان المستسلمين يقومون بمقاومة سلبية ضد الحكومة.

جاء غرازياني إلى برقة ومعه صلاحيات مطلقة للقضاء على الثــورة وعلى الناس، ولإعداد الأرض لاستقبال عشرات آلاف الفلاحين الإيطاليين، وفي عام 1931م تأسست "هيئة استعمار برقة" التي أنيط بها إعــداد القــرى والمسكان والأراضي التي خلفها الليبيون المعتقلون، ومنحها إلى المعمــرين الإيطاليين القادمين، وقد صرح غرازياني: "أن العرب الرُحــل هــم أعــداء الزراعة، ولذلك ليس من حقهم البقاء في أراضٍ قابلة للإصلاح الزراعي، أي أراضي جبل برقة، ولذلك يجب إقصاؤهم عن هذه الأراضــي إلــى الأبــد، وإحلال محلهم عشرات الآلاف من الفلاحين الإيطاليين"[1].

وتقرر نقل ما يزيد عن 80 ألف نسمة أي أكثر من نصف السكان إلــى الصحراء الواقعة جنوب بنغازي إلى العقيلة حيــث أعــدت لهــم المعــتقلات المحاطة بالأسلاك الشائكة المزدوجة والرشاشات، وقد عُــين المــدعوُ "بيــت رونتشي" من موظفي الإدارة الإيطالية والذي يجيد التحدث باللغة العربية مشرفاً على ترحيل السكان، وقد بعث متصرف بنغازي "إي جيدي" بتقرير للحكومــة عن تفاصيل هذه الرحلة جاء فيه: (بدأ السكان الرحلة من دريانة إلى قمينس، وكانت الطريق على النحو التالي: دريانة – سيدي منصور – بنينا – نواقية – حوش القطعان – غمينس، ودامت الرحلة اثني عشر يوماً سيراً على الأقــدام، وكانت أشياؤهم تحملها قافلة من 200 رأس من الإبل، أحضرت بالمناسبة من سلوق، وحيوانات السكان المذكورين باستثناء الحيــوان المــشغول بأعمــال الزراعة فقد كان يتبع السكان، وفي المجموع كان عدد الحيوانات 6000 رأس، وبعد استراحة دامت بضعة أيام في غمينس استأنفت الرحلة نحو سلوق التــي اختيرت كآخر مقر لهم، والتي وصلوها في أوائل شهر أغسطس.

المسيرة من دريانة إلى سلوق تمت بنظام، وكانــت تــصحبهم قــوة

---

(1) إريك ساليرنو، المذابح في ليبيا، روما، ص91.

من الإرتريين المسلحين الذين كانوا يراقبونهم ليلاً، ويقومون بحمايتهم، ولم يُسمح بتأخر أحد أثناء المسيرة، ومن يتأخر يُقتل في الحال، وإن إجراء صارماً كهذا أتخذ لضروريات كثيرة، بسبب أن هؤلاء أجبروا على ترك أراضيهم وممتلكاتهم، ونفس الشيء كان ينطبق على الحيوانات التي لم تستطع مواصلة السير، فكان يقتلها الفرسان غير النظاميين الذين كانت مهمتهم حماية الحيوانات والمحافظة عليها، وقد اتّخذ هذا الإجراء الأخير كي لا يُترك الحيوان ضالاً؛ فيقع بيد الثوار الذين كان بعضهم يقترب من القافلة السائرة في طريقها على أمل الحصول على كل ما يضيع أو يترك)[1].

وكتب غرازياني يقول في مذكرة بتاريخ 30 – 9 – 1931م يعلن فيها اتجاه التحدي ضد السلطة الحاكمة، جاء فيها: (في الأشهر الأخيرة حدث هروب أشخاص من الأدوار إلى المجاهدين، العبيدات 26، والدرسة 22، والعواقير 9، العرفة 7، والبراعصة 3، والمغاربة 3، والحاسة 1، لا يؤخذ بعين الاعتبار في هذا الإحصاء الهروب الجماعي خلال حشد وترحيل السكان، والأرقام المذكورة تعتبر مساعدة للدور، أي تآمر واضح، ولا تزال ضرائب العشر تُدفع بطرق مختلفة، تتفق مع الوضع الحالي، ولا يوجد شك، ويتضح ذلك لهذه الحكومة بشكل أكيد، وإنَّ الاتجاه لترك الحيوان بدون حراسة، فهي مقاومة فعلية ضد الحكومة، والغاية من ذلك دفع الحكومة إلى السير في إجراءاتها القمعية إلى النهاية؛ وبذلك يتم الارتخاء في النظام أو العودة إلى المواقف السابقة، ويجب إفهام الجميع أن هذه آمالٌ لا تتحقق، ولن تغير الشدة شيئاً، ويجب تطبيق إجراءات جماعية، لا تصيب الفرد وإنما العائلة أو القبيلة بأجمعها)[2].

(1) إريك ساليرنو، المذابح في ليبيا، روما، ص88.
(2) إريك ساليرنو، المذابح في ليبيا، روما، ص98.

واصلت السلطات الإيطالية جريمتها الكبرى بترحيل السكان، قبيلةً بعد الأخرى، سيراً على الأقدام، حيث قطعوا مئات الكيلومترات، وهم في أشد حالات البؤس والمعاناة، كقطيع غنم يُضرب بالسياط ويقتل من يتخلف منه عن السير، وكان أكثر ضحايا رحلات العذاب هذه النساءُ والأطفال والشيوخ الذين عجزوا عن مواصلة السير على الأقدام فقتلهم الجنود الإرتريون، وألقوا بهم على قارعة الطريق، حيث لم يكن يُسمح لأحد أن يتوقف لدفن ابنه أو زوجته، ولا نبالغ فيما ذكرنا من أعمال وحشية، فقد كشفت الوثائق السرية ومحفوظات غرازياني خاصة عن بعض من هذه الجرائم والأحداث التي تتحدث عن هذه الفظائع بتبجح ووقاحة وتشفٍ كأنما السكان العرب الذين يعملون على قتلهم ليسوا من البشر.

وكانت قافلة المرحلين تجمع الشبان والشابات والشيوخ والعجائز والأطفال بما فيهم الرضع، وكانوا مجبورين على السير طيلة النهار في حرارة الصيف القاسية وتحت الشمس المحرقة، وكانت تتبعهم القافلة التي تحمل أشياءهم من خيام وفرش وسجاد وغيره من مستلزمات حياتهم، وكانت تتبعهم أيضاً البقية الباقية من الحيوانات التي سُمح لهم بأخذها، وفي المساء تتوقف القافلة ويخلد المرحلون إلى الراحة ويتناولون القليل من الطعام وينامون استعداداً لمواصلة الرحلة في الغد، ودامت رحلات المعتقلين أياماً عديدة قبل وصولهم إلى المعتقل المخصص لهم، ولعل أقسى رحلة هي رحلة قبيلة العبيدات الذين قطعوا مسافة 1100 كم سيراً على الأقدام في الظروف التي ذكرناها، وذلك عقاباً لهم بعدما ادعت الشرطة أنهم كانوا يخططون للفرار بالاتفاق مع عمر المختار، والمعلومات قليلة جداً عن عدد القتلى برصاص الإرتريين والموتى في الطريق من الإعياء وقسوة الرحلة والمرض، لقد حاولت إيطاليا التكتم والإقلال من ذكر تفاصيل هذه الجريمة حتى في الوثائق الرسمية التي أُفرج عنها.

وكان معتقل العقيلة أقسى وأسوأ المعتقلات حيث أنشئ ليكون معتقلاً؛ للعقاب، والعذاب، وقد ضم (10900) نسمة من المغاربة وقبائل البطنان وأقارب المجاهدين وأسر كريمة من بنغازي ودرنة جاءوا بها إلى العقيلة بنسائها وأطفالها وشيوخها لأن لها قريباً مع المجاهدين أو في المهجر.

وقد نُظمت المعتقلات بوضع الخيام في صفوف متراصة كل صفٍ به خمسون خيمة، ويُشرف على الصف موظف ليبي يُدعى (كابو فيلا)، وكانت مهمته مراقبة سُكان الصف المسند إليه رِقابته، وجمعهم في المساء، وعدهم؛ كي لا يكون أحدهمٌ متغيباً، وإذا غاب أحدٌ لسبب أو لآخر عن حضور هذا الجمع يبلغ رئيس الصف المسئول الإيطالي عن ذلك، ثم يحضرون المتغيب، ويقررون عقابه إما بالموت أو الجلد، وكانت مهمة هذا الرئيس أن يوزع الطعام على المعتقلين ويُبلغ رؤساءَه إذا ما فر أحدٌ أو حاول الفرار، ويكون عقابه الشنق، وتجرى كل يوم عمليات العقاب بالشنق أو الجلد بحضور المعتقلين وتحت أنظارهم، ويتألم الجميع في صمت ولا يتفوهون بكلمة، أما الطعام الذي كان يوُزع على المعتقلين فعبارة عن كمية من الشعير أو قطعة خبز لا يزيد وزنها عن 150 إلى 200 غرام، وذلك قوت الإنسان طيلة الأربع والعشرين ساعة.

وقد فتكت الأمراض بالناس، وكثرت الوفيات حتى إنَّه كانت تمرُ عربةٌ في الصباح من أمام الخيام لأخذ الموتى ودفنهم، وكانوا في الغالب يدفنون في قبور جماعية، وقد خصصت حكومة إيطاليا ستة معتقلات؛ لإقامة القبائل المهجرّة التي تم توزيعها على هذه المعتقلات على الصورة التالية وفقاً لتقرير أرسله غرازياني إلى وزير المستعمرات بتاريخ 2 – 5 – 1931م أي بعد إتمام عملية التهجير، جاء فيه: (إن المعتقلات الهامة حُشدت في جنوب بنغازي وفي صحراء سرت، وكان أكبر المعتقلات معتقل مرسى البريقة الذي يضم (21117) شخصاً من قبيلة العبيدات وقبائل البطنان، ويتبع ذلك

معتقل سلوق الذي حُشد فيه (20123) شخصاً من قبائل العبيد والعرفة والعواقير والفواخر والمغاربة، ثم يأتي معتقل سيدي أحمد المقرون وبه (13050) شخصاً ما بين درسة وبراعصة، ثم معتقل العذاب في العقيلة وبه (10900) شخصٍ من المغاربة وقبائل البطنان وأقارب الثوار، ثم معتقل اجدابيا وبه (10000) شخص، ومعتقل الأبيار وبه (3123) شخصاً من العواقير، وفي المجموع تضم هذه المعتقلات (78313) معتقلاً)[1]، ويُضاف إلى هذه المعتقلات معتقلات صغيرة في درنة وبها (145) خيمة، ومعتقل في سوسة وبه (1354) خيمة، ومعتقل المرج وبه (538) خيمة، ومعتقل سواني الترية وبه (100) خيمة، ومعتقل النوفلية وبه (375) خيمة، ومعتقلان في بنغازي (القوارشة والكويفية) وبهما (245) خيمة. وإذا ما حسبنا أربعة أشخاص في كل خيمة فإن عدد المعتقلين في هذه المعتقلات الصغيرة يبلغ (12848) معتقلاً، وبذلك يبلغ مجموع المعتقلين (90761) معتقلاً، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل يجب الأخذ بعين الاعتبار الأشخاص الذين قتلوا في الطريق أو ماتوا في المعتقلات، وإن العدد الإجمالي للمعتقلين يصل بذلك إلى 100 ألف معتقل لا أقل من 100 ألف، وهذا الرقم يمثل أكثر من نصف سكان برقة.

ويظهر من تقرير متصرف بنغازي السابق الذكر؛ أن المعتقلين في سلوق انخفض عددهم في عام واحد من 20123 معتقلاً إلى 15000 معتقل، وأن المعتقلين في سيدي أحمد المقرون انخفض عددهم من 13050 معتقلاً إلى 10197 معتقلاً، وعندما قامت الحكومة الإيطالية في يوم 21 أبريل 1931م بإحصاء دقيق لسكان برقة اتضح أن عدد جميع السكان هو 142 ألفاً.

وقد انخفض عدد سكان برقة في العشرين سنة التي دام فيها الاحتلال

---

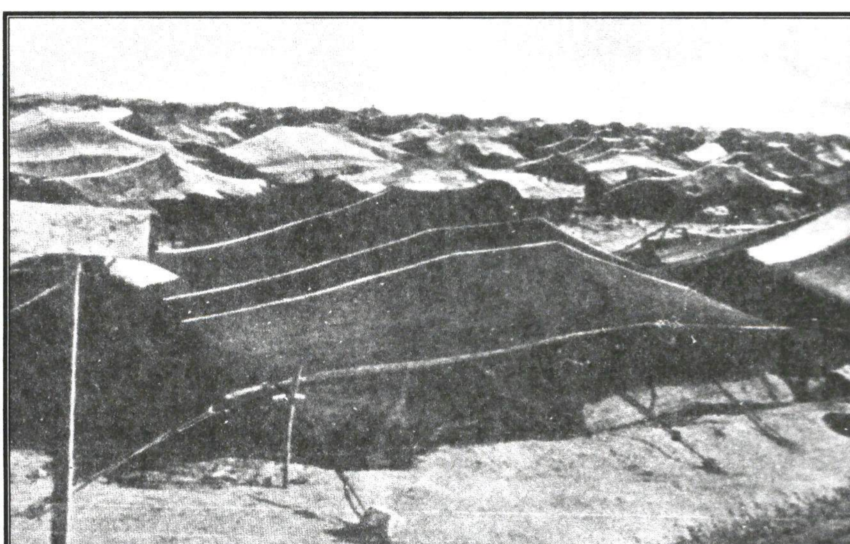
(1) أ. ديلبوكا، الإيطاليون في ليبيا، روما، ص182.

الإيطالي إلى أكثر من 60 ألف شخصٍ ما بين من قُتل ومن فرّ إلى خارج البلاد، إلا أن مذبحة المعتقلات كانت أقسى وأروع وأفظع، فتقدر المصادر المسئولة أن ما لا يقلُ عن نصف عدد المعتقلين قد ماتوا في المعتقلات بسبب الجوع والمرض وعدم العناية وبسبب عمليات القتل المستمرة. ونورد فيما يلي شهادة صحفي فاشستي يُدعي (فيليتشي) بعد زيارته لمعتقل المقرون، وقد كتب ما يلي: (أما أحد جوانب المعتقل يبلغ طوله 1200 متر، وبه 8 مربعات، وقد وضعت بصورة بحيث يوجد أمام كل مربعين أرض لإيواء الحيوانات، وكل مربع به من 15 إلى 20 شوطاً من الخيام، والجميع مرقم ومعروف، بحيث يعرفون سكان كل مربع، وتفصل بين المربعات شوارع واسعة، ويوجد رئيس للمعتقل ورؤساء للمربعات، ورؤساء للأشواط وجميعهم من الليبيين، ويعيش جميع المعتقلين تحت الخيام ولا يمكن وصف الخيام، ويتساءل الصحفي عن قذارة الخيام ويتساءل من أين يأكل هؤلاء الناس. وقسم منهم يحمل بطاقات تسمح له بجلب شعير بنسبة نصف كيلو للشخص في اليوم)[1]، وهذه الكمية من الغذاء التي ذكرها الصحفي الإيطالي لا تسمح للشخص بالحياة، وبما أن حكومة برقة لا تريد أن تتحمل نفقات تموين هؤلاء الناس فاضطر الرجال في الفترة الأخيرة من اعتقالهم إلى العمل في بناء الطرق، والنساء إلى العمل في زرع الأراضي القريبة، ويراقب الحيوانات أشخاص آخرون، وهي تتحرك تحت حراسة العساكر الإرتريين. وفي المعتقلات الأخرى حالات السكان بائسة،إذ يصارعون كل يوم من اجل البقاء، ولا تخفى هذه الأوضاع عن المسئولين الذين يحاولون التكتم عليها، وبالنسبة للحالة الصحية فقد كان في معتقل سلوق طبيب واحد يهتم أيضاً بالمعتقلين في سيدي أحمد المقرون، وفي البريقة كان هناك مركز صحي دائم يُشرف عليه طبيب يزور المعتقل مرتين في الأسبوع،

---

(1) أ. ديلبوكا، الإيطاليون في ليبيا، روما، ص183.

وماذا يستطيع أن يفعل طبيبٌ لعلاجِ 23 ألف نسمة بزيارتهم مرة أو مـرتين في الأسبوع، إنها منتهى السخرية بـأن يـدعى الإيطـاليون أنهـم زودوا المعتقلات بالأطباء والممرضين للعناية بالمعتقلين، لقد قاسى المعتقلون فـي جميع المعتقلات أسوء الأمراض وأشدها فتكاً دون أن تعتني الحكومة بهم أو تمدهم بالأطباء والعقاقير اللازمة، لقد كان يبـدو واضـحاً مـن تـصرفات الحكومة الإيطالية أنَّها كانت تقصد القضاء على المعتقلين بواسـطة الجـوع والمرض والقتل وسوء المعاملة، ولم يخطر على بالهم أبداً العمل على إنقـاذ المرضى أو إسعافهم. ودخلت معتقل العقيلة أسـرة الغمـاري وعـددهم 23 شخصاً وخرج من المعتقل أحياء 3 أشخاص من هذه الأسـرة بينمـا دفـن العشرون الباقون في معتقل العقيلة. وهذا مثالٌ واضحٌ لما وقع لبقية الأسـر والناس المعتقلين، وكتب متصرف بنغازي (إي جيدي) يحذر غرازياني بأن مرض التيفو منتشر في معتقل سلوق، ويطلب التعليمات والوسائل اللازمـة لمواجهة هذا المرض، وكأنما لا يكفي الجوع والحالة السيئة.



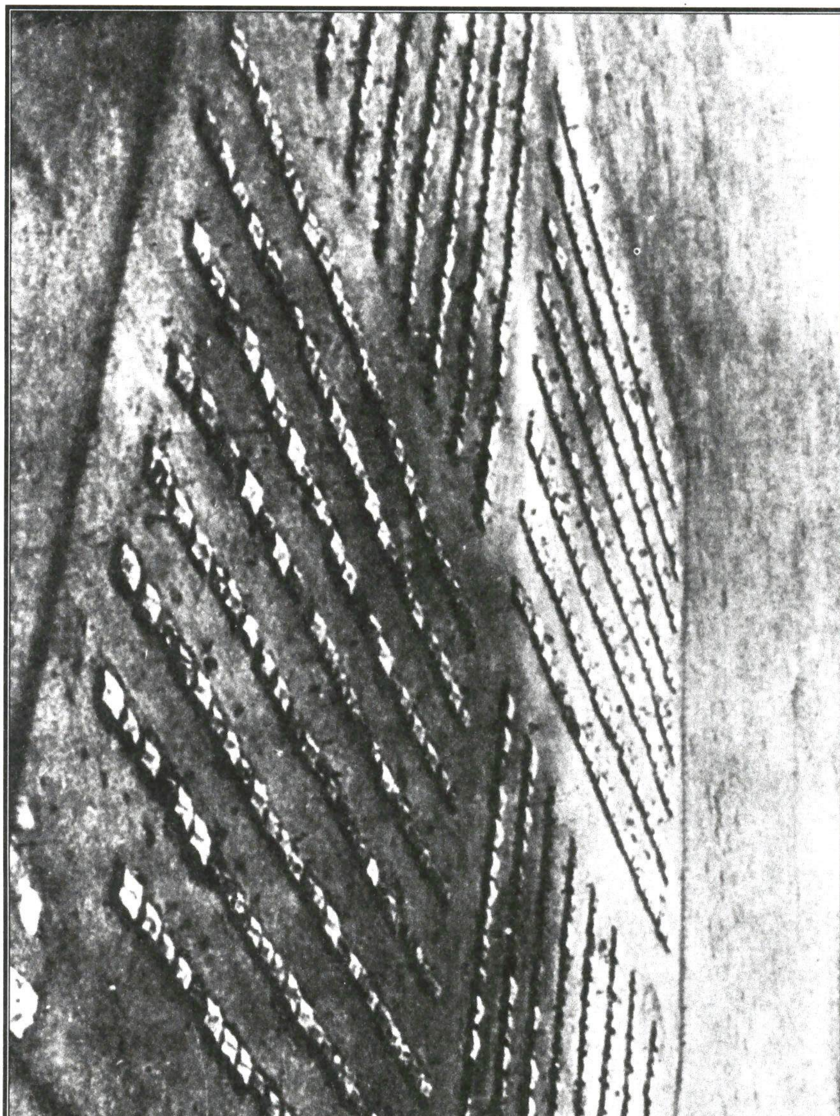
معتقـل سلـوق.



الأطفال اليتامى يتناولون الطعام.



ترحيل الأهالي إلى معسكرات الاعتقال.



صورة من داخل معتقل سلوق.



توزيع الطعام داخل معتقل المقرون.



توزيع الطعام داخل معتقل المقرون.

وقليلة هي الوثائقُ التي تشير إلى المعتقلات وما يقع فيها؛ فقد أخفى غرازياني وبادوليو عن الشعب الإيطالي وعن الصحافة الإيطالية ما كان يقع في برقة من جرائم وحرب إبادة، وكانت قليلة التقارير المرسلة من برقة إلى المسئولين عن أوضاع المعتقلين، وكذلك تقل التقارير التي تتحدث عن المحكمة الطائرة وأحكامها، ويبدو من الوثائق الموجودة أن مئات الأشخاص قد حكمت عليهم هذه المحكمة بالإعدام قتلاً أو شنقاً، ويُقدر بعض المطلعين أن أكثر من ألف شخص قد قُتلوا في هذه الفترة ما بين من حكمتْ عليهم المحكمة الطائرة وما بين من قتلتهم الشرطة والإيطاليون بدون محاكمة.

وقد كتب المؤرخ الإيطالي إريك ساليرنو أن بعض المؤرخين الإيطاليين كتب أن نصف مليون ليبي قتلوا أو أعدموا أو ماتوا من الجوع في الفترة من عام 1911م إلى 1932م[1].

ويُعتبر معتقل العقيلة أقسى المعتقلات، وقد أطلق عليه الإيطاليون اسم "معتقل العذاب"، وقد ضم هذا المعتقل أقارب المجاهدين وأقارب السكان الذين يقيمون في مصر، وقد تفنن المسئولون عن المعتقل بإلحاق الأذى والإهانة والعقوبات المختلفة بالمعتقلين بسبب أو بدون سبب، وقد قاسى المعتقلون فيه أنواعاً من الظلم والقتل والجلد والسجن ما لم يحدث في المعتقلات الأخرى، وقد ضم المعتقل عائلات كريمة جيء بها من بنغازي ومن درنة بحجةِ أن لهم قريباً بين المجاهدين أو في مصر، كما أن عُقوبة أعمال السُخرة تُعد مطبقة على كل أفراد معتقل العقيلة، فتفريغ حُمولة السفن أو إزالة الرمال المتحركة من مكان إلى آخر، وتنظيف ثكنات الجند والخيول وحمل النفايات وجّر الآلات أثناء عمل الطريق، كلها أعمال تتم بدون مقابل، وكان من بين المعتقلين في العقيلة أفراد قبيلة "العبادلة البيض" الذين فـرَّ خمسة شُبان

---

(1) إيرك ساليرنو، المذابح في ليبيا، روما، ص101.

منهم من قمينس والتحقوا بعمر المختار، وأمر غرازياني بمعاقبة جميع أفراد القبيلة ونقلهم إلى العُقيلة، ولدى وصولهم إلى المعتقل قابلهم الملازم "كّسوني" مدير معتقل العقيلة الذي ألقى فيهم كلمة جاء فيها : (لو يهرب منكم قطّ أبيضُ (العبادلة البيض) ستسلط عليكم الرشاشات لإبادتكم جميعاً، أنتم أرسلتم الأشخاص الخمسة إلى عمر المختار بعد تزويدهم بكل شيء، ولولا استحياء الحكومة الإيطالية من الحكومات الأخرى لتم القضاء عليكم جميعاً)، وأصدر الملازم "كّسوني" تعليماته للمدراء وشيوخ الأشواط والمدير العام بعدم التهاون واللين والرأفة بالمعتقلين، وأن يعاملوا بمنتهى القسوة، ويمنعوا من التحدث إليهم أو مساعدتهم، فقد جلد أبو بكر محمود العرفي لمساعدته امرأة عجوزًا عجزت عن السير لإحضار الحطب، فسمح لها بالسير ببطء، فاستدعى "كّسوني" الحبشي المخصص لجلد شيوخ الأشواط والمدراء والمدير العام، وأمر بجلده 100 جلدة، كما جُلد شيخ الشوط امهيدي عبد الكريم الحاسي لإعطائه ليمونة لعجوز مريضة، و بعد الجلد نُقل إلى معتقل البريقة، فهذه القصص التي تتوارد على ألسنة الرواة مهما كان نصيبها من الصحة فهي في النهاية تدل على قسوة المعاملة التي كانت تتسم بها تلك المعتقلات، وتتشابه جميع المعتقلات في نظام الأشواط والأرباع وشيوخ الأشواط والمدراء والتمام اليومي، وفي كافة العمل اليومى الشاق من إنزال العقوبة بالمعتقلين من تسخير النساء والرجال لكنس الممرات والساحات بالمعتقل، وجمع الأوساخ،....الخ.

وكانت المعاملة السيئة وعقوبات الإعدام والجلد والسجن تشمل بقية المعتقلات الأخرى، وخاصة معتقل البريقة الذي قاسى فيه المعتقلون الويلات ومختلف أساليب العذاب والانتقام، (و يوجد في وسط المعتقل سارية العلم الإيطالي والمشنقة، ويُعرف بميدان العقاب اليومي، ويوجد عمود "الشيبو" أمام كل ربع يربط به المعاقب من يديه، ويُترك دون أن تصل رجلاه الأرض.

وقد تفشى المرض في المعتقل بسبب الجوع وكثرة عدد الموتى حتى وصل إلى 130 جثة يومياً في الأيام الأولى للمعتقل خاصة، وأخذ العدد يتناقص مع تناقص عدد المعتقلين أو أن الكارثة طغت بحيث لم يعد أحد ينتبه للعدد اليومي للموتى؛ لأنه أصبح أمراً عادياً، وكثيراً ما طوت خيام بكاملها كل يوم بسبب وفاة أسرها)[1].

وقد أدلى بشهادتهم عن المعتقلات بعض المعتقلين الذين ما زالوا على قيد الحياة، ومن بينهم عمران بو شابور 81 سنة الذي قال: (عندما وصلت العقيلة كان عمري 30 عاماً، وكنت ناضجاً، وكان معي أخي والعائلة بأجمعها، وكان معنا نساؤنا وأبناؤنا، وكنا في المجموع 8 أو 9 أشخاص، وإن معتقل العقيلة كان كبيراً، وكان به 50 صفاً من الخيام في كل صف 50 خيمة، وقُدر أن كل خيمة تحتوي على ثلاثة أو أربعة أشخاص، وقد قال غرزياني إن المعتقل به 7000 نسمة، ومصدر آخر يقول إن العدد كان 9000 نسمة، ونحن الذين تعودنا على الحياة في بلد كبير أجبرنا على البقاء دون حركة في المعتقل، ولا يمكن الخروج من المعتقل بدون إذن خاص، وكان جو المعتقل من خلال الأعمال القمعية جواً ثقيلاً لا يُطاق، وكنا نرجو مرور الأيام بسرعة عسى أن يأتينا اليوم التالي بشيء جديد، وكنا نشاهد في كل يوم تعذيب المعتقلين وشنقهم، وكان يجب على جميع المعتقلين أن يشاهدوا تنفيذ جميع الأحكام، دون كلام أو تعليق وبدون بكاء تقريباً، وكانوا يتركون جثث المشنوقين تتأرجح لمدة يومين أو أكثر، وقُتل الكثيرون في الثلاث سنوات التي أقمنا فيها بالمعتقل، وكانت النساء يعشن بدون رجال، وأذكر الألم الذي يسود من لديه قريب أو عزيز شُنق، وكان بعض الناس يُغمى عليه ويتساقط على الأرض؛ بسبب الألم وبقناعة أنَّه ليس في إمكانهم فعل شيء، وكان

(1) يوسف البرغثي، المصدر المذكور، ص98.

يخرج من العقيلة في كل يوم 50 جثة تدفن في مقبرة جماعية، وكان من بينهم القتلى والمشنوقون والذين يموتون من المرض ومن الجوع، وقد وصلنا المعتقل وعددنا 1000 شخص خرج منهم 20 أحياء)[1].

وشهد محمد بشير سيوم، 68 سنة حيث قال: (كانوا كل يوم يضربوننا، وكل شخص يأخذ نصيبه من الضرب، وكنا نأكل قطعة من الخبز الجاف لا يزيد وزنها عن 150 إلى 200 جرام، وذلك لليوم بكامله، لقد مات من أسرتي 4 رجال وقد دفنتهم بيدي، وكانوا يضربون النساء والأطفال لأقل سبب، وكان الجنود ينهبون كل شيء ثمين لدى النساء)[2].

وامتدت أيادي إيطاليا إلى سكان مدينة بنغازي ودرنة والمرج، واعتقلت أعيانها ووجهاءها ومفكريها وسجنتهم في قلعة بنينة، دون أي داعٍ أو سبب، وكان معظمهم من الشيوخ المسنين، وقبضت على مجموعة أخرى ثم أرسلتها إلى إيطاليا، وعاشت المدن الثلاث في رعب دائم، ويقدرُ عدد الأعيان والمشائخ والمثقفين الذين أودعتهم السلطات الإيطالية في قلعة بنينة أو أرسلتهم إلى سجون إيطاليا أو أودعتهم في سجون المدن بأربعمائة شخص.

وقد امتلأ سجن بنغازي بالمعتقلين الذين إما صدرت أحكام بسجنهم، وإما كانوا ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام بهم، وكان غرازياني يتفنن في إيصال الأذى إلى المواطنين الليبيين الذين لم يُعتقلوا، وكانت الشرطة الإيطالية خارج مدينة بنغازي إذا ما وجدت شخصاً منفرداً تطلب منه بطاقته الشخصية، وعندما يبرزها لها تأخذها وتمزقها، ثم تُطلق عليه الرصاص، وكم من الأبرياء قُتلوا بهذه الطريقة.

أنشأت الحكومة الإيطالية مدرسة ابتدائية من ثلاثة فصول في كل

---

(1) إيريك ساليرنو، المصدر المذكور، ص96 – 97.

(2) إيريك ساليرنو، المصدر المذكور، ص98 .

معتقل لإظهار اهتمامها بأبناء المعتقلين، وكانت كل مدرسة تضم مديراً إيطالياً ومدرساً أو مدرسين من الليبيين، وكان المدرس الإيطالي يُدرس جميع المواد باللغة الإيطالية في حين كُلف المدرسون العرب بتعليم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، واختارت الحكومة المدرسين من بين الفئات التي تقوم بالتدريس في بنغازي ودرنة والمرج، وكانوا شباباً وطنياً قاموا بتلقين تلاميذهم مبادئ الوطنية والعروبة والإسلام، وكان الإيطاليون إذا ما شعروا بأن المدرسين قد خرجوا عن المنهج عاقبوهم بالاستغناء عن خدماتهم.

وقد جمع الإيطاليون الأطفال اليتامى الذين فقدوا ذويهم وانْشأُوا لهم مدرسة في سلوق يدرسون فيها اللغة الإيطالية ومبادئ الفاشستية، وكانوا يعدونهم ليكونوا جنداً يُحارب لصالح إيطاليا، ثم انْشأُوا في مراكز أخرى مدارس مماثلة، وقد بلغ عدد هؤلاء الأيتام أربعة ألاف طفل وصبي تتروح أعمارهم ما بين الست والخمس عشرة سنة، وقد جُند الكبارُ منهم، وأرسلوا ليحاربوا في الحبشة.

وعندما بدأت إيطاليا في بناء الطريق ما بين طرابلس وبنغازي، وقد احتاجت إلى الأيدي العاملة لجأت إلى المعتقلات، وأخذت منها شبابنا؛ ليعملوا في بناء الطريق بأجر تافه، إلا أنهم كانوا يستعينون بهذا الأجر لسد رمق عائلاتهم في المعتقلات.

حل المعتقلات وعودة المعتقلين إلى أوطانهم :

بعد أسر عمر المختار وانتهاء الثورة، ترقب الجميع صدور الأمر بحل المعتقلات، وعودة الباقي من سكانها إلى ديارهم، إلا أن بادوليو كان يُعارض ذلك فاقترح توطينهم في صحراء سرت، وإيجاد عملٍ لهم يقتاتون منه لأنه كان يُريد جميع أراضي الجبل الأخضر أن تُعد لاستقبال عشرات الآلاف من المعمرين الإيطاليين، أما الليبيون فكان يعرف أنهم سوف لا يُطيقون نوع

الحياة التي اقترحها عليهم وسوف ينتهون إما بالموت وإما بالهجرة إلى خارج ليبيا، غير أن متصرف بنغازي بعث إلى الحكومة تقريراً مزعجاً عن حالة المعتقلين في معتقل سلوق، حيث تفشت فيهم الأمراض وعجزت الإدارة عن علاجهم أو توفير الوسائل الصحية والدواء، ولذلك صدرت الأوامر بإخلاء المعتقلات خشية فضح إيطاليا إذا ما مات جميع المعتقلين في معتقلاتهم، وغادر المعتقلات أقل من نصف من دخلها، وكان الخارجون أشباه أحياء، وجلهم من النساء والأطفال والشيوخ؛ لأن الشبان والرجال تخلفوا بسبب عملهم في بناء طريق طرابلس بنغازي.

فعاد المغاربة والعواقير إلى أوطانهم، والعبيد إلى جردس العبيد، والعرفة والدرسة إلى طلميثة، بينما لم يُسمح لبقية قبائل الجبل بالعودة إلى أوطانهم التي خُصصت أراضيها للمعمرين الإيطاليين، وسكنوا في مناطق الجبل التي لم تُخصص للاستعمار.

احتلال الكفرة :

بدأت إيطاليا في خطة حصار المجاهدين وتطويقهم منذ عام 1926م عندما احتلت قواتهم الجغبوب، وفي عام 1928م احتلت إيطاليا جالو وأوجلة؛ لكي تمنع أية مساعدة تصل المجاهدين عن طريق هذه الواحات، وعندما بدأ المجاهدون الذين تجمعوا في الكفرة مهاجمة إيطاليا في جنوب بنغازي وواحات جالو وأوجلة، خشيت إيطاليا أن يمتد الاتصال ما بين مجاهدي الكفرة وعمر المختار، وفكر بادوليو في احتلال الكفرة، وطلب من الوزارة اعتماد المبالغ اللازمة للعملية، وأسند إلى الجنرال غرازياني مهمة القيام بالحملة، وذكر في رسالته إلى الوزارة أن واحة الكفرة أصبحت قاعدة يتجمع فيها المجاهدون من جميع أنحاء ليبيا بصفتها المكان الذي يمثل سلطان السنوسية في دارنا، وطالب بتخصيص ستة ملايين ليرة لإعداد حملة لاحتلالها، وحذّر من أنه كلما زاد الوقت زاد الموقف خطورة.

وقد تجمع بالفعل في واحة تازربو العديد من قادة المجاهدين بعد احتلال القوات الإيطالية لفزان وللواحات الواقعة على خط عرض 29، وجميعهم من بين الذين واجهوا الغزو منذ بدايته، ودافعوا عن أرضهم شبراً شبراً، ورووها بدمائهم، وغطوها بأشلاء شهدائهم، وكان من بين هؤلاء القادة عبد الجليل سيف النصر، وصالح لطيوش، وأحمد شعيب، وعبد الحميد بو مطاري، وغيرهم.

وتمهيداً لهذا الغزو قامت الطائرات الإيطالية بمهاجمة واحة تازربو التي كان يتجمع فيها المجاهدون للقيام بعمليات ضد القواعد الإيطالية في جنوب بنغازي وفي صحراء سرت يوم 31 – 7 – 1930م، وألقت عليها (21) قنبلة معبأة بالغازات السامة زنة الواحدة منها (21) كيلوغراماً، بالإضافة إلى (784) كيلوغراماً من المتفجرات الأخرى، وأحدثت الغازات والقنابل خسائر في الأرواح وتشويهاً في الأجسام، ودفعت المجاهدين وعائلاتهم إلى الانتقال إلى الكفرة التي لم تسلم من جرائم الإيطاليين، فقد هاجمت الطائرات في شهر أغسطس واحتي التاج والجوف، وألحقت بدورهما الهشة الدمار، وبسكانهما الخسائر في الأرواح.

واشتركت القيادة العسكرية في برقة وطرابلس في إعداد الحملة التي تكونت من 654 ضابطاً وجندياً إيطالياً، 3321 من الجنود المرتزقة، و378 سيارة، ومجموعة من السيارات المصفحة، و7000 بعير، وثلاثة مدافع، و70 رشاشاً، و25 طائرة، وذلك لمواجهة ما يُقارب مائتي أو ثلاثمائة مجاهد مسلحين بالبنادق، وكان الإيطاليون يعرفون نوعية الرجال الموجودين في الكفرة، وتأكدهم أنهم لن يتخلوا عن آخر جزء من وطنهم بدون قتال ودماء، وكان المجاهدون يعلمون أن العدو يتفوق عليهم تفوقاً ساحقاً بالرجال والأسلحة والطائرات والمدافع، وقد كان في إمكانهم السفر إلى ما وراء الحدود قبل وصول القوات الإيطالية، إلا أنهم أرادوا القتال دفاعاً عن شرفهم ووطنهم، وكانوا يعرفون سلفاً النتيجة، وواجه المجاهدون عدوهم ببسالة وعنف،

وصمدوا لقنابل الطائرات ورشاشتها، ولقذائف المدفعية ورصاص الجنود طيلة النهار، ولم ينسحبوا من أماكنهم إلا بعد أن خشوا التطويق والإبادة.

واعترف الأعداء بشدة المقاومة الليبية؛ فكتب غرازياني: (بالرغم من أن الثوار واجهوا قوات أكثر بكثير مما كانوا يتوقعون، فقد قاتلوا بشجاعة واستماتة مثيرين للعجب، ولم يتخلوا عن القتال إلا بعد أن شعروا أنهم مهددون بالتطويق والإبادة)[1]، ووصل الغزاة إلى واحة التاج على جثث قرابة المائتي شهيد، وكان الكثير منهم قد عقل رجليه كي يموت في مكانه، وقد وهبوا أرواحهم الطاهرة دفاعاً عن آخر قطعة حرة من وطنهم المسلوب، وجاء المارشال بادوليو مسرعاً من طرابلس؛ ليرفع العلم الإيطالي وبوسطه الصليب فوق مئذنة الزاوية السنوسية، وانتشر الجنود في الواحة وعاثوا فيها فساداً، فقتلوا ونهبوا واعتدوا على الحرمات وعلى البيوت، وفاقوا ما كان يرتكبه المنتصرون من جرائم في القرون الوسطى، واعترف الإيطاليون أن أكثر من مائة شخص قتلوا في الواحة، وأربعة عشر تم إعدامهم، وأُسر مائتان وخمسون شخصاً بما فيهم النساء والأطفال.

وجرت المذبحة الكبرى خارج الكفرة في الصحراء العارية بعد أن أمر غرازياني الطائرات والهجانة بمطاردة الفارين من جحيم الكفرة، وأكثرهم نساء وأطفال وشيوخ، وقد ظلت الطائرات ثلاثة أيام تبحث في الصحراء عن الفارين، وكلما عثرت على قافلة أمطرتها بالقنابل والرشاشات، فتقضي على البشر والحيوان ثم ترشد إليها رجال الهجانة فيقتلون من تبقى على قيد الحياة من الرجال، ويأسرون النساء، ومن أفلت من عدوان الإيطاليين فقد افترسه العطش، ولم ينج من الأعداد الكبيرة التي غادرت الكفرة سوى قلة من الناس أنقذتهم الدوريات المصرية والإنجليزية، ونقلتهم إلى مصر وهم في الرمق الأخير.

وكان للجرائم الوحشية التي ارتكبتها إيطاليا في الكفرة صد واسع في

---

(1) غرازياني، برقة الهادئة، ص211 .

البلاد العربية والإسلامية التي استنكرت صحفها وأوساطها السياسية ما اقترفته إيطاليا في واحات الكفرة من جرائم يندى لها جبين الإنسان، وكان وقع احتلال الكفرة وما ارتكب فيها من فظائع وقعاً مؤلماً على الليبيين كافة، وقد شعر غرازياني بذلك فأبرق إلى رئيسه بادوليو ببرقية بتاريخ 30 - 1 - 1930م جاء فيها: (أن المواطنين العرب قابلوا احتلال الكفرة بحزن وألم بسبب الطابع الروحي الذي ظلت تحتفظ به هذه الواحة، وعبر عن مخاوفه من أن هذا الاحتلال سيزيد من اشتعال الروح الدينية بدلاً من إخمادها، ويقوي من إرادة المقاتلين في الجبل على مواصلة المقاومة والقتال للاحتفاظ برمز حريتهم عالياً، وأكد غرازياني لبادوليو أن المساعدات سوف تتدفق على المجاهدين من مصر بصورة أكبر؛ للإبقاء على شعلة الثورة في جزء من برقة الحرة، أنه سيقاوم بسرعة اتجاهات التفاؤل التي أخذت تتغلغل بين صفوف المجاهدين والسكان الليبيين)[1].

لم تتوقع إيطاليا ردود الفعل التي وقعت في العالم الإسلامي، وتسببت في قيام حملة عارمة وشديدة ضد إيطاليا وسياستها وفظائعها في ليبيا، وقد أزعجت هذه الحملة وزارة الخارجية الإيطالية وهزت حاكم ليبيا العام وأعوانه وعرّت إيطاليا وكشفت عن نواياها الحقيقية، وهي العمل على إبادة الشعب الليبي ليحل محله المعمرون الإيطاليون، وكان للصحافة العربية دور بارز في هذه الحملة الهادفة، وقد كتبت الأهرام مقالاً بعنوان (شهداء الإيمان) سردت فيه ما ترتكبه إيطاليا في ليبيا من أعمال بشعة ضد الليبيين، وقالت بتهكم: (إن دخل إيطاليا سوف يزيد نتيجة للأموال التي ستدرها عليها ممتلكات الزوايا التي صادرتها غير أن الشرف أغلى من المال، وأثمن من الأبناء)[2].

وحذت حذوها صحف عربية كثيرة، وخاصة صحيفة الأمة العربية التي يصدرها الأمير (شكيب أرسلان) والتي واصلت هجماتها على إيطاليا لفترة طويلة.

---

(1) ديلبوكا، ص140 .

(2) جريدة الأهرام، 9 - 2 - 1931م.

الفصل السابع

حـــرب الـواحـد والعشـرين شهـــراً

المرحلة الأخيرة من حرب الجهاد :

تعتبر الفترة ما بين 30 مارس عام 1930م و16 سبتمبر عــام 1931م أقسى وأصعب مرحلة في الجهاد الليبي، مُنذُ الإنــزال الإيطــالي، فبعــد أن عجزت إيطاليا بقواتها الكبيرة، وأسلحتها المتطورة من التغلب على الثــوار الليبيين لجأت إلى الوسائل المحرمة دولياً، والمبادرات أللاإنسانية لكي تتغلب على حفنة المجاهدين الذين يقاومنها منذُ عشرين عاماً، وبالرغم من جميــع الصعاب والشدائد والحرمان، وغياب المساعدات ظل المجاهدون يتــصدون للقوات الإيطالية ويواجهونها بشجاعة وقوة، وقد قرروا القتال حتى المــوت ضد إيطاليا، إلا أن القدر شاء أن يقع عمر المختار أسيراً بين يديهم، وتنتهي هذه الملحمة التي لم يُعرف مثلها في مقاومة الشعوب للظلم والاعتــداء فــي العصر الحديث.

استعد غرازياني لمواجهة عمر المختار عسكرياً، بعد ما حاصره مــن كل جهة ونقل السكان الذين كانوا يُساعدونه إلى صحراء سرت، وتأكــد أنْ ليس لديه موردٌ للمعونات إلا الحدود المصرية، وقد شدد الحراسة على هــذه الحدود وأمر الطائرات بتتبع القوافل الذاهبة والآتية من مــصر، وضــربها بالقنابل وتشتيتها.

ويقول غرازياني إن سقوط الكفرة بأيدينا لم يؤثر إطلاقاً فــي وضــع الثوار بالجبل الأخضر؛ لأنه كان حادثاً مستقلاً عنهم، وكان تمــوين الثــوار يصلهم عن طريق مصر بفضل نظام دقيق ينظم عمليات التهريب هذه، وقــد اضطرت الحكومة إزاء ذلك إلى إلغاء ميناء البردية الذي كانت تصل منــه البضائع إلى برقة، وسُمح بنقل هذه البضائع عن طريق البحر فقط، وأُشــعر الناس بأن البضائع التي ستدخل البلاد عن طريق مصر ستصادر، وقد خلت المنطقة من السكان بعد نقلهم إلى صحراء سرت.

ويعترف غرازياني بأن الإيطاليين كانوا يشاركون في عمليات التهريب عبر الحدود بالاتفاق مع القائمين بعملية التهريب هذه، والكثير مـن رجـال الصناعة الحربية كانوا مسرورين لفشل المفاوضات من أجل تهدئة الـبلاد، وإن العمليات الكبيرة الحربية التي ستقوم بها الحكومة ستنفتح طريق الكسب السهل، ويقول غرازياني: (إنَّ جميع التدابير التي أخذت للحد من عمليـات التهريب لم تؤدّ إلى نتيجة، وقد أخذتُ أفكر في بناء أسلاك شائكة على طول الحدود حتى الجغبوب لمسافة 300 كم، في منطقة صحراوية خالية مـن أي حياة، وهو عمل تتطلب تكاليفه ثمناً مرتفعاً جداً).

ويقول غرازياني في رسالة دورية: (سبق لي أنَّ قلت إن إبعاد السكان عن عمر المختار سيضطره إلى بناء قاعدة في مؤخرته، وهذا في صـالحنا؛ لأنه سيكون في قبضتنا، ولكن أخطأت لأن القاعدة كانت في مصر بلد أجنبي لا أستطيع احتلاله دون القيام بحرب ضد بلد أجنبي).

وقد أصبحت مصر بعد اعتقال السكان القاعدة الأساسية لتمويل الثورة، قد أصبح اللاجئون في مصر من أكثر أعداء إيطاليا ووطنيون قرروا مغادرة الوطن واللجوء إلى مصر، وكان جميعهم يعملون لخدمة قضية عمر المختار، وكان هؤلاء المهاجرون يكونون المصدر الذي كان يمـدُّ الثـورة بـالمؤن والسلاح، وكانت الأموال تُجمع من مختلف الهيئات الإسلامية التي تكونـت في كل مكان لمساندة الحرب في برقة، واستمرت الثورة في نشاطها حتـى بعد احتلال الكفرة ونقل السكان، وظلت في قمة قوتها وتنظيمها حتى بعد نقل السكان، واتخاذ غرازياني لمختلف إجراءاته العسكرية.

وفي شهر أكتوبر قام رئيس وزراء مصر صدقي باشا برفقته وزيـر الحربية وشخصيات أخرى، بزيارة جميع المنطقة الحدودية من سـيوه إلـى السلوم، وقد قدمت له القوات الإيطالية في كل مكان الاحتـرام العـسكري، ودفعت هذه الزيارة بالحكومة المصرية في القاهرة إلى اتخاذ التدابير لرقابة

اللاجئين الليبيين القاطنين على طول الحدود مع ليبيا، واتخاذ التدابير للمصادقة على اتفاقية عام 1925م، والتصديق على الاتفاقية الخاصة بالحدود الشرقية، والتنازل عن واحة الجغبوب، وهي الاتفاقيات التي لم تعمل الحكومة المصرية أبداً على المصادقة عليها، وقد صادق عليها البرلمان المصري في شهر يونيو عام 1932م، وقد والى الوزير المفوض الإيطالي بالقاهرة (كانتا لوبو) الضغط على الحكومة المصرية؛ للحد من نشاط اللاجئين الليبيين، وقد أنذرت الحكومة المصرية إدريس السنوسي بالتوقف عن أي نشاط يرمي إلى مساعدة الثوار الليبيين، وهدِد باتخاذ الإجراءات ضده إذا لم يمتثل لهذا الإنذار. وقد هب القادة الوطنيون المتعاطفون مع عمر المختار ولاموا الحكومة المصرية؛ لانصياعها لإيطاليا والضغط على اللاجئين الليبيين.

كانت أولى معارك غرازياني وبادوليو ضد عمر المختار معركة الفايدية التي فشل فيها الجيش الإيطالي فشلاً كبيراً، معركة تألم لها المسئولون في طرابلس وروما، وقد عجلت باتخاذ إجراءات نقل السكان إلى معتقلات سرت، وإذ جهز غرازياني قواته التي تزيد على عشرة آلاف جندي ومئات الفرسان والمدفعية والسيارات المصفحة والطائرات، فكوَّنَ قواتٍ سريعة تتنقل من مكانٍ إلى مكان لمطاردة المجاهدين، ووقعتْ بين الطرفين الكثير من المعارك الكبيرة، ومصادماتٌ صغيرة، لم يفلح خلالها الإيطاليون من تحقيق أغراضهم، وفيما يلي نذكر بعض هذه المعارك:

قد تواصلت المعارك بين الطرفين، فوقعت معركة وادي الرملة بين خولان والمخيلي في برقة في (30 مارس 1930م)، حاولت فيها القوات الإيطالية تطويق جزءٍ من قوات المجاهدين، إلا أنها باءت بالفشل؛ لأنهم استطاعوا التخلص من عملية التطويق بعد معركة حامية.

وقد وقعت معركة أخرى في منطقة بلقس يوم 11 أبريل 1930م، ودارت هذه المعركة بعد أن ظن الإيطاليون أنهم سيطروا على الجبل الأخضر،

وأن الثورة في دور الانحلال، إلا أنهم فُوجئوا بقوة من المجاهدين تُقدر بحوالي مائتي مجاهد تهاجم الجنود الذين رابطوا بخيولهم في المواقع والمراعي القريبة الواقعة جنوب بلقس، وقد اضطرت القوة الإيطالية إلى الانسحاب، فهبّت لنجدتها قوات أخرى من شحات مدعمة بالمصفحات والسيارات والمدفعية، إلا أنها لم تُحقق أغراضها؛ فعادتْ إلى قواعدها بخيبة الأمل.

معركة أبو كريميصة: وقعت معركة أبو كريميصة يوم (15 – 16 يونيو 1930م) بين المجاهدين والقوات غير النظامية العاملة في خدمة الإيطاليين، وكانت مسرحاً لمعركة حامية يوم 18 يوليو 1930م، ولم يحقق الإيطاليون شيئاً من أغراضهم في هاتين المعركتين.

واتجهت قوات عمر المختار إلى سرت وجنوب بنغازي؛ للحصول على الحيوانات التي كان الأهالي يدفعونها مقابل العشر، ثم تمَّ بعد إرسالها إلى الجبل الأخضر،و من هناك إلى البطنان، حتى دارتْ معركة حامية بين المجاهدين والقوات الإيطالية التي كانت تُحاولُ استرداد الحيوانات المتحصل عليها، وذلك في إجدابيا وانتلات، وقد استطاع المجاهدون أن يردوا الهجمات الإيطالية، وأن يواصلوا سيرهم ومعهم حيواناتهم، وقد وصلت الأخبار إلى الإيطاليين بأن هناك قافلة كبيرة من الإبل والأغنام مرسلة إلى مصر لبيعها والحصول على المؤن والذخيرة بثمنها، فأرسل الحاكم العسكري لمنطقة إجدابيا مجموعة من الجنود مع قسم من المدرعات؛ للاستيلاء على هذه القافلة ومنعها من الوصول إلى القطر المصري، وبعد مسيرة طويلة التقت القوات الإيطالية بالمجاهدين، ودارت بين الطرفين معركة حامية انتهت بعودة القوات الإيطالية دون أن تحقق أغراضها، وقد وصلت القافلة بسلامٍ إلى القطر المصري، وعادت بما يحتاجه المجاهدون.

وبعد فترة من الهدوء ظهر الثوار من جديد في منطقة (سيدي الصحابي) يوم 10 يوليو 1930م، وكانوا متجهين من إجدابيا إلى جالو،

وقامت القوات الإيطالية بملاحقتهم، واتصلت بهم في منطقة العسيل شـمال شرق جالو، وجرت بين الطرفين معركة حاميـة، عـادت بعـدها القـوات الإيطالية دون أن تحقق ما كانت تبتغيه، وواصلت قافلة المجاهدين مـسيرتها نحو الجبل الأخضر.

دارت معركة في بئر الزيتون في 8 أغسطس 1930م، بين المجاهدين والقوات الإيطالية، وكان غرازياني قد أرسل قواته إلـى الموقـع المـذكور لتطويق المجاهدين وضربهم، إلا أنه باء بالفشل حيثُ خـاض المجاهـدون معركة حامية مع القوات الإيطالية، واستطاعوا التخلص من عملية التطويـق بعد أن تكبد الطرفان خسائر في الأرواح.

معركة وادي السانية : واصلت القوات إيطالية عملياتها فـي الجبـل الأخضر؛ لملاحقة المجاهدين والقضاء عليهم، وقد بلغها وجود المجاهدين في منطقة وادي السانية (بين تاكنس والساحل)، فوجهت بتاريخ (8 أغـسطس 1930م) إليهم قواتها من عدة جهات بُغية تطويقهم والقضاء علـيهم، إلا أن المجاهدين صمدوا للقوات الإيطالية ودخلوا معها في معارك حامية انتهـت بانسحابهم إلى مواقع أخرى، ولكنهم وقعوا في صدام آخر مع القوة الإيطالية القادمة من العرقوب وتاكنس، واشتبكوا معها في معركة شديدة، انتهت بعودة الإيطاليين إلى مواقعهم.

وفي أول سبتمبر 1930م هاجم الثوار منطقة سيدي خليفة، واسـتولوا على عدد من المواشي، ولحقت بهم القوات الإيطالية في الرجمة في محاولةِ لاسترداد المواشي، ودارت بين الطرفين معركة حامية، عادت بعدها القوات الإيطالية دون أن تستطيع رد الحيوانات المأخوذة.

وبناءً على معلومات المخابرات التي وصلت القيادة الإيطاليـة تأكـد وجود مجموعات من المجاهدين في وادي (الأثرون) من أجل أن تزحـف

شمالاً حيث تُعسكر قرب شحات مجموعة القائد (رغـــاتزي)، وحيـــث إنَّ القوات النظامية لم تكن مستعدة للاشتباك مع الثوار، فقد قام الممثل المـــدني للحكومة بتجنيد (200) من قبيلة الحاسة؛ لتعزيز القوات النظامية، وقد نُقـــل هؤلاء الجنود على السيارات المدنية التابعة للسكان إلى أن وصلت إلى نقطـــة قريبة من منطقة (القبة)، وفي ليلة 19 سبتمبر 1930م بـــدأت القـــوات غيـــر النظامية تتحرك للاشتباك مع الدور، ولكن في الواقع كان الاشـــتباك ضـــعيفاً؛ لأنه بعد الانتهاء من المعركة بقي الدور عاملاً كما هـــو كأنـــه لـــم تحـــدث اشتباكات، والسبب في ذلك أن رجال الحاسة الذين جندهم الإيطاليون لمحاربة عمر المختار رفضوا قتاله؛ ولذلك ألغت الحكومة الإيطالية تنظيمهم المستقل.

وفي يوم 20 سبتمبر 1930م هاجمت القوات الإيطالية مقر قيادة الثوار بالجبل، وأمرت القيادة الإيطالية بتحرك قواتها من جهة اليسار لتضايق الثوار في وادي (السقية)، وهكذا استمر القتال حامياً إلى ما بعد الظهر حيثُ عزز الإيطاليون قواتهم بقوات جديدة من جهة اليمـــين، وذلـــك بإرســـال الكتيبـــة الإرترية الرابعة عشرة، وبهذا أصبحت قوات الثوار شبه مطوقة حسب أقوال المصادر الإيطالية، ورغم هذه الحركة التكتيكية العسكرية، فقد استطاع الثوار أن يفلتوا من هذه الكماشة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة فـــي الأرواح، وقـــد أستشهد في هذه المعركة (الفضيل بو عمر) مساعد عمـــر المختـــار الأول ومستشاره القدير، وهو الذي هجم برجاله على التطويق، وفتح فيـــه الثغـــرة حيث خرج عمر المختار وأتباعه، ويقول غرازيـــاني (إن فـــشل القـــوات الإيطالية في هذه المعركة كون ضربة قاسية في كياننا)[1].

وهكذا بعد استراحة غير طويلة، وصلت الأخبار إلى القيادة الإيطاليـــة أنَّ تجمعات من المقاتلين تحتشد في منطقة (وادي الغريب) نظـــراً لتفـــرع

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص170 – 171.

هذا الوادي وتعاريجه وكثرة غاباته، وفي هذه المنطقة يُعسكر أكبر دور للمجاهدين، وهو المكان الذي يطمئن إليه عمر المختار ويستريح فيه، وفي يوم 5 – 6 أكتوبر 1930 قامت القوات الإيطالية بمهاجمة هذه المنطقة بمساعدة القوات المدرعة، ولكن محاولتهم باءت بالفشل بعد معركة حامية قادها معهم الثوار، وقد اضطرت القوات الإيطالية إلى العودة إلى قواعدها دون أن تحقق أغراضها، كما وقع في جميع المعارك السابقة.

معركة زاوية مرتوبة (6 أكتوبر 1930م): في مخازن قرية مرتوبة قرية قريبة من مدينة درنة، توجد كميات كبيرة من القمح والشعير جمعها الثوار من زكاة الأهالي، واستحوذت عليها القوات الإيطالية بالاتفاق مع متصرف درنة (داوود ياتشي)، وقد صدرت إلى متصرف درنة (داوود ياتشي) الأوامر بأن يُجند كل الوسائل لنقل هذا القمح والشعير من مرتوبة إلي درنة، وفعلاً قام المتصرف بهذا العمل، إذ قام بإرسال قوافل الإبل وعربات الكارو وقليل من السيارات للنقل، وفعلاً بدأت القوافل تصل إلى درنة بسلام، وفي اليوم التالي حدث العكس، فتعرضت القوافل لهجوم من الثوار فاستحوذوا عليها بعد قتل حراسها، وأكثرهم من الإرتريين، وكان عددهم يزيد عن نصف كتيبة مسلحة من الكتيبة الإرترية الرابعة عشرة، ومدرعتين قُضي عليها جميعاً، وأخذ الثوار القافلة والسلاح غنيمة، وكانت هذه المعركة تُعرف بمعركة (وادي البقر)، رغم قوة الإرتريين ومدرعتين وجنود محليين لحراسة القافلة، وتقول المصادر الإيطالية عند وصول الخبر إلى درنة بضياع القافلة: إنَّ مساعد العقيد (مالتيزي) قام بقوات جديدة؛ لإمداد المنهزمين واسترداد القافلة، وأصر على متابعة الثوار ولكن دون طائل، وهذه لطمةٌ أخرى تلقاها غرازياني في معركته مع عمر المختار، حيثُ استولى الثوار على قافلة الحبوب الكبيرة وقتلوا نصف عدد الكتيبة الإرترية المتولية للحراسة، أي ما يزيد عن ثلاثمائة جندي إرتري فقدوا حياتهم في المعركة.

معركة الغريب:

يقع موقع الغريب ضمن المنطقة الهامة التي شهدت كثيراً من الأحداث والمعارك، أثناء الحرب الليبية الإيطالية، وفي المرحلة الثانية خاصة التي تولى فيها قيادة المقاومة في الجبل الأخضر المجاهد عمر المختار، وقد بلغ الإيطاليين تواجدُ قوة من المجاهدين في هذا الموقع، وخشي الإيطاليون على مراكزهم القريبة من هجماتٍ يقوم بها المجاهدون، فأعدوا قوات كبيرة قامت بمهاجمة المجاهدين يوم 6 أكتوبر – 1930م، حيث تصدى لها المجاهدون، ودخلوا معها في معركة عنيفة، انتهت بانسحابهم من المنطقة إلى مواقع أخرى دون أن يُمكنوا القوات الإيطالية من تحقيق أهدافها.

وفي يوم 6 أكتوبر 1930م قامت مجموعة من الثوار بالاستيلاء على قافلة تحمل التمر من أوجلة إلى إجدابيا تتكون من 22 جملاً، وقد لحقت بهم القوات الإيطالية، ودخلت معهم في معركة عنيفة اضطر بعدها الثوار إلى ترك التمر ولكنهم أخذوا الإبل.

وفي يوم 13 أكتوبر 1930م التحمت القوات الإيطالية الصحراوية مع مجموعة من الثوار يُقدر عددهم بخمسين رجلاً، وانتهت المعركة بعودة القوات الإيطالية إلى قواعدها دون أن تستطيع القضاء على هذه القوة الصغيرة من المجاهدين.

معركة سيدي حميدة الواقعة إلى الشمال بالجبل الأخضر، كانت هذه المنطقة من المناطق التي شهدت كثيراً من العمليات الحربية سواء في المراحل الأولى من الجهاد أو في المراحل الأخيرة منه، وكان المجاهدون قد تمركزوا فيها في أكتوبر عام 1930م، وأخذوا يهددون مواقع القوات المعادية التي خرجت عليهم في قوات كبيرة من جهات مختلفة، فاصطدمت بهم عند بئر السعيدة وسيدي حميدة حيث جرت معركة عنيفة في 21 أكتوبر 1930م،

وكان غرازياني قد أبلغه الجواسيس بوجود قوات المجاهدين في هذه المنطقة، فأمر بإعداد كتائب الإرتريين والمدفعية والمصفحات والفرسان والطائرات لمهاجمة الدور من عدة أماكن، وتطويقه والقضاء على المجاهدين، إلا أن الثوار قد علموا بتحركات الجيش الإيطالي واستعدوا لها، وواجهوها وصمدوا أمامها، واجبروها على التراجع دون أن تحقق الأهداف التي توختها.

وفي يوم 30 أكتوبر 1930م قامت مجموعة صغيرة من الثوار بالاستيلاء على 820 رأساً من الغنم و14 رأساً من البقر، وقد لحقت بهم القوات الإيطالية، ودارت معركة حامية بين الطرفين، ولم تستطع القوات الإيطالية رغم عددها وعدتها من استعادة الحيوانات التي استولى عليها المجاهدون.

معركة كاف الثلم: ضاعف الإيطاليون في سنة 1930م من عملياتهم العسكرية في الجبل الأخضر، في محاولة منهم للقضاء بصفة نهائية على آخر معاقل المقاومة، ولم يتوانوا عن ممارسة أبشع الأساليب، بأمر من الجنرال غرازياني الذي كان يتولى شخصياً عمليات الملاحقة والمطاردة التي تتابعت في تلك الفترة، بلا هوادة ولا انقطاع، وقد قامت حشود إيطالية كبيرة بالتحرك من موقعها؛ لمهاجمة أدوار المجاهدين المرابطين بعائلاتهم في كاف الثلم، ونشبت في الموقع معركة عنيفة في (2 نوفمبر 1930م)، اضطر على أثرها الإيطاليون إلى الانسحاب بقواتهم بعد أن فشلوا في تحقيق أهدافهم.

معركة آبار بالصفية: جرت معركة في آبار بالصفية التي تقع في الشمال الغربي من المرج في (2 نوفمبر1930م)، وتدخل ضمن المرحلة الأخيرة للجهاد الوطني بالجبل الأخضر، وكان بعض المجاهدين قد تحولوا بنجوعهم بعد معركة سيدي حميدة وبئر السعيدة، ونزلوا بآبار بالصفية، ولكن القوات الإيطالية أخذت تلاحقهم وتطاردهم، وتعمل على الإحاطة بهم وتطويقهم، ولتحقيق هذا الغرض تحركت من قواعدها بشحات والمرج ومراوة؛ لضرب هؤلاء المناضلين، وجرت في هذا الموقع معركة عنيفة،

أبدى فيها المجاهدون مقاومة قوية، وتكبد الطرفان خسائر في الأرواح، وانتقل بعدها المجاهدون إلى مواقع أخرى.

وفي معركة أخرى اشتبكت القوات الإيطالية مع المجاهدين لاسترجاع قافلة أخرى غنمها المجاهدون، وكان عدد الثوار (150) مقاتلاً، وبعد معركة حامية تدخلت القوات المدرعة الإيطالية واحتجزت جمال القافلة، وبعد معركة طاحنة تكبد فيها الإيطاليون خسائر كبيرة، واستمرت القوات المدرعة في متابعة الثوار حسب قول المصادر الإيطالية إلى أن التحقت بهم في وادي (المخلق)، فأصبحت القوات المدرعة على الضفة المقابلة من الوادي، وكانت قوات الثوار على الضفة العليا، فأصبح من الخطر اقتحام الوادي، وبهذا تمكنت قوات الثوار من الوقوف في وجهها مدة من الزمن حتى استطاعوا إبعاد القافلة عن الخطر، وأوصلوها إلى المقر العام للثوار بسلام.

أرادت القوات الإيطالية أن تنتقم لهزمتها، فقامت بهجوم آخر في المنطقة الشرقية، وحتى في هذا الهجوم الذي قام به القادة الثلاثة (بياتي وماروني وروللي) لم تتحصل على أية نتيجة، ويقول غرازياني: (إنَّ كل أعمالنا الحربية في المنطقة الشرقية باءت بالفشل في كل المحاولات، بعد قتال دام 15 يوماً)[1].

لقد أنزعج المارشال بادوليو والجنرال غرازياني من أن جميع الإجراءات الوحشية أللإنسانية التي اتخذوها ضد الشعب العربي في برقة؛ للقضاء على ثورة عمر المختار قد باءت بالفشل، فقد مر زمنٌ طويل، والمعارك متواصلة، وإيطاليا تدفع بقواتٍ متزايدة وبعملياتٍ متواصلة؛ من أجل تطويق المجاهدين والقضاء عليهم، وقد باءت جميع هذه الجهود بالفشل دون جدوى، بل ظلَّ عمر المختار صامداً عملاقاً، يواجه القوات الإيطالية في كل مكان، ويردها أو يتخلص منها.

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص171.

ويقول الجنرال نازي قائد القوات الإيطالية في برقة، كيف أن 13 ألف جندي مزودين بأحدث الأسلحة والطائرات لا يستطيعون التغلب على هذا العدد القليل من الثوار [1].

وكان رجال عمر المختار يتناقصون في كل يوم، ولا يجد بديلاً عنهم كما تعود في السابق قبل اعتقال السكان، كما أن المؤن التي كانت تصله من مصر لم تكن بالقدر الكافي، وقد اشتدت هجمات الإيطاليين ضده، وملاحقتهم له؛ فاضطر إلى تجزئته قواته وتوزيعها في عدة أماكن، ومع ذلك فلم تستطع القوات الإيطالية التغلب عليه، رغم كل ما بذلته من جهود بإمكانيتها الكبيرة غير المتوفرة لعمر المختار.

وإزاء الفشل الذي لحق بالقيادة الإيطالية المعتدة بنفسها وإزاءَ عجزها الكامل عن التغلب على الثوار بعد الإجراءات التي اتخذتها، والتي تسببت في تدمير سُكان برقة، سافر غرازياني إلى طرابلس؛ للتفاهم مع بادوليو في الوضع، وكيف تتم معالجته؟ وقال غرازياني لرئيسه: إن عمر المختار لا يزال يعتمد على حصول المؤن والذخيرة من مصر، وإننا قد عجزنا عجزاً كاملاً عن مراقبة الحدود، ووضع حدٍ لوصول المساعدات من مصر إلى عمر المختار، واقترح غرازياني على بادوليو بناء أسلاك شائكة تمتدُ من البحر إلى جنوب الجغبوب لمسافة 270 كم، وأكد له أن هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تضمن لنا القضاء على ثورة عمر المختار، واستمع إليه المارشال بادوليو بهدوء، وقال له: إني ذاهبٌ إلى روما؛ للحصول على موافقة المسئولين على إنشاء هذه الأسلاك، وسافر بادوليو ولحق به غرازياني، واجتمعا مع وزير المستعمرات، وعرضا عليه الفكرة ، وقال لهما: إن تكاليف هذا المشروع مرتفعة جداً، ولا أعتقد أن الميزانية تسمح

(1) أ.ديلبوكا ، مصدر سابق.

بصرفِ مثل هذا المبلغ، كما أن الأسلاك الشائكة وحدها لا تكفي، فهي تحتاج إلى مراقبين؛ لمنع تسرب المجاهدين إلى مصر عبر هذه الأسلاك، وقد رفض وزير المستعمرات ووزارة الخارجية بناء هذه الأسلاك؛ لارتفاع تكاليف المشروع، إلا أن بادوليو وغرازياني ذهبا إلى موسوليني وأقنعاه بضرورة قيام المشروع، فوافق عليه.

إن اللجوء إلى إنشاء الأسلاك الشائكة بين مصر وليبيا هو آخر محاولة بذلها المسؤولون الإيطاليون؛ لتحقيق أهدافهم والقضاء على الثورة في برقة، وإذا ما فشل هذا المشروع أيضاً في التغلب على عمر المختار فلن يبقى أمام القيادة الإيطالية إلا الاستسلام وقبول التفاوض مع المجاهدين.

ووالت إيطاليا ضغطها على الحكومة المصرية؛ لوضع حدٍ لنشاط اللاجئين الليبيين لكن بدون فائدة، وقد استمرت القوافل تُغادر الحدود المصرية في طريقها إلى الثوار دون أن تستطيع القوات الإيطالية منعها، ومن هذا المنطلق ولوضع حدٍ لوصول الإمدادات المصرية إلى الثوار تقرر إنشاء الأسلاك الشائكة.

وقد أصدرت الحكومة الإيطالية قراراً بتاريخ (13 أغسطس 1930م)، بوضع مراقبة خاصة على الحدود الشرقية أي المصرية، والحد من نشاط التهريب والمهربين، ومع ذلك فلم يكن لهذا القرار أي معنى؛ لأن عمليات التهريب استمرت في وضح النهار.

مدّ الأسلاك الشائكة على طول الحدود الليبية المصرية :

في الوقت الذي قررت فيه إيطاليا مد الأسلاك الشائكة واصلت ضغطها على مصر من أجل إيقاف نشاط الليبيين اللاجئين على الحدود، وتم الاتفاق بين رئيس الوزراء المصري والسفير المصري على تكليف القنصل الإيطالي بالسلوم بالتفاهم مع السلطات المحلية لوضع حدٍ لنشاط الليبيين

على الحدود الليبية المصرية، وقد تم اتفاقٌ بين القنصل الإيطالي بالسلوم والسلطات المحلية يشملُ النقاط التالية:

1- إبعاد الثوار الذين دخلوا مصر حتى الآن إجبارياً، وكذلك الذين يدخلونها فيما بعد.

2- إبعاد الخارجين عن القانون في منطقة السلوم لأنهم يستقبلون الثوار ويتعاونون معهم.

3- مراقبة خاصة على قبيلة السنينات، ورقابة أكثر على رئيسها (محمود السنيني).

4- تكوين مركز حراسة بمخيمات (أولاد على) على طول خط الحدود المصرية بحيث نتمكن من مفاجأة القادمين من برقة، غير أنَّ كل هذه الاحتياطات لا تكفي، لذلك اتُخذت طريقة استعمال الكلاب المدربة على طول الحدود؛ لترشد المسؤولين إلى أماكن الثوار.

ولم يُنفذ هذا الاتفاق؛ لصعوبة تنفيذه ولعدم استطاعة السلطات المحلية القيام بتبعاته، وبسبب معارضة الزعماء الوطنيين لكل إجراء ضد المهاجرين الليبيين، وظل الحال على ما هو عليه بالسلوم، وظلت القوافل تأتي منه بالمساعدات التي كان يحتاجها المجاهدون.

بدأ إنشاء خط الأسلاك الشائكة من (آبار الرملة) في خليج السلوم متمثلاً في شريط عريض متراٍم على طول الحدود ماراً بمرتفعات ومنخفضات منطقة البطنان إلى ما بعد الجغبوب حتى المرتفعات الكبيرة التي تحد بشمال الصحراء الكبرى، هذا الحاجز الذي يمتد طوله أكثر من 270 كيلومتراً ، وله ثلاثة مراكز حراسة وهي: (إمساعد – الشقة – الجغبوب)، وستة مخافر إضافية وهي: (الرملة – سيدي عمر – قرن القرين – عمارة)، وتحت حماية ثلاثة مطارات للإقلاع والهبوط وهي:

(إمساعد – الشقة – الجغبوب)، وقاعدة تسع أربع طائرات، وأخيراً تم مد هذا المشروع الضخم بخط هاتفي؛ ليكون الاتصال سهلاً.

وبلغت تكاليف المشروع عشرين مليون ليرة، وهو المبلغ الذي كان مطلوباً لبناء ميناء بنغازي، الذي ترددت الحكومة الإيطالية في إنفاقه لمدة خمسة وعشرين عاماً.

وفيما يلي نبين الجهود التي بُذلت في بناء هذه الأسلاك الضخمة؛ لمنع قوافل المجاهدين من الدخول إلى مصر:

- الأسمنت: 1822500 قنطار.
- مطارق الحديد: 2007000 قنطار، ويتألف من 269628000 قضيب.
- أسلاك شائكة: 3240000 قنطار (263343000) متر.

وعلق غرازياني على المشروع فقال: (لو أخذنا بعين الاعتبار كل الأرقام التي مرت بنا منذ فترة وجيزة لاقتنعنا بأن كل هذه المصرفات الضخمة من أجل القضاء على الثورة ولفكرنا مائة ألف مرة قبل أن نقدم عليها، ولكن الظروف أجبرتنا أن نتحمل كل هذه المصائب والصعاب، لأننا لو قارنا المصروفات والمواد التي خُصصت لهذا المشروع لخرجنا بالنتيجة التالية: إن كمية الأسمنت المستعملة يمكن بها إنشاء جسر عرضه متر وسمكه عشرة سنتيمترات، وطوله 66666 كيلومتراً، يربط إيطاليا وألبانيا وهو يُعادل عرض قنال (اترنتوا) الذي يفصل ألبانيا عن إيطاليا، وكذلك كمية الحديد المستعملة يمكن صنع جنزير قطره 2 سم، وطوله 888 كيلومتراً، ويمكن ربط (سيراكوزه) بمدينة بنغازي، أما طول الأسلاك الشائكة المستعملة تعادل ربع طول محيط خط الاستواء، أما نقل هذه المواد بالسيارات فقدرت المسافة التي قطعتها ذهاباً وإياباً (29160000) كيلومتراً أي بمسافة 73 دورة حول خط الاستواء، أما القيمة النقدية فهي:

(17737173,80) سبعةَ عشَر مليوناً وسبُعمائة وثلاثون ألفاً ومائـــةٌ وثلاثـــةٌ وسبعون فرنكاً وثمانون سنتاً، وقد قام بالمشروع 2500 عامل فني وعـــادي، و1200 رجل مسلح للحماية و200 مركبة آلية و18 باخرة تُفرغ حمولتها في ميناء البردية، والمواد المستعملة من الحديد نُقلت ووزعت في ستة أشهر من عمل متواصل تحت شمس محرقة تبلغ أحياناً درجة حرارتها 40 درجة مئوية فوق الصفر)[1].

لقد اقتنع بادوليو بعد توليه حُكم ليبيا، وقد شاركه في هذه القناعة كـلٌ من الجنرال غرازياني ووزير المستعمرات دي بونو، بأن الطريقة الوحيـدة الممكنة للتغلب على الثوار والقضاء عليهم هي إبعاد السكان عنهم، وقد تقرر بالإجماع هذا الإجراء، ونُقل جميع سُكان الجبل الأخضر والبطنان وجنـوب بنغازي إلى المعتقلات التي أُعدت لهم في صـــحراء ســـرت، رغـم علـم المسئولين الإيطاليين بما سيتكبده السكان المرحّلون من موتٍ ودمارٍ وخرابٍ قد يقضي عليهم بالكامل، إلا أن المسؤولين الإيطاليين تشبثوا بهذا الإجـراء لأنُه الوسيلة الوحيدة الناجحة التي ستخلصهم من عمر المختار ورجاله، وقبل ذلك قالوا عن الكفرة هي موطن الخطر؛ لأنها ســتقوم بإمــداد المجاهـدين بالرجال والمواد، وجندوا حملةً جبارة لاحتلال الكفرة، حملةً ارتكبـــوا فيهـا أفظع الأعمال، وقبل ذلك أيضاً ادّعى غرازياني أن الجنود المرتزقة الليبيين هم الذين يساعدون الثوار بالذخيرة والأموال، فقام بتسريحهم، وغير ســلاح القلة الباقية منهم، وقد اتخذ غرازياني منذُ قدومه إلـــى برقـــة العديـــد مـــن الإجراءات والتدابير التي كان يرمي من ورائها إلى تطويق الثوار والقضاء عليهم، وقد باءت جميع هذه الإجراءات والتدابير والأعمال الإجرامية التـــي تسببت في موت الكثيرين بالفشل الكامل؛ لأن عمر المختـــار ظـــل صـــامداً

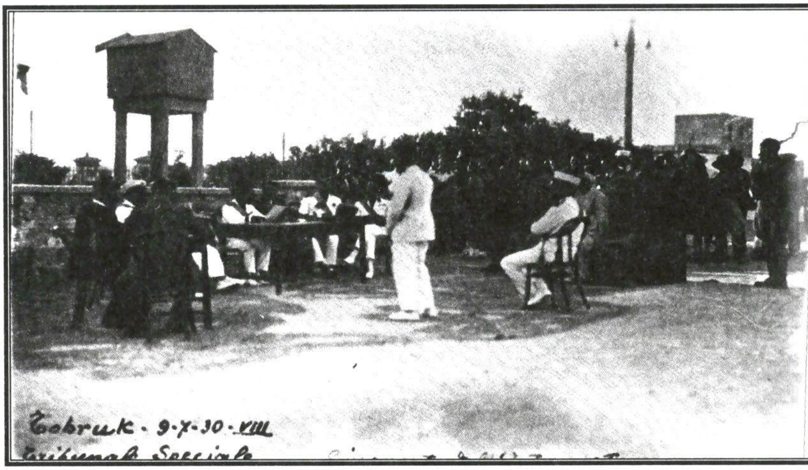
(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص237 – 238.

كالجبل يواجههم ويقاتلهم ويتحداهم بدون مساعدة الأهالي، وبدون مساعدة أهل الكفرة، وبدون مساعدة الجنود المرتزقة، في الوقت الذي كانت إيطاليا لديها القوات العديدة والمدرعات والسيارات والرشاشات التي تستطيع بها أن تمنع حركة القوافل الذاهبة والآتية من مصر إلا أنها عجزت وفشلت في إيقاف هذه الحركة.

وقد التقى بادوليو وغرازياني واستعراضا الوضع العسكري، فوجدا أنهما عاجزان عن القضاء على الثورة كما تعهدا بذلك للحكومة الإيطالية المركزية، وقد اتفاقا على أن الحدود المصرية لا تزال هي المورد الذي يزود عمر المختار بالمؤن والسلاح، وبما أن القوات الإيطالية قد عجزت حتى الآن عن منع وصول هذه المساعدات إلى عمر المختار، فقد اتفق الاثنان على بناء الأسلاك الشائكة التي تحدثنا عنها، والتي شُرِع في بنائها في شهر مارس عام 1931م، وانتُهي منها بعد نهاية الثورة.



الأسلاك الشائكة على حدود مصر ليبيا.



جلسة علنية للمحكمة الطائرة بتاريخ 9 - 7 - 1931م بطبرق.

نشاط عمر المختار بعد مد الأسلاك الشائكة:

على الرغم من مد الأسلاك الشائكة واصل عمر المختار نشاطه الحربي ضد القوات الإيطالية، إذ استمر نشاطه وهجماته على المراكز والحاميات الإيطالية، وتصديه للهجمات الكبيرة التي كانت تقوم بها القوات الإيطالية، وقد ساد ركودٌ وهدوء في العمليات الحربية فوق الجبل الأخضر لمدة شهرين فاستبشر الإيطاليون وظنوا أن المجاهدين قد نزحوا إلى مصر وتخلوا عن القتال، وبعد هذا الهدوء وفي آخر فبراير بالذات خرجت فجأة مجموعة من الثوار تتكون من 250 رجلاً مسلحاً من الأماكن القريبة من سوسة، فاستحوذوا على عدد من الحيوانات نقلوها إلى منطقة الجبل الأخضر، وكانت هذه مفاجأة غير سارة بددت آمال غرازياني في هجرة المجاهدين إلى مصر.

وقد أراد غرازياني الانتقام لهذا النصر الذي حققه الثوار ضدَّه، فحرك قواته يوم 30 مارس عام 1931م؛ لمهاجمة وادي الرملة حيث اصطدمت بالمجاهدين في معركة دامية، عاد على أثرها الإيطاليون دون تحقيق أي نجاح، وقد استعملت القوات الإيطالية كل الوسائل، واستعانت بعدد كبير

من المخبرين المحليين؛ لتحديد مواقع المجاهدين ومهاجمتها، وقد شاركت الطائرات أيضاً في كشف مواقع الثوار وتحديدها.

وفي هذه المرحلة نشطت الطائرات الإيطالية، وتعددت هجماتها ضد مواقع المجاهدين وضربها بالقنابل والرشاشات، وقد حشد غرازياني ما يُقارب الثلاثة آلاف وخمسمائة جندي لتطويق مواقع المجاهدين، وقد ردَ عمرُ المختار على هذه العمليات الإيطالية بمضاعفة هجماته ضد المراكز والقوات الإيطالية في كل مكان.

وفي اتجاه العمليات العسكرية المكثفة، والشروع في إغلاق الحدود مع مصر؛ وضع عمرُ المختار استراتيجية عسكرية جديدة من مواقعها في الجبل الأخضر تتحرك فئات صغيرة من المجاهدين لمهاجمة القوات الإيطالية في كل الاتجاهات، ويقول الجنرال غرازياني: إن هذه الاستراتيجية الجديدة جعلت من الصعوبة على القوات الإيطالية الاحتكاك بقوات المجاهدين، ولذا نكونُ ملزمين بتقسيم قواتنا إلى مجموعات صغيرة مثل الثوار، وهذا لا يمكن أن ينطبق على القواعد العسكرية وبالتالي يصعب علينا العمل مثلهم.



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

النائب العام بالجبل الأخضر

عمر المختار

رسالة من الشهيد عمر المختار مؤرخة بتاريخ 9 شوال 1348 الموافق 10 - 3 - 1930م إلى قبيلته وإلى كافة قبائل المرابطين يعلمها بالانتصارات التي حققتها المقاومة ويوصيها بتقديم كافة العون إلى المجاهدين.

وعندما بلغت أعمال بناء الأسلاك الشائكة ما يُقارب نصف المسافة كان المجاهدون يتحصلون على المساعدات من مصر عن طريق النصف الآخر الذي لم تصل إليه الأسلاك، وشعر غرازياني بذلك؛ فأراد أن يمنع هذا الاتصال؛ لذلك أمر قواته باحتلال (وادي المَرَهْ) وبذلك يصبح من السهل الإشراف على الأماكن الخمسة في الشمال (زاوية مسوس - الميلي - طريق أنور بي)، وغرباً الطريق الواصلة على (ساونو) و(وادي القطارة)، وشرقاً طريق القوافل (بير الغبي)، و(الجغبوب) جنوباً، والطريق الموصل (جالو - الجغبوب).

إن منطقة (وادي المَرَهْ) تعتبر المتوسط من ناحية الجنوب بين (البطنان) المسمى (بطريق العبد) و(بير تنجيدر) حيث توجد هناك طرق تحاذيها ارتفاعات على يمينها وعلى يسارها، ومن أهمية منطقة (وادي المَرَهْ) المراعي الخصبة وبه تتجمع مياه المرتفعات عند هطول الأمطار، فهو المورد الوحيد لتلك المنطقة لمياه الشرب، فالسكان يتزودون من هذه المياه لهم ولمواشيهم أثناء فصل الربيع وبعده، وكذلك كان وادي المَرَهْ هو الطريق المفضل للقوافل التي تمر قادمة من الجبل الأخضر ببرقة إلى منطقة مصر الوسطى وبالعكس.

ويقول غرازياني: إن هذه المنطقة أصبحت خطرة، وعليه قررت أن تُخصص لها قوات نموذجية تتكون من ثلاث مجموعات من جنود الصحراء، وتشكيلة من المركبات الآلية المدرعة، وفرع من وحدات الطيران من (الجغبوب وجالو)، بينما القوات الصحراوية تقسمت على عدة مناطق، المنطقة الأولى هي منطقة الرقابة في الجنوب على خط العرض 30 درجة، وتتكون من فرقة الجنود الصحراويين في الخط الأمامي معززة بقوة جوية للحماية والمساندة، والمنطقة الثانية تُعتبر منطقة مراقبة،و بها فرقة الفرسان على خط العرض 32 درجة في وادي المَرَهْ مع معظم جنود الصحراء، وكذلك قسم من المدرعات مهمتها تغطية القوات القائمة في منطقة الشعافة تحت قيادة الحاكم العسكري للمنطقة[1].

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص245 - 246.

حملة الصحف العربية ضد إيطاليا :

قلق موسوليني في روما؛ لعدم تمكن بادوليو من القضاء على الثورة الليبية، وأزعجته أكثر الحملة ضد إيطاليا التي شملت جميع البلاد الإسلامية، والتي استنكرت الأعمال الوحشية التي يقوم بها الإيطاليون في ليبيا، ولا شك أن اعتقال الشعب والإلقاء به في صحراء سرت، وإغلاق الزوايا السنوسية والقبض على مشائخها، وإبعادهم إلى إيطاليا ومصادرة أملاك الزوايا التي خُصصت لأعمال البر والإحسان، واحتلال الكفرة وما حدث فيها من فظائع كل هذه العوامل كانت موضع اهتمام العالم الإسلامي، واستنكاره لها، وقد بدأ في هذه البلاد الإسلامية حملة جمع التبرعات والمطالبة بمقاطعة البضائع الإيطالية، ورغبة الكثير من شباب المسلمين في التطوع إلى جانب المجاهدين.

وأصدر الأمير شكيب أرسلان بياناً حمل فيه على سياسة إيطاليا وجرائمها وأعمالها الوحشية في ليبيا، وقد وزعَ هذا البيان في جميع البلاد الإسلامية، وهذا نصه: (كانت الحركة الإسلامية تائهة عن كل ما يحدث في طرابلس من تعذيب وهمجية من البرابرة الإيطاليين، الذين ما أتوا إلى هذه الأرض إلا ليؤخروها عن التقدم والمدنية، بعكس ما كانوا يقولون ويكتبون، نعم إن الناس علمت بأن الحكومة الإيطالية الفاشيستية نقلت ما يزيد عن 80 ألف عربي من الجبل الأخضر ووضعتهم في صحراء سرت، نزعت منهم أراضيهم بحجة التعمير، وإن المعمرين الإيطاليين هم أحق من أي أحد آخر، لأنهم يتقنون هذا العمل أكثر من العرب وأحسن منهم.

إن العالم علم بأن الجيش الإيطالي قد احتل الكفرة وواحاتها، بعد أن قتل السكان العزل، والثوار العرب، الذين دافعوا عن وطنهم إلى النهاية، وإن الصحافة الإيطالية تتبجح وتنشر أنَّ جيشها أسر مائة امرأة وهن زوجات الشيوخ هناك.

وقد وجهنا سؤالنا إلى الإيطاليين الفاشيستيين عن معنى هـذا التـبجح بأسر مائة امرأة، مع العلم بأن التقاليد والعادات العالمية وبـالأخص البيئـة العربية التي تنفي اضطهاد المرأة أو النساء خصوصاً أثناء قيـام الحـرب، ولكن ما كنا نعتقد أن دولة تعتبر نفسها من دول البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارة الأوروبية أن تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف والخروج عـن جادة التمدن والرقي، ولم يسبق مثل ذلك في تاريخ البشرية بل فـي تـاريخ البربرية، إنَّ معاملة الجيش الإيطالي الفاشيستي للنساء هي معاملة وحـشية بدرجة تتقزز منها النفوس، فهي معاملة سيئة سواء في طرابلس أو في برقة.

إن هذه الأخبار لم تكنْ نسيجاً من خيال أو فكرة طارئة، وإنمـا هـي حقائق يرويها من أسعده الحظ بالنجاة من المذابح التـي قـام بهـا الجـيش الإيطالي الفاشيستي.

شرحوا لنا ما يلي :

1- عندما اتجهت القوات الإيطالية لاحتلال الكفرة كانت معززة بالطائرات التي كانت تُلقى قنابلها على السكان العزل من شيوخ ونساء وأطفـال، وخلاف هذا سمحوا لجنودهم أن يعبثوا بالسكان لمدة ثلاثة أيام مطلقي الأيادي في البيوت والأسواق والمساجد، وفي كل النواحي، تـصرفات وحشية لم تخطر على بال أحد، نهبوا وقتلوا وحرقوا كل ما مروا بـه، ولم يتركوا أي جريمة لم تخطر ببالهم إلا وارتكبوها، قتلـوا العلمـاء والمشائخ، وهتكوا حرمات البيوت، وبقروا بطون النـساء، وإنَّ عـدد العائلات التي قتلت عند احتلال الكفرة ما يزيد عن 70 عائلة من علية القوم، وعلاوة على ذلك فقد اتخذوا من زاوية السنوسي (التاج) كحانة شربوا فيها الخمر حتى ثمالة الجنون، وشربوا نخـب القـضاء علـى المسلمين، واحتلال طرابلس وبرقة، وألقوا بالمصاحف القرآنيـة فـي

الإسطبلات تحت سنابك الخيل وبالكتب العلمية أوقدوا بها النار تحت قدورهم لطهي طعامهم، وقد استشهد من الثوار في احتلال الكفرة ما يزيد عن 200 شهيد من بينهم المشائخ الآتية أسماؤهم:

الشيخ صالح العابدية، الحاج سليمان بو مطاري، الشيخ غيث بو قنديل، الشيخ سليمان الشريف، الشيخ محمد بو يونس، الشيخ أحمد بو شناك وحفيده الشيخ عمر، والشيخ حمد الحامي، والشيخ عبد السلام بو سريويل، والشيخ محمد المحروق وحفيده علي بن حسين، والشيخ محمد العربي، والشيخ محمد بو سجادة، والشيخ محمد الفايدي الجلولي، والشيخ خليفة الدلال.

2- أما الرواية الثانية وهي كيف تم احتلال الكفرة من قِبل أولئك الغاشمين المتوحشين من مشاهدين حقيقيين لتلك الأحداث: قالوا إنَّه قبل دخول الإيطاليين إلى الكفرة قامت طائراتهم بقصف واحات الكفرة بقنابلهم الفتاكة فوق منازل السكان العزل حيث قتلت عدداً كبيراً من النساء والشيوخ والأطفال، وبعد أن دخلوا الكفرة أطلقوا أيدي الجنود لمدة ثلاثة أيام للعبث والتخريب في الكفرة، فقد أطلقوا بغالهم وخيولهم حيث دمرت كل المزروعات فاستولوا على كل المواد الغذائية وقطعان البقر والأغنام لتموين جنودهم المحتلين دون مقابل وعلاوة على كل هذا نهبوا أثاث السكان وقسموها على إدارات الجيش الزاحف، كذلك ملابس النساء وحليها، هذا قليل من كثير زد على ذلك اعتداءاتهم على حرمات الناس العزل دون وازع من ضمير، وعندما اتجه بعض المشائخ إلى قائد الحملة راجين منه إصدار أمْره إلى الجنود بالكف عن هذه الاعتداءات على الناس كان مصيرهم القتل رمياً بالرصاص باعتبارهم خونة، وبالاختصار فإن الإيطاليين عندما احتلوا الكفرة قاموا بأعمال وحشية لم يسبق أن حدثت في التاريخ حتى في القرون الوسطى عهد الهمجية.

إن قضية الـــ 80 ألف عربي الذين نقلتهم القوات الغاشمة من أراضيهم الخصبة في الجبل الأخضر إلى مناطق جدباء صحراوية لا مـــاء فيهـــا ولا كلأ، هي منطقة سرت لكي تموت المواشي جوعاً وعطشاً، أما بقية المواشي فقد استولى عليها الجنود الإيطاليون وأصبح الناسُ فقراء تدفع لهم الحكومـــة الإيطالية فرنكين عن كل يوم لكل شخص مهما كان عدد أفراد عائلته، أمـــا بالنسبة لحلي النساء وملابسهن فقد نهبها الجنـــود الإيطـــاليون، وأصـــبحت العائلات في هوة الفقر سواسية، وفي أثناء مرافقة هذا العـــدد الـــضخم مـــن رجال ونساء وأطفال كان الجنود يسومونهم سوء العذاب وكل مـــن يعجـــز عن السير مصيره الموت فيقتلونه ويتركونه يتخبط في دمه.

إن الرجال والشبان الذين تتراوح أعمارهم ما بين 15 و40 سنة أجبروا على الانخراط في الجيش، وأما الصغار الذين تتراوح أعمارهم من 14 سنة فقد أخذوا بالقوة من أهاليهم، وأرسلوا إلى إيطاليا بحجة تعليمهم، ولكن فـــي الحقيقة من أجل تنصيرهم.

هذا ما كان يتحدث به سكان روما وهو تنصير الليبيين بصورة عامـــة والطرابلسيين بصورة خاصة، ورغبة الإيطاليين الفاشيستيين فـــي القـــضاء المبرم على العنصر الإسلامي في ليبيا، لتصبح جزءاً إيطاليـــا وبجوارهـــا مصر سوف تتعرض لأكبر خطر، ومصر لن تسكت على هذا الإجـــراء لأن الإيطاليين في اعتقادهم المريض أن مصر ليست دولة عربية، وإنمـــا هـــي خليط من عدة أجناس، الأمر الذي يجعل إيطاليا تحلم بأن تغزو مصر وتتمكن من أرضها وشعبها كما تمكنت من طرابلس، إنَّ الوعود المعسولة التي كانت تصرح بها السلطات الإيطالية، وتمنياتها الطيبة التي كانت تعرضـــها علـــى الشعب الليبي، وإنَّها – أي إيطاليا – ما أتتْ إلا لتخلص الشعب الليبي مـــن الاستبداد التركي، هي أنها أتت بإدريس السنوسي وقلدته لقب الإمارة ووعدته بالحكم الذاتي، ولكن كانت دائماً وعوداً فقـــط، وذَّر رمـــادٍ فـــي العيـــون،

وهاهي إيطاليا تُلغي كل شيء وتبدأ في سفك الدماء وتطرد السكان من أراضيهم وأموالهم، وأخذت أولادهم وبناتهم إلى إيطاليا من أجل تعليمهم، وفي الواقع من أجل تنصيرهم، إني أقول: على المسلمين أن يتذكروا هذا كله وأن يفهموه، فإن هناك من يتشدق ويتفلسف بالقول إن أوروبا تسود فيها العدالة والحرية، وإن الدول الأوروبية لا تتعرض للقضايا الدينية، وأن السبب في سقوط المسلمين هو التعصب الأعمى إن هذه الألفاظ وهذه المغالطات تُنذر المسلمين جميعاً بأنهم إذا لم يتحدوا ويذودوا عن حياضهم سوف يتعرضون إلى القضاء عليهم، ويفقدون قواتهم المسلحة وحرياتهم السياسية، وسوف يحدث لهم كما حدث لطرابلس إذا لم يحافظوا على حرياتهم واستقلالهم، إن موقف إيطاليا من حضارة القرن العشرين موقف غير مشرف؛ فقد رجعت إلى معاملات القرون الوسطى.

إن الإيطاليين المتوحشين لم يحترموا لا كبيراً ولا صغيراً، فقد اعتدوا على الحرمات واغتصبوا النساء، وهتكوا الأعراض، كل هذه الأعمال من اجل اضطهاد المسلمين، ونزع روحهم الانتقامية.

لقد زج الإيطاليون في السجون الكثير من الأهالي ومشائخ القبائل، وقد عارضهم وندد بأعمالهم الشيخ سعد الفايدي شيخ قبيلة الفوايد، فما كان منهم إلا أن قتلوه ومعه 15 من أبناء قبيلته، البعض منهم ألقي من الطائرة من علو 400 متر، وكلما كانت الطائرة تُلقي بواحد منهم هناك كان الهتاف يعلو وصياح الجنود يزداد.

إن الصحفي الدانمركي الشهير (كنود هولمبوي) الذي اعتنق الإسلام، قام بجولة سياحية أثناء هذه الفترة في ليبيا، فشاهد بنفسه وعينه كل التعذيب والاضطهاد الذي يقوم به الجنود الإيطاليون الفاشيست، ويقول (شاهدتُ 20 عربياً مسلسلين، شنقهم الجنود بأمر من ضابطهم دون محاكمة، هذا المنظر البشع أثر في نفسي، ولم يكن في اعتقادي أن دولة مثل إيطاليا

الفاشيستية وهي إحدى دول البحر الأبيض المتوسط تقوم بمثل هذه القسوة وهذه الوحشية، إنها جرائم سيسجلها التاريخ في صحفه السوداء، وستبقى وصمة عار في جبين الدولة الإيطالية على مدى الدهر والأزمان).

إن إيطاليا أرادت أن تَحْذُوَ حَذْوَ فرنسا في تنصير المسلمين إبَّانَ حكمها في المغرب، فقد عملت ووزعت المبشرين في طول البلاد وعرضها، وبنت العديد من المعابد والكنائس في كل المدن والقرى لتقضيَ على الدين الإسلامي، وهكذا عملت إيطاليا فقد بنت المعابد في طرابلس وبنغازي وفي كل القرى، وأمرت المبشرين بأن يسعوا بكل الوسائل لتنصير العرب مهما كان الثمن.

إن سياسة إيطاليا الفاشيستية هي القضاء على الدين والعقيدة وإبعاد المسلمين عن معابدهم ومساجدهم، وكم من مرة صرح رئيس الحكومة والحزب الفاشيستي في خطاباته بعد احتلال الكفرة بأنه عازم على تثبيت ثلاثة ملايين من السكان الإيطاليين في الأراضي الليبية الخصبة، وقد أيد هذا الرأي الكثير من السياسيين، وأبرزها ما نشره الكثير من الصحفيين على صفحات جرائدهم ومجلاتهم.

منذُ أيام قرأت في الجريدة الرسمية المرسوم الملكي القاضي بمصادرة أملاك المواطنين وأوقاف المسلمين والزوايا السنوسية وأوقافها، وبهذه الطريقة الجهنمية عملت إيطاليا الفاشيستية على تملك الإيطاليين كل الممتلكات الليبية، وبالتدرج وإبعاد الليبيين من كل المجالات، حتى تصبح ليبيا خالية من كل العناصر، ولا يبقى بها إلا الإيطالي المسيحي الكاثوليكي.

إن الكلام الصادر من الجنرال أو المارشال لم يكن إلا زوراً وبهتاناً وتضليلاً؛ لتهدئة المسلمين الليبيين، حتى تستطيع السلطات الإيطالية الفاشيستية تنفيذ أغراضها الاستعمارية، وهي أن تستحوذ على ملايين من هكتارات الأراضي الزراعية وغيرها (من أين لها هذه الأرض؟)، فالجواب

معروف، استحوذت عليها بطرد أهلها الحقيقيين، ونقلهم إلى مناطق الهلاك هم ومواشيهم على السواء، أمام أعين العالم المتمدن، وأمام عصبة الأمم المتحدة، وبالاختصار تبجح الإيطاليون بقولهم إن طرابلس وبرقة كانتا رومانيتين، فلا بد أن ترجعا رومانيتين كما كانتا، هذا هو هدف الفاشيست بدون تردد.

إننا لا نصدق ما يقولون فقد خالفوا القواعد الدولية والإنسانية، ولم ينفذوا حرفاً واحداً من تعهداتهم إلى الطرابلسيين والبرقاويين، حتى التعهدات الكتابية والاتفاقيات المبرمة بينهم وبين إدريس السنوسي، فكانت عبارة عن أكاذيب وكسب للوقت، نحن مقتنعون بأن كل ما كتبناه وأعلناه على الملأ أجمع ستكذبه السلطات الفاشيستية، وستوجد لنا مضابط لكي تدحض أقوالنا، ولكن كل ما كتبناه ثابت وصحيح ومصدره من جهة عاصرت الأحداث، وهي هيئة التحرير الليبية في دمشق، فقد أُثبتت الحوادث والاعتداءات بالوثائق الرسمية، وبالأخص احتلال الكفرة، فقد ارتكب الجنود الإيطاليون الفاشيست أبشع الجرائم باعتداءاتهم على النساء وقتلهم الشيوخ والأطفال، واعتدوا على حرمات المساجد والمقدسات، وقد ادعت إيطاليا أن كل الأعمال العسكرية التي قامت بها ما هي إلا تأديب لأُناس أعلنوا العصيان على دولتهم، وهذه حجة واهية لا يقبلها العقل، ولا تقوم بها دولة متمدينة كما تدعي إيطاليا الفاشيستية، وإنَّ الثوار في العرف الدولي لم يكونوا من العصاة على الدولة وإنما هم أصحاب حق يدافعون عنه، اغتصبه عدو دخيل.

بقي عليّ أن أختم مقالي هذا الذي كتبته؛ إني لا أريد تحريض المسلمين على أن ينتقموا من الإيطاليين الذين يعيشون معهم حاشا الله، نحن لسنا من الانتقاميين، ولا من الجهلة مثل الإيطاليين الفاشيست، وليس من شيم أخلاقنا أن نستعمل القوة على من هو أضعف منَّا، وإنَّ المسلمين لن يغيروا أبداً تراثهم الخلقي الذي ورثوه أباً عن جد.

ولكني أقترح ما هو آت:

1- على جمعية الشبان المسلمين في كل بلد أن تحتج على كـل أسـاليب الاعتداء والإجرام التي ترتكبها إيطاليا الفاشيستية في ليبيا، وأن ترسل برقية احتجاج شديدة اللهجة إلى عصبة الأمم، وأنْ تُنشر على الصحف العالمية.

2- على كل المدن والمقاطعات الإسلامية التي تتقد حماساً، والدم الساخن الذي يجري في عروقهم، أن يقدموا احتجاجاتهم إلى عصبة الأمم برقياً مستعجلاً، ونشرها جميعاً على صفحات مجلاتها وجرائدهم المحليةً.

3- على مجموعة الدول الشرقية بالقاهرة هي كذلك عليها أنْ تحتج وتندد بأعمال القمع والعنف التي تقوم بها إيطاليا الفاشيستية، وتقدمه إلى عصبة الأمم مثل الهيئات الأخرى.

4- إنَّه لابُدَّ على كلِّ الهيئات الإسلامية والعربية والشرقية بالقاهرة وسوريا والعراق والسعودية والهند وجاوا وغيرها أن تقوم بواجباتها نحو القضية الليبية.

5- عقد اجتماعات شعبية في المدن الإسلامية، لإلقاء الخطب الحماسية؛ لشرح ظلم السلطات الإيطالية الفاشيستية واستبدادها، وإلقاء هتافاتٍ بسقوط العدو الغاصب.

6- يجب على كل المسلمين أن يُقاطعوا البضائع الإيطالية والسفن وكل الوسائل والأعمال، وكل شيء يحمل اسم إيطاليا، وقطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك تكوين لجان شعبية خاصة بمراقبة مقاطعة البضائع الإيطالية.

7- طبع منشورات وكتيبات تبين فيها تصرفات إيطاليا الفاشيستية

واضطهادها للشعب الليبي، ويكون طبعها كـذلك باللغـة الإنجليزيـة والفرنسية والألمانية والإيطالية، ويكون توزيعها بالآلاف في أوروبـا وفي كل العالم، ومن واجب كل مسلم أن يقوم بإلصاق هذه المنشورات في كل الشوارع والميادين، وتوزيع الكتيبات في كل مكان من العالم، كذلك على كل مسلم أن يُعلق في بيته بعض هذه المنـشورات؛ حتـى لا ينسى ما يُعانيه الشعب الليبي من اضطهاد وتعذيب.

أيها المسلمون!

لا تقولوا: إنَّ هذا حدث في طرابلس وليبيا فقط وإنما الليبيون الشرفاء طعنوا في شرفهم، وفي دمائهم، وفي دينهم، وفي أموالهم وممتلكاتهم، كـذلك سيحدث لكم أنتم مثل هذه المأساة، وسيحل بكم العذاب كمـا حـل بـالليبيين الشرفاء، إذا لم تدافعوا عن أنفسكم، إذا لم تبينوا أنفسكم بأنكم أحياء.

أيها المسلمون!

في الوقت الحالي لن تستطيعوا الدفاع عن أنفسكم، وبسلاحكم فقـط بـل سخروا أقلامكم، وكذلك باجتهادكم وبصبركم على المكائد؛ لتدافعوا عن كيـانكم وعن أرضكم وعن مقدساتكم، وأثبتوا للعالم بأنكم شعبٌ يعرف كيف يُقاوم.

لوزان 12 ذي القعدة

7 أبريل 1931م.

شكيب ارسلان[(1)]

لقد نشرنا هذا البيان رغم طوله؛ لما تضمنه مـن اتهامـات لإيطاليـا وفضح أعمالها اللاإنسانية، وإجراءاتها الوحشية ضد الشعب الليبي، وقد توزع

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص249 – 257.

البيانُ في معظم البلاد العربية، واطلعت الأمة العربية على مبلغ المأساة التي يجتازها الشعب الليبي؛ دفاعاً عن أرضه وكرامته.

وقد تباهى غرازياني بنشر البيان في كتابه الذي أصدره بعد نهاية الثـورة؛ ليُظهر للإيطاليين مدى الصعوبات التي كان يواجهها في الداخل وفي الخارج، وأن الثورة الليبية كانت تؤيدها جميع الشعوب العربية، وهو في نفس الوقت يعتقـد أن نشره للبيان يدلُ على أن ما جاء فيه أكاذيب وأراجيف لا تخشاها إيطاليا.

وقامت في نفس الوقت (لجنة التحرير الليبية) بدمـشق التـي كـان يترأسها المجاهدان بشير السعداوي وعمر شنيب بتوزيع بيانٍ عن الأوضـاع المأساوية في ليبيا، وذلك على حجاج بيت الله في ذلك العام، وكانت هذه أول مرة يُوزع فيها بيانٌ سياسي على الحجاج، وقد كان له تـأثيره البـالغ بـين الحجاج أنفسهم، وفي البلاد العربية قاطبةً، والغريب في الأمر أن الإيطاليين الذين حكموا ليبيا ثلاثين عاماً لم يتوصلوا إلى فهم الأسباب التـي قـاومهم الشعب الليبي من أجلها ورفض وجودهم، فقد عشش في أذهانهم الاعتقاد بأن ليبيا أرضهم،و قد استردوها كما استرد الأسبان الأندلس، وكانوا يـستغربون ويُدهشون من القول بأن الليبيين كانوا يدافعون عن حريتهم ووطنهم، وسادهم الاعتقاد بأن الحرب القائمة هي نتيجة تحريض المـشائخ والأعيـان الـذين اعتُبروا المسؤولين عن الثورة واستمرارها، وقد أُبعد وسُجن وقُتل معظمهم، وظلت الثورة مستمرة بدونهم، ولذلك عندما قامت الحملة ضدهم في الـبلاد الإسلامية استغربوها واستنكروها؛ لأن غرورهم أعماهم عن رؤية الواقـع، وإدراك قوة الرابطة الروحية والتضامن الذي أرسى قواعَده الإسلامُ.

وأزعجت الحملة الإسلامية وزارة المـستعمرات الإيطاليـة والقـادة العسكريين في ليبيا، الذين استبد بهم القلق والغـضب واعتبـروا أن البيـان المذكور قد بالغ في اتهاماته وتجنيه على إيطاليا، وأراد غرازياني أن يُبـدد الشعور السيئ الذي أحدثته حملة التضامن الإسلامية مع الشعب الليبي مـن

جهة، وإظهار عدم مبالاته بما كُتب وقيل في هذه الحملة، فأمر جريدة (بريد برقة) التي كانت تصدر في بنغازي أن تتولى الرد على البيان المذكور، وتفند ما جاء فيه من اتهامات وتهجمات على إيطاليا.

وقد قام صاحب الجريدة بنشر البيان الذي وزع على الحجاج في مكة بالصفحة الأولى من الجريدة، ثم تولى التعليق عليه بما كان يُرضي الحُكام الإيطاليين، وقد استطاع الليبيون الإطلاع على البيان وعلى ما حواه من اتهامات صريحة لإيطاليا، واستنكار الأعمال ألاإنسانية ضد الشعب الليبي، وتضامن العالم الإسلامي معه، وهذا نص البيان:

(بيان من مسلمي طرابلس وبرقة إلى حجاج بيت الله وإلى كل الأخوة في البلدان الإسلامية.

الله أكبر،،، تُسفك الدماءُ ويُعتدى على حرمات المسلمين، وتهانُ المقدساتُ بدون حق.

الله أكبر،،، تغتصب الأراضي، تنهب الأموال وتزهق الأرواح ظلماً وعدوناً.

الله أكبر،،، يُهان كتابٌ مقدس يؤمن به (500) خمسمائة مليون مسلم في العالم، هذا الكتاب هو القرآن؛ كتابكم المقدسُ أيها المؤمنون، يضحك على رسوله على رسالتهِ التي جاءت لخير كل البشرية منذ أربعة عشر قرناً، هذا الرسول هو محمد بن عبد الله رسولكم أيها المسلمون.

إن الاعتداءات الهمجية والوحشية التي ترتكبها إيطاليا الفاشيستية في طرابلس وبرقة ضد الشعب الليبي المسلم؛ لأنه بين يدي ذئاب متوحشة متحملاً كل المصائب والتعذيب التي تقوم بها دولة إيطاليا الفاشيستية، التي تدعى المدنية وحضارة البحر الأبيض المتوسط، وفي حقيقة ما هي إلا دولة غاشمة استعملت كل وسائل التهديد والتعذيب كأنها في عهد القرون الوسطى.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

إن أخوتكم في تلك الأراضي يعانون متاعب كثيرة، ولا يطلبون المستحيل بأن تمدوهم بالمال والرجال والسلاح، وإنما يُطالبونكم بما نص عليه الكتاب المقدس (القرآن الكريم) وهو الجهاد في سبيل الله، وواجب على الأخ أن يساعد أخاه قدر إمكانياته، وأنتم أيها المسلمون بإمكانكم أن تعلنوا احتجاجكم ضد هذا العدوان الغاشم، وأن تصرخوا في وجوه الفاشستيين المتغطرسين.

لماذا؟ وإلى متى؟ أنتم سكوت؟ بينما أخوتكم في ليبيا يقتلون ويشردون، ماذا جنى هؤلاء الضعفاء؟

و هذه هي سياسة المستعمر عندما يتحكم في رقاب الشعوب.

إن الشعب الليبي الطرابلسي البرقاوي منذُ أكثر من عشرين سنة يُدافع عن وطنه ودينه وشرفه بقوة الحق والإيمان، إن المليون أو المليون ونصف يقاتلون ضد 45 مليوناً لم يكن بالشيء السهل، ولكن الشعب الليبي قاوم بكل بسالة سنين طويلة، مبرهناً للعالم على مدى تضحياته ومواقفه المشرفة أثناء مقاومته للعدو الغاصب.

هذه هي أعمال إيطاليا الفاشيستية أيها المسلمون عامة، وحجاج بيت الله خاصة، كل ما اقترفته إيطاليا الفاشيستية من همجية ووحشية تقشعر منها الأبدان منذُ البدء في الاحتلال لهذا البلد المسكين، لم يتركوا أية وسيلة بشعة لإذلال هذا الشعب إلا اتخذوها طريقة لإثبات وجودهم، فاستعملوا قوتهم بشدة وعلى كل الوجوه نحو الشعب الليبي الذي لم يحنِ هامته أمام الظلم والاستبداد دون شفقة أو رحمة للأطفال والشيوخ، كم من هؤلاء الرجال جمعوا وقيدوا ثم قُتلوا رمياً بالرصاص، كم من الأبرياء شُنقوا وتركوا معلقين لمدة طويلة على أعواد المشانق، تعصف بهم الرياح يميناً وشمالاً، وبهذه الأعمال المفزعة يلقون الرعب في قلوب البائسين، ولم يتركوا أية وسيلة باعثة للإجرام إلا ارتكبوها لتعذيب هؤلاء الأبرياء.

في العام الماضي طردوا ما يزيد عن ربع مليون نسمة من أراضيهم، وقد ضاع الكثير منهم نتيجة التشريد والتقتيل والمــرض والعطــش أيــضاً، وأخيراً جمعوا (80) ثمانين ألف من العرب المسلمين البرقاويين في أرض صحراوية جرداء، وهي منطقة (العقيلة) شرقي خليج سرت، وهناك قُضي على جميع حيواناتهم من عدم وجود الكلأ، وقد تفشت الأمراض بين صفوفهم فكانوا يموتون كل يوم بالعشرات بل بالمئات.

كذلك من أنواع التعذيب، أنْ يُلقى الرجال من الطائرات من علو (400) متر فيصل المحكوم عليه إلى الأرض أشلاء مفككة.

هذه هي حضارة القرن العشرين التي تدعيها إيطاليا الفاشيستية، فكانت تجمع الناس ليشاهدوا هذه المناظر المؤلمة، ويقولون لهم : (ليــأت نبــيكم البدوي محمد الذي يحثكم على الجهاد حتى ينقذكم من هذا العذاب، ويخلصكم من أيدينا)، وعلاوة على هذا فسجون طرابلس وبرقة والجزر الإيطالية مليئة بالوطنيين الأبرياء الشرفاء الذين لا ذنب لهم إلا أنهم وطنيون وأصحاب حق، وإن أكثرهم ماتوا من الجوع والجهد الشاق.

وأخيراً أثناء احتلال الكفرة قاعدة الطريقة السنوسية قتلوا 70 عائلــة؛ رجالَها ونساءها وأطفالها، وعاملوا النساء معاملة يخجل الإنسان من ذكرها.

لقد أرغموا النساء على أن يتزوجن من الضباط، وحَوَّلُوا المساجدَ إلى مكاتب وإسطبلات، وأوقدوا النيران بالكتب والمصاحف.

وكان الحاكم العسكري بطبرق قد أمر بجمع المسلمين فــي الميــدان العام، وأخذ القرآن ورماه على الأرض، ثم أخذ يدوسه برجليه قائلاً: (أنــتم المسلمون لن تكونوا أبداً بشراً ما دام هذا الكتاب بين أيديكم).

إن عدم احترامهم للدين الإسلامي والقرآن وصل إلى تأليف أناشيد وأغانٍ تعني الحط من مكانة الدين والقرآن، وتحث الجنود على إزالة معالمهــا، وهــذه أيها المسلمون إحدى الأغاني، وعنوانها : وداع فاشيستي لأمه، ومطلعها :

صلي يا أمي ولا تبكي بل اضحكي ألا تعلمين أن إيطاليا تناديني.

أنا ذاهب إلى ليبيا مطمئن من أجل أن أبذل دمي حتى أقضي على ذلك الشعب الملعون، وسأقاتل بكل قواي حتى أمحو القرآن، ولا تنظري للحزن من أجل ابنك، وكل من يسألك عن السبب أجيبي أنه مات مقاتلاً ضد الإسلام.

أيها المسلمون حجاج بيت الله الحرام، أقرؤوا هذه الأغنية وأفهموها جيداً، واعلموا أنكم أمام الله وقرب بيته المقدس، وكيف يكون الله راضياً عنكم إذا كانت الديانة محتقرة، وغير محترمة وأن أخوانكم في طرابلس وبرقة مضطهدون ومعذبون ويعاملون كالحيوانات دون احترام ومساواة متحملين ما لا يتحمله الحيوان.

أيها الناس لقد أصبح إخوانكم في الإسلام لقمة سائغة إلى كل أكول، وبسبب العمال يصبحون أذلاء للفاشيستين.

وفي الحديث الشريف للرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى).

لماذا لا تحسون حالة إخوانكم وما يعانون من اضطهاد وتعذيب؟ لماذا لا تتحمسون لقضيتهم وتعاونهم ولو بمقاطعة البضائع الإيطالية وهو أضعف الإيمان، وكذلك احتجاجاتكم على سياسة القمع التي تنتهجها الدولة الإيطالية الفاشيستية الغاشمة في طرابلس وبرقة؛ حتى يشعروا بأن الشعب الليبي أخوة لنا نحُس بإحساسهم، ونتألم لآلامهم،هذا التظاهر لا يُكلفكم شيئاً، ولكنه يخفف عن إخوتكم في ليبيا ضغط المستعمرين وظلمهم.

10 ذي الحجة 1349 الموافق 28 ابريل 1931م.

الشعب الليبي المغلوب على أمره)[1]

(1) بريد برقة ، 3 مايو 1931م.

وقد كان تأثير هذا البيان قوياً، فقد رفع معنويات العرب الليبيين، وشعروا بأن لهم إخوة خارج ليبيا يُشاطرونهم مأساتهم وآلامهم، ويُعرّون إيطاليا ويظهرونها على حقيقتها أمام الضمير العالمي.

وقد أفادت هذه الحملة الإعلامية العربية في إطلاع الشعوب العربية والعالم أجمع على ما ارتكبته وما زالت ترتكبه إيطاليا من أعمالٍ إجرامية لا تمتُ إلى البشرية بصلة، وطالبت الصحف العربية بمقاطعة البضائع الإيطالية والمدارس والسفن الإيطالية وكل ما له علاقة بإيطاليا.

وقد اشتد انزعاجُ موسوليني وحكومته من هذه الحملات المتكررة ضد إيطاليا، ومن عجز القوات الإيطالية لوضع حدٍ لهذا الوضع.

وعلق غرازياني غاضباً ومحتداً على الحملة الإعلامية العربية، فكتب يقول : (إن الحركة السنوسية هي التي قامت بنشر هذه البيانات نظراً لحقدها وغضبها، فأرادت أن تقوم بهذا العمل ضد الحكومة الإيطالية الفاشيستية.

إنني هنا أرفض هذه الحملة الإعلامية ضدنا وضد سياستنا إذ لم تكن صادرة من ينابيع إسلامية صحيحة معروفة لدى المفكرين الحقيقيين، وإنما الذي يغذيها ويدفع لها الثمن هيَ السنوسية نفسها؛ لتحافظ على كيانها على هذه الأرض.

ولكن أحسن جواب للعالم الإسلامي على هذه الحملة الإعلامية هي دعوة شخصيات مسئولة فيه ؛ ليشاهدوا بأعينهم مدى تقدم طرابلس وبرقة في كل الميادين الاقتصادية والاجتماعية، كذلك معاملة الحكومة للسكان المحليين واحترام دينهم ونسائهم وعاداتهم وتقاليدهم، كلها معتبرة ومحترمة، وفوق كل هذا رفع مستواهم معنوياً ومدنياً في كل المجالات)[1].

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص262.

وقد ردت حكومة المستعمرة على البيان المذكور بقولها:

(ردودنا على بيان الثوار للعالم الإسلامي.

بمناسبة آخر موسم حج وزع باسم الثوار الليبيين منشورات كاذبة ضد سياسة دولتنا في طرابلس وبرقة (ليبيا)، وهيَ نداء إلى المسلمين حجاج بيت الله.

إن هذا النداء إن دل على شيء فإنما يدل على أيْدٍ آثمة أرادت أن تسطر علينا كل ما من شأنه زور وبهتان، وهو صادر عن أناس كان في برنامجهم السيطرة على هذه البلاد، ليبيا المسكينة فابتعدوا عنها وتركوها،و أصبحوا يندبون حظهم؛ لكي يظهروا وطنيتهم الكاذبة، ويبرئوا أنفسهم من الذي جلبوه على هذا الشعب المسكين الذي ذاق منهم الأمرين.

فيبْدَؤون نداءَهم بكلام معسول وهو: الله أكبر، يُسفك الدم، ويُهان الشرف، وتُنتهك الحرمات والنساء بغير حق.

الله أكبر، تغتصب الأراضي، تنهب الأموال وتزهق الأرواح ظلماً وعدواناً.

الله أكبر، يُهان كتاب يقدسه ويؤمن به 400 مليون من البشر، هو القرآن الكريم كتابكم المجيد أيها المؤمنون.

إن اعتداءات الإيطاليين المتوحشة على شعب ليبيا طرابلس وبرقة لهو أبشع عمل قامت به دولة تُعد من دول البحر الأبيض المتوسط، حوض مدنية القرن العشرين.

وإني لا أريد بردودي هذه أن أجعل أهمية لذلك النداء الذي لم يصدر إلا من أُناس لا يمتون لليبيا بأية صلة، وإن محتوياته كلها زيف وكذب ضد الحكومة الإيطالية الفاشيستية.

غير أنه نريد أن نوضح ونقارن حالة البلاد الليبية بالنسبة للعالم

الإسلامي، وعلى ما أعتقد أن أخبار أبنائه في ليبيا لم تصله على حقيقتها بل كلها مشوهة ومزيفة من أناس لا هم لهم إلا بذر الخلاف وإثارة الفتن لكي يحتفظوا بمكانتهم وزعامتهم ومصالحهم الخاصة على حساب هذا الشعب المسكين.

وأظن أن حجاج بيت الله في هذه السنة لاحظوا العناية التامة من الحكومة الإيطالية الفاشيستية، وما يتمتع به الحجاج الليبيون أكثر وأكثر من السنين الماضية.

فقد كانت الحكومة الإيطالية الفاشيستية تصرف وتدفع من خزينتها الخاصة لا من أموال الأوقاف، فهي دائماً تعمل على رفاهية الشعب، وعلى ازدهار البلاد، وهذا ليس كما يعتقد الآخرون)[1].

بلغت الصفاقة حدها بغرازياني الذي ادعى أن كل ما كتبته الصحف العربية كذب في كذب، وأن الشعب الليبي يعيش في حرية وخير وازدهار، وأنه سيدعو شخصيات عربية للإطلاع على الأوضاع في ليبيا، من أجل تكذيب ما نشرته الصحافة العربية.

حبذا لو أن غرازياني دعا فعلاً شخصيات عربية للقدوم إلى ليبيا، لرؤية أوضاع الولاية التي يحكمها، ماذا لديه ما يريه، هل سيريهم نصف البلاد الممتدة من الحدود المصرية إلى توكرة بقرب بنغازي خاليةٍ من البشر والحيوانات، وذلك باستثناء الشريط الساحلي الذي تقع عليه طبرق ودرنة وسوسة وبنغازي، هذه الأرض التي كانت مصدر ثروات شعب برقة ومفخرته، أصبحت ساكنة سكون الأموات، لا يُسمع فيها إلا طلقات الرصاص والمدافع وقنابل الطائرات، وهي الحرب بين المجاهدين والإيطاليين، هل سيطلعهم على المعتقلات التي سجن فيها نصف سكان برقة، أو على قبور أمواتهم الكثيرة، أو على حالة البؤس والجوع والمرض التي

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص262 - 264.

يُقاسونها، أو هل سيطلع غرازياني ضيوفه على الكفرة، وعلى ما وقع فيها من جرائم وأعمال وحشية ضد السكان العزل وضد الناس الذين فروا من وجه إيطاليا قاصدين التشاد ومصر، أو هل سيطلعهم على معتقل بنينا الذي حشد فيه عدد كبير من أعيان ورجال ومفكري بنغازي ودرنة ومشائخ القبائل، أو هل سيطلعهم على ما ارتكبته المحكمة الطائرة من جرائم وأحكام إعدام بالمئات ضد الليبيين، فما هي الأعمال الطيبة والحسنات التي قام بها غرازياني لكي يثبت لضيوفه أن ما نشرته الصحف العربية مجرد أكاذيب.

ومع ذلك لم يدعُ غرازياني أية شخصية عربية لزيارة برقة؛ لأنه كان متأكداً من أن كل ما نشرته الصحف العربية كان صحيحاً.

لقد أثرت الحملة الإعلامية التي قامت بها الصحف العربية في إيطاليا وفي سمعتها وفي علاقاتها بالعالم العربي والإسلامي، وهو الأمر الذي ستكون له ردود فعل لدى الحكومة الإيطالية سنأتي على ذكرها فيما بعد.

مواصلة القتال في الجبل الأخضر:

رغم بناء الأسلاك الشائكة وزيادة القوات الإيطالية والطيران بمنطقة الحدود، إلا أنَّه تواصلت العمليات الحربية بين عمر المختار والقوات الإيطالية كعادتها، وقد استعان غرازياني بعاملٍ جديد في حربه ضد المجاهدين وهو تجنيد عددٍ كبيرٍ من الجواسيس؛ لتتبعُ خطوات المجاهدين، ويقول غرازياني في هذا الصدد: (لقد لجأت الحكومة الإيطالية إلى تجنيد عدد كبير من الجواسيس الخبيرين بمسالك الجبل الأخضر، فالقوات الإيطالية كانت تعمل دائماً على الوسط السياسي الذي كانت تعمل فيه، وفي السابق عندما كان السكان لا يزالون في الجبل، وكان بجانب كل مجموعة يقيم موظف حكومي يختص بالجانب السياسي، فكان يجمع الأخبار ويقيمها ويرسلها إلى المتصرف، الذي كان يرى ما إذا كان ذلك ضرورياً تدخل

الجيش، هذا وتوجد بكل قوة متحركة مجموعة من المخبرين؛ خبيرين بمنطقة كل مجموعة، والمناطق المجاورة لها، وقد اختير هؤلاء المخبرون من بين أولائك الذين أثبتوا ولاءهم لإيطاليا، وجندوا بنفس شروط الجنود الإرتريين، ومجموعة المخبرين هذه تولت قيادتها متصرفية الجبل، وكانت مهمة المخبرين اقتفاء أثر الثوار دون الابتعاد عنهم، وكانوا خبريين بمسالك الجبل،و بعادات الثوار وضرورياتهم، ومنابع المياه والمراعي الأكثر استخداماً، ويعرفون مواقع تخزين الحبوب، وكانوا يعرفون بصور عامة أين يتوجهون بعملهم في منطقة محددة)[1].

وقد لجأ غرازياني إلى هذه الوسيلة كآخر عملٍ يعتقدُ أنه سيساعده على القضاء على الثورة، وقد كلف أتباعه بالبحث في المعتقلات وفي السجون عن الأشخاص الذين لهم خبرة بمسالك الجبل وطبيعته، وكان عددهم كبيراً يُقارب المائتين، وقد زودهم بأسلحة حديثة، ووعدهم بمكافآت مالية كبيرة.

وكان الطيران يُساهم في عمليات اكتشاف المجاهدين، ويبعث بالمعلومات إلى السلطة التي تقوم بدورها بإرسال الجواسيس؛ للتأكد مما ذكره الطيران، وعند التأكد من ذلك تتحرك القوات الإيطالية لمهاجمة المجاهدين في المواقع التي ذكرها الطيران والجواسيس، لتدور المعارك الحامية بين الطرفين ولتعود بعدها القوات الإيطالية إلى قواعدها بدون الحصول على النتيجة المرجوة.

بالرغم من بناء الأسلاك الشائكة فقد كان المجاهدون يهاجمونها ويقطعونها ويدخلون مصر بعد معارك دامية مع القوات الإيطالية التي تُراقب هذه الأسلاك، وعندما صعب الحصول على المؤن باجتياز الأسلاك الشائكة أخذ المجاهدون يوجهون قوافلهم في اتجاه الجغبوب وسيوة، وكانوا يفلتون

---

(1) غرازياني ، السلام الروماني في ليبيا ، ص335.

من الرقابة العسكرية المفروضة على المنطقة، وظلَّ المجاهـدون صـامدين يواجهون القوات الإيطالية حيثُ ما عُثر عليها، ويردون هجماتهـا الكبيـرة، ومحاولات تطويقهم المستمرة، وقد أدرك بادوليو وغرازياني أنهما بعد جميع الإجراءات الإجرامية التي اتخذاها ضد السكان، وبعد احتلال الكفرة، وإغلاق الحدود بالأسلاك الشائكة، وقطع جميع الإمدادات عن المجاهدين، وحصارهم المستمر، فإن عمر المختار لا يزال قوياً يواجـه قـواتهم بـصلابة وقـوة، ولا يزال يلحق بهم الخسائر، وقد شعر الرجلان بأنهما قد عجزا عن القضاء على الثورة، وعلى تحقيق ما وعدا حكومة إيطاليا مما دعاهما إلى التـشاور في الأمر، ودراسة الأوضاع العسكرية على مختلف أوجهها، فأدركا أنهما لم يعد لديهما ما يفعلانه من جديد ضد عمر المختار، وأنه لو استمر في مقاومته بضعة أشهر أخرى فهذا معناه فشلهما فـي مهمتهمـا ، وتـدمير هيبتهمـا العسكرية وسمعتهما؛ ولذلك قاما ببذل آخر مجهودات عسكرية لديهما، فـدفع غرازياني بجميع قواته ومدرعاته وطيرانه وجواسيسه في أثر المجاهـدين؛ ليلاحقونهم ليل نهار حتى يشعروا باستحالة مقاومتهم؛ فيستسلموا إلى القوات الإيطالية أو يهاجروا إلى مصر.

وكان المجاهدون في هذه الفترة يمرون بأقـصى مرحلـة فـي حيـاتهم الجهادية، لقد كانت الدوريات تتبعهم من مكان إلى آخـر،و كـان الجواسـيس يلاحقونهم ويعطون أخبارهم إلى القوات الإيطالية، فكانوا لا يلبثون فـي مكـان واحد سوى ساعات قلائل، ثم يغيرون مواقعهم، وقد قل طعامهم، وقلت راحتهم، وقلت ذخيرتهم،و تناقص عددهم بعد سقوط الشهداء، وكـانوا يغيـرون علـى الحاميات والمراكز الإيطالية، ويستولون على ما لديها من مؤن وأسلحة وذخيرة.

وظلت طريق جنوب الجغبوب هي الطريق الباقية لهـم للوصـول إلـى مصر، وحدث أن الطائرات الإيطالية اكتشفت قافلة للمجاهدين كانت متجهة إلى مصر، لحقت بها ودمرتها قُرب الحدود المصرية، وقد أُغلق هذا المنفذ الأخيـر

الذي كانوا يحصلون منه على القوت والذخيرة، إلا أنهم مع ذلك وبقيادة البطل عمر المختار قرروا الجهاد إلى النهاية، و لن يستسلموا لإيطاليا أبداً.

وكان هذا القرار سر قوتهم واستمرارهم في القتال حتى ظن الإيطاليون أنهم ما زالوا أقوياء، ويحصلون على مؤنهم وذخيرتهم، إلا أن الإيطاليين كانوا يعلمون أن عددهم في تناقص، وأنهم لا يتجاوزون في ذلك الوقت من 600 إلى 700 رجل.

زيارة الحاج محمد أسد إلى عمر المختار:

كان السيد أحمد الشريف السنوسي قلقاً على وضع المجاهدين في ليبيا، وكان يُحاولُ أن يساعدهم بما أوتى من قوة، وكان يبعث إليهم بين والحين والآخر بما يجمعه من أموالٍ تدرها الأوقاف السنوسية بمكة، وقد طلب من صديقه الحاج محمد الأسد - الهولندي المسلم الذي برز اسمه وعمله في البلاد الإسلامية كأحد رجالها الخيّرين - طلب منه السفر إلى ليبيا، والإطلاع على أوضاع المجاهدين، والاتصال بعمر المختار، وكانت الرحلة غير سهلة إطلاقاً، وكانت محفوفة بالمخاطر، إلا أن الحاج محمد أسد قبل القيام بالمهمة عن طيب خاطر،و سافر إلى ليبيا يصحبه رجل ليبي خبيرٌ بالطريق.

ونترك للحاج محمد أسد وصف رحلته الشاقة هذه، ومقابلته لعمر المختار كما نشرها في كتابه (الطريق إلى مكة): (وبعد أربع ليالٍ أُخرى وصلنا إلى وادي الثعابين حيث كان علينا أن نجتمع بعمر المختار، وبعد أن اختبأنا في وادي صغير تكتنفه الأشجار الكثيفة، وعقلنا خيولنا تحت بعض الصخور جلسنا ننتظر مجيء أسد الجبل الأخضر، وكان الليل قارصاً شديد الظلمة، يخيم عليه صمت عميق، وبعد انتظار بضع ساعات، سمعنا حفيف أغصان بين أشجار العرعار واصطدام نعل خفيف بحجر، وانتصب رفيقي واقفاً وأمسك بندقيته بيده وحدق في الظلام، وخرجت من الأجِمة صيحة أشبه

بعويل ابن آوى، فما كان من عبد الرحمن إلا أن كور يده أمام فمه، وأجاب بصوت مماثل، وعندئذ ظهر أمامنا شخصان مسلحان بالبنادق، وعندما اقتربا قال أحدهما: (في سبيل الله)، وأجاب عبد الرحمن (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فعرفت أنها كلمات السر التي يستعملها المجاهدون، ووقفنا منصتين، وبعد حوالي عشر دقائق سمعنا حفيف الأغصان مرة ثانية بين أدغال العرعار، وبرز ثلاثة رجال كل منهم من جهة، وأخذوا يقتربون منا وبنادقهم مصوبة إلينا، وبعد أن اقتنعوا بأننا كنا فعلاً من كانوا يتوقعون رؤيتهم، عادوا واختفوا ثانية في الأجِمة، وفي جهات مختلفة أيضاً، لقد كان واضحاً أنهم كانوا ينوون حراسة زعيمهم، والإشراف على سلامته، وما لبث عمر أن جاء على جواد صغير لُفت حوافره بالقماش، وكان يُحيط به رجلان من كل جانب ويتبعه كذلك عدد آخر، وعندما وصل إلى الصخور التي كنا ننتظر عندها ساعده أحد رجاله على النزول، ورأيتُ أنه كان يمشي بصعوبة، (عرفت بعد ذلك أنه قد جرح إبان إحدى المناوشات قبل ذلك بعشرة أيام تقريباً)، وعلى ضوء القمر المشرق استطعت الآن أن أراه بوضوح، كان رجلاً معتدل القامة قوي البنية ذا لحية قصيرة بيضاء كالثلج تحيط بوجهه الكئيب ذي الخطوط العميقة، وكانت عيناه عميقتين، ومن الغضون المحيطة بهما كان باستطاعة المرء أن يعرف أنهما كانتا ضاحكتين براقتين في غير هذه الظروف، إلا أنهما لم يكن فيهما غير الظلمة والألم والشجاعة، اقتربت منه لأحييه وشعرت بالقوة التي ضغطت بها يده على يدي.

مرحباً بك يا بني، قال ذلك وأخذ يجيل عينيه فيّ متفحصاً، لقد كانتا عيني رجلٍ الخطرُ قُوته اليومي، وفرش أحد رجاله حراماً على الأرض، وانحنى عبد الرحمن ليقبل يده، ثم شرع بعد استئذانه يوقد ناراً خفيفة تحت الصخرة التي كنا مجتمعين بها، وعلى ضوء النار الخافت قرأ سيدي عمر الكتاب الذي حملنيه السيد أحمد إليه، ثم التفت إلي وقال: لقد أطراك السيد

أحمد في كتابه، أنت على استعداد لمساعدتنا، ولكن لا أعلم من أيـن تأتينـا النجدة، إلا من الله العلي الكريم، إننا حقاً على وشك أن نبلغ نهاية أجلنا، فقلت إذا أمكن تدبير الحصول على المؤن والذخائر من الكفرة بصورة ثابتة، أفلا يمكن صد الإيطاليين؟ لم أر في حياتي ابتسامة تدل على قدرٍ من المـرارة واليأس كتلك الابتسامة التي رافقت سيدي عمـر ، لقـد خسرنا الكفـرة والإيطاليون احتلوها منذُ أسبوعين تقريباً، إنك تستطيع أن ترى يا ابني أننـا اقتربنا فعلاً من نهاية أجلنا، ثم أضاف كأنه يجيب على السؤال الذي كانـت تنطق به عيناي: (إننا نقاتل لأن علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت، ونحن ليس لنا خيـار غيـر ذلـك، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾، لقد أرسلنا نساءنا وأولادنا إلى مصر كـي نطمـئن علـى سلامتهم متى شاء لنا الله أن نموت)[1].

وعلى الرغم من الأوضاع اليائسة التـي وجـد فيهـا محمـد أسـد المجاهدين، فقد تواصل الجهاد وقتال الإيطاليين ومهاجمتهم وإلحاق الهـزائم بهم لفترة طويلة أخرى كانت من أقسى الفترات التي قضاها المجاهدون فـي قتال إيطاليا، رغم احتلال الكفرة وبناء الأسلاك الشائكة واعتقـال الـسكان وجميع الإجراءات القمعية الأخرى التي اتخذتها إيطاليا.

وقد واصل المجاهدون وهم في حالتهم اليائسة هذا القتال ضد القـوات الإيطالية، التي كانت تُلاحقهم في كل مكان عن طريق الجواسيس الخبيـرين بمسالك الجبل الأخضر، وبمواقع الثوار والذين كـانوا يُـشعرون القـوات الإيطالية بوجود أية مجموعة من المجاهدين في أحد المواقع فتهب القـوات الإيطالية للقضاء عليها.

---

(1) محمد أسد ، الطريق إلى مكة ، ص202.

وعلى الرغم من هذا العنف الإيطالي في ملاحقة المجاهدين، فقد ظلوا مرفوعي الرؤوس، يواجهون عدوهم بقوةٍ وصمود، ويُلحقون به أحياناً الهزائم.

وقد شعرت الإدارة المركزية الإيطالية بعجز بادوليو وغرازياني عن القضاء على الثورة في الموعد الذي حُددَ لهما، وهو مدة عامٍ واحد، وزادت حملة الصحف العربية والإسلامية من الضغط على الحكومة الإيطالية التي أرادت التخلص من هذا المشكل بأية طريقة، وفي الوقت الذي كانت لا تزال تدورُ المعارك حامية بين المجاهدين والقوات الإيطالية أمرت وزارة الخارجية الإيطالية بإيفاد مندوبٍ عنها، وهو الوزير المفوض (ماريو مورينو) إلى القاهرة؛ للاتصال بالزعامة الليبية، وبحثِ إمكانية وجودِ وسيلةٍ لوضع حدٍ للقتال ما بين الطرفين، واتصل المبعوث الإيطالي بالزعامة الليبية، وبدأ معها المباحثات، وتلقى شروطها، وعاد إلى إيطاليا؛ ليحيط الحكومة علماً بما تم.

وكان غرازياني في تلك الفترة يجتازُ حالة نفسية صعبة بسبب عجزه عن القضاء على ثورة عمر المختار كما وعد بذلك حكومته، وانتظرت منه الوفاء بالعهد، وقد قرر السفر إلى إيطاليا بناءً على استدعاء الحكومة المركزية له، أو رغبةً منه في الاستجمام، وقد قرر بعد وصوله روما السفر إلى باريس؛ لزيارة المعرض الاستعماري وللاستجمام، ولا نعتقد أن غرازياني يتركُ موقعه في أشد الظروفِ حاجة إليه ويُسافرُ لزيارة باريس إلا إذا كان مرغماً على ذلك، إلا أن القدر شاء غير ذلك، وتحصل غرازياني على ما كان يُريد صُدفةً دون عناء، حيث وقع البطلُ عمر المختار أسيراً في قبضةِ القوات الإيطالية يوم (11 سبتمبر 1931م).

وقد بلغ المجاهدون في شهر أغسطس حالة من الإرهاق، والصعوبة، والضعف، وبالتالي تدهورت قدرتهم على الصمود أكثر مما أبدوه، ولم يمر على عمر المختار وضع كهذا حيث أثار انتباهه وقلقه، وظهر هذا القلق في الرسائل التي كان يبعث بها إلى مصر، والتي وقع بعضها بيد الإيطاليين،

فالمحفوظات الإيطالية ما زالت تضم بعض الرسائل التي كان يبعث بها، في عدة مناسبات، إلى زعماء برقة اللاجئين إلى مصر، التي أشرنا إلي بعضها فيما سبق، وقد حجزت القوات الإيطالية عدداً من الوثائق والرسائل التي كان يبعثها عمر المختار إلى أمراء ووجهاء مصر، وكبار الليبيين، وكانت هذه الرسائل تنم عن الحالة اليائسة التي كانت تمر بها المقاومة، ونجد بين هذه الرسائل رسالة بتاريخ (22 أغسطس 1931م) موجهة إلى أحد أمراء العائلة المالكة المصرية، يعرب فيها عمر المختار عن سخطه (على أعمال البطش الفظيعة ضد المسلمين الضعفاء في ليبيا)، (والويلات والمحن التي يتعرض لها الرجال والنساء والأطفال، حتى في أرزاقهم)، ويشير إلى الحالة التي آلت إليها جماعة من المسلمين، (وكيف أنهم ظلوا يعيشون على مدى يُقارب العشرين عاماً، في حالة بائسة من الجوع والعطش والحرمان من أشياء ضرورية أخرى، دون أن يستجيب أحد لأنينهم أو يرحمهم، إلا الله عز وجل، والناس الأتقياء الذين يخافون الله، وأبطال الحكومة المصرية، وزعماء مصر العرب، والغيورون على قضية الإسلام العظيم).

وفي رسالة أخرى موجهة إلى شخص يدعى (الوريدي) يعرب عمر المختار عن الحسرة والمرارة التي تغمره، بصراحة عن نوع التضامن الذي حصل عليه بالفعل بشأن قضية المقاومة:

(إنكم تحيطونني علماً بنبأ مفاده أن بعض الأشخاص الذين يذهبون إلى هناك (مصر) يبدون أسفهم لما يمر بنا في الوقت الحاضر، إن الأسف والحسرة وحدها لا تكفي لوصف ما نحن فيه، وبالأحرى بمن يطلع على الوضع الذي وصلنا إليه، أن يبكي لحالنا، لأنه وضع لم يحدث (بهذه الفداحة) في قرن من القرون التي مرت بها البشرية...)[1]

(1) عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا ، رومين وائنيرو ، ص228.

البطل بيد أعدائه :

وشاء القدر أن تقع معركة حامية بين ما يُقارب الخمسين مجاهداً، وعلى رأسهم عمر المختار، وذلك في يوم 11 سبتمبر عام 1931م، وقد استطاع الإيطاليون تطويق هذه المجموعة القليلة من المجاهدين، وهاجموها من كل جهة، وأخذ يتساقط أفرادها الواحد بعد الآخر، وقد أُصيب عمر المختار بجرح في يده، ثم قُتل جواده؛ فسقط هو والجواد على الأرض. ورآه أحد المرتزقة الليبيين فاقترب منه إلا أن عمر المختار صاح فيه (إني عمر المختار)، فأخذ الجندي يصيحُ، وتجمع حوله الضباط والجنود الذين عرفوا أن الأسير هو عدوهم اللدود، اتصلوا بالقيادة الإيطالية؛ لإشعارها بذلك، وتختلفُ الروايات في كيفيةِ سقوط البطل بيد أعدائه، فالجنرال غرازياني كتب يقول: (في أوائل سبتمبر عام 1931م وصلتنا الأخبار من مصادر مختلفة أن دوري البراعصة والدرسة يريدان عقد اجتماع مع عمر المختار بجنوب مدينة البيضاء من أجل استئناف القتال والأخذ بثأر معركة 27 فبراير 1931م الدامية، وفي صباح يوم 10 سبتمبر1931م حدد المخبرون التابعون لمجموعة الرائد (زاغاتزي) بأن الدور أي معسكر عمر المختار يوجد في المنطقة شمال شرق (عين لافو)، ومن هنا قامت رئاسة الجبل تُجرى استعداداتها وتحركتها كعادتها دائماً من أجل تطويق معسكر الثوار والاتصال بقوات (زاغاتزي) و(بياتي) و(ماروني) ومجموعة الفرسان بقيادة المقدم (فيفاليد) وطريقة العمليات الحربية ستكون على النحو التالي:

تتحرك القوات بطريقة الالتفاف شمال شرقي المنطقة مع قوات (زاغاتزي)، بحيث يفاجئ العصاة يعني الثوار على غرة، ويدفعهم نحو (عين لافو)، ليلتحموا مع فرقة الفرسان تساندها مجموعة (ماروني) حيث تطارد قوات العصاة لإفنائها، أما مجموعة (بياتي) كان اتجاهها نحو (وادي الكوف)، لأجل أن يقطع خط الرجعة على قوات العدو، بحيث تسد في وجهها طريق النجاة.

وفي صباح يوم 11 – سبتمبر – 1931م قامت مجموعة (زاغـــاتزي) بتحركات سريعة أثناء الليل، حيث تواجدت فوق (وادي بوطاقة)؛ لكي تنقض على الدور، وتنبهت طلائع الثوار الأمامية لهذه التحركات، وحاول الثـــوار أن يشقوا طريقهم للخروج من هذا الطوق الحديدي، والطريق الوحيد الذي يمكـــن الخروج منه هو وادي الكوف، ولكن سبقتهم مجموعة بياتي وسدت الطريق في وجههم، ثم تحركت مجموعة الفرسان؛ لتهاجم الثوار، لكـــي تجبـــرهم علـــى الاتجاه نحو وادي الكوف؛ حتى يصطدموا مع قوات بياتي وينتهي كل شيء.

وفي هذه الأثناء غيرت قوات الثوار فجأة اتجاهها نحو الجنوب، ولكن طائرات الاستكشاف أبلغت القيادة بهذا التغيير المفاجئ فـــي خطـــة عمـــر المختار، وأبلغت القيادة الفرقة السابعة للفرسان بالتحرك على الفور؛ لأنهـــا ترابط في الخط الذي توجهت إليه قوات عمر المختـــار، وبهجـــوم خـــاطف وسريع اصطدمت قواتنا بهم وفرقتهم.

وفي هذا الهجوم وقع عمر المختار أسيراً بينما كان يجر نفـــسه نحـــو الغابة؛ ليختفي فيها.

هذا الرجل أسطورة الزمان الذي نجا آلاف المرات من الموت ومـــن الأسر، واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام؛ لأنه الرأس المفكر والقلـــب النابض للثورة العربية في برقة، وكذلك كان المنظم للقتال بـــصبر ومهـــارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة، والآن وقع أسيراً في أيدينا)[1].

ويقول الكاتب ديلبوكا عن أحداث وقوع عمر المختار في الأسر: (إنَّه قبل يوم 11 سبتمبر بأيام، وصل الكونونيل (مالطا) خبرٌ بوجود المجاهدين جنوب (الزاوية البيضاء)، وغرضهم الاستيلاء علـــى حيوانـــات منطقـــة شحات، فأطلق الكونيوليل مالطا الجواسيس في المنطقة المشار إليهـــا، وقـــد

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص265 – 267.

وجدوا يوم 9 سبتمبر الدور في (وادي بوطاقة)، وبعد أن أخبر الكونيوليل مالطا بذلك أمر بعملية التطويق، وشاركت فيها القوات المتحركة بقيادة (راغانزي) و(بياتي) و(ماروني) ومجموعة الصواري، وفي يوم 11 سبتمبر بدأ الاشتباك بالدور، ويترأس الدور عمر المختار، لم يكن موجوداً بكامله، وقد رفض القتال واتجه إلى الشمال؛ للوصول إلى وادي الكوف الذي لجأ إليه الثوار طيلة عشر سنوات من القتال، إلا أن المحاولة فشلت؛ لأن قوات الكونونيل (بياتي) وصلت في الوقت المناسب، وسدت الطريق على عمر المختار، وقد غير عمر المختار اتجاهه إلى الجنوب نحو (سلنطة)، إلا أن الطيران رآه، وقد أشعرت الطائرات المجموعة السابعة من الفرسان، التي كانت متجهةً في نفس الطريق، وقد عُثر على مجموعة المجاهدين في (وادي الكوف)، وكان التصادم بين القوتين لا بد منه، إلا أن عمر المختار أمر بتجزئة قواته، وقد نجا بذلك معظم الرجال الذين كانوا برفقته، إلا أن عمر المختار أُصيب بطلقة رصاص في ذراعه، ثم قُتل جواده، وقد حاول الوقوف والاختفاء بين الشجر، إلا أنه لم يستطع ذلك، وقد رآه أحد الجنود فاقترب منه، إلا أن عمر المختار قال له (أنا عمر المختار)، فصاح الجندي ونادى الآخرين، فتعرفوا عليه، فتعرفوا على البطل الجريح، فأخذوا عمر المختار وأركبوه جواداً وساروا به إلى (سلنطة)، وقد أكد للإيطاليين أنّ الأسير هو عمر المختار بعضُ المجاهدين الذين أفلتوا من عملية التطويق)[1].

وتختلف الروايات العربية في هذا الصدد، إلا أن أقرَبها إلى الصحة هي التي تقول إن عمر المختار أراد زيارة (سيدي رُويفع بن ثابت الأنصاري) المدفون بقرب الزاوية البيضاء، بمناسبة مرور عام على

---

(1) ديلبوكا ، الإيطاليون في ليبيا.

استشهاد (الفضيل بو عمر)، وقد أراد أن يزور الصحابي الشهير ويقرأ سوراً من القرآن على روحه الطاهرة، وقد ذهب للزيارة تحرسه مجموعةٌ من الثوار يُقدر عددها بخمسة وأربعين رجلاً، وقد بلغَ الجواسيس نبأ الزيارة فأخبروا القيادة الإيطالية التي أرسلت قواتٍ كثيرة من مختلف الجهات لتطويق المنطقة برُمتها، والتقى عمر المختار والرجال الذين بصحبته بالقوات الإيطالية التي سدت عليهم جميع المنافذ، فطلبوا من عمر المختار الخروج من المعمعة بمفرده، غير أنه عندما ابتعد عن موقع القتال أصابته رصاصةٌ في ذراعه فجرحته، ثم سقط جواده قتيلاً، وسقط معه على الأرض، وفي هذه الأثناء أطل جنديٌ ليبيٌ من المرتزقة فرأى الرجل الجريح على الأرض، فاقترب منه ، فصاح فيه عمر المختار قائلاً (قف عندك أنا عمر المختار)، وربما كان يظنُ أن الجندي عندما يعرف أنه عمر المختار سوف يساعده على الهرب، إلا أن الجندي أخذ يصيحُ بأعلى صوته قائلاً (هنا عمر المختار،،، هنا عمر المختار)، ،وتجمع حوله الضباط والجنود ليعرفوا حقيقة الأمر، وعندما أكد لهم عمر المختار أنه هو الشخص المطلوب، اتصلوا بالقيادة الإيطالية وأخبروها بالأمر، فجاء على عجلٍ متصرف الجبل (داوود ياتشي) الذي تعرف على عمر المختار بالنظر لمعرفته السابقة به خلال مفاوضات عام 1929م، وأمر داوود ياتشي بنقل عمر المختار على ظهر جواد إلى سوسة في انتظار الطرادة (أُورسيني) التي ستقله إلى بنغازي.

وقد علق غرازياني على وقوع عمر المختار أسيراً بين يديه، فكتب يقول: (إنه من الصعوبة بمكان تحديد ورسم شخصية رئيس قاوم وعاند رغم ما قاساه من تعب ونضال من أجل أن يعيش حراً دون أن يتعرض لرحمة الغير واحتقارهم.

غير أن شخصية عمر المختار عندما تُجرد من أسطورة الرجل الذي لا يُغلب كما يؤمن به أتباعه، وكما يعتقد بعض رجالنا وحكامنا البسطاء،

يُصبح شخصاً عادياً له حقائقه وله هفواته، ولكن على كل حال كان رجـــلاً عرف كيف يستغل بكل دقة وخبرة حالة البيئة ونفسية الناس، ومن خلالهـــا سيّر دفة الحرب في برقة.

وكان الحديث عن شخصية عمر المختار وتأثيرها على بقية المـــشائخ المحليين موضع تحدثنا دائماً، وكما تحدث تاريخنا الروماني بـــأن الزعمـــاء يُخطئون كثيراً، ومن غير تحفظ، فإن العرب يعتبرون زعماءهم شيئاً مقدساً تجب حمايته، وفي بعض الأحيان يهربونهم لكي يحافظوا على حياتهم.

وهكذا كان عمر المختار رئيساً عربياً مؤمناً بقضية وطنه، وله تـــأثير كبير على أتباعه، مثل الرؤساء الطرابلسيين يحاربون بكل صدق وإخلاص، أقول ذلك عن تجارب مرت بي أثناء الحروب الليبية.

كان عمر المختار من المجاهدين الكبار لما له من مكانة مقدســـة بـــين أتباعه ومحبيه، إن عمر المختار مختلف عن الآخرين، فهو شـــخص متـــدين بدون شك، قاسٍ وشديدٌ، متعصبٌ للدين، ورحيم عند المقدرة، ذنبـــه الوحيـــد يكرهنا كثيراً، وفي بعض الأحيان يُسلط علينا لسانه ويعاملنـــا بغلظـــة، مثـــل الجبليين كان دائماً مضاداً لنا ولسياستنا في كل الأحوال لا يلين أبداً، ولا يهادن إلا إذا كان الموضوع في صالح الوطن العربي الليبي، ولم يخن أبداً مبادئه فهو دائماً موضع الاحترام رغم التصرفات التي تحدث منه في غير صالحنا)[1].

وذكر غرازياني في مكانٍ آخر أن المعركة التـــي دارت بـــين عمـــر المختار والمجموعة التي كانت معه، خسر فيها الإيطاليون خمـــسين فارســـاً و20 جندياً[2].

وصلت الطرّادة (أورسيني) بعد يوم (11 سبتمبر) وعلـــى ظهرهـــا

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص267 – 268.

(2) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص301.

بطل العروبة عمر المختار، وكانت الميناء غاصّة بكبار الإيطاليين الذين جاءوا ليروا البطل الذي شغل القوات الإيطالية عشرين عاماً، ونُقل عمر المختار إلى سجن بنغازي، وانتشر نبأُ وصول عمر المختار إلى بنغازي فغطت موجة من الحزنِ المدينة بأكملها، وأسرع التُجار وأصحاب الدكاكين إلى إغلاق متاجرهم وحوانيتهم والعودة إلى ديارهم، وقضى الناس ليلتهم في حُزنٍ وكدرٍ لا يدرون بماذا يأتي به اليوم التالي، وماذا سيفعل الإيطاليون بالرجل الذي وضعوا فيه كل آمالهم في خلاصهم من الأوضاع المؤلمة التي يعيشون فيها.

لم يُقدر الإيطاليون عمر المختار حق قدره، ولم يعترفوا به كقائدٍ مُعادٍ حاربهم عشرين سنةٍ بشرفٍ والتزام، ولم يأخذوا في الاعتبار أنه قبل عامٍ التقى برئيسهم المارشال بادوليو لقاء الندِ للندِ، وتفاوضا فيما يجب عمله لوضع حدٍ للقتال وسيطرة السلام على البلاد، لم يأخذوا جميع هذه الاعتبارات في حسابهم، واندفعوا وراء الحقد الذي ملأ قلبَ المارشال بادوليو على عمر المختار، فكان الأخير عندما استلمَ نبأ وقوع عمر المختار في أسر الإيطاليين، قد أبرق في الحال لوزير المستعمرات برقية جاء فيها: (إذا كان المقبوض عليه حقاً عمر المختار، فيجب أن يُحاكم محاكمة صورية، ويُحكم عليه طبعاً بالإعدام، ويُنفذ الحكم في مكانٍ غاصٍ بالليبيين)، لقد سبق بادوليو القضاء والحكومة الإيطالية، وأصدر حكمه بإعدام عمر المختار، وهو الحكم الذي نفذته السلطات التابعة له، ولم يعترض عليه رؤساؤه، وهكذا ارتكبت إيطاليا هذه الجريمة الكُبرى التي ظلت تُلاحقها لعشرات السنين.

بعد أن وصل عمر المختار إلى سجن بنغازي زاره داوود ياتشي، الذي أمرَ بإعطائه ملابس نظيفة، وتحدثَ معه مَليّاً، كما زاره الشارف الغرياني، وعندما علم أنّ غرازياني الذي كان على أهبة السفر إلى باريس، قد ألغى رحلته وعاد مُسرعاً إلى بنغازي، وقد مرَ وهو في طريق العودة

بطرابلس، وأخذ معه الكابتن خليفة خالد، وهو ضابط ليبي من الموالين لإيطاليا، وفي اليوم الثاني من وصوله طلب غرازياني مقابلة عمر المختار عَدوه وغريمه الأكبر، فجاءوا به إليه، ويداه وقدماه مكبلتان بالسلاسل، ولم يخجل غرازياني أن يرى هذا الشيخ الجليل الذي حاربه بشرف على هذه الصورة، فلا يأمر بفك أغلاله، ولكن غرازياني هبط إلى أسفل مستوى في انتقامه ومعاملته لعمر المختار.

لقد كان الإيطاليون بعد مرور عشرين سنةٍ على احتلالهم لليبيا، يُعاملون سكانها أسوأ المعاملة، ولا ينظرون إليهم كبشرٍ، ومن هنا كانت معاملاتهم البشعة لعمر المختار، ونترك لغرازياني أن يروي لنا ما دار بينه وبين البطل العظيم من نقاش:

(عندما حضر أمام مدخل مكتبي تهيأ لي أني أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامي بالحروب الصحراوية، يداه مكبلتان بالسلاسل، رغم الكسور والجروح التي أصُيب بها أثناء المعارك، وكان وجهه مضغوطاً؛ لأنه كان مغطياً رأسه بالجرد، ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر.

وبالإجمال يخيل لي أن الذي يقف أمامي رجل ليس كالرجال، له منظره وهيبته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر، ها هو واقف أمام مكتبي نسأله فيجيبُ بصوت هادئ وواضح، وكان ترجماني الخاص المخلص النقيب (كابتن) خليفة خالد الغرياني الذي أحضرته معي خصيصاً من طرابلس، ووجهتُ له أول سؤال:

س: لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشيستية؟

ج: من أجل وطني وديني.

س: هل كنت تأمل في يوم من الأيام أن تطردنا من برقة بإمكانياتك الضئيلة وعددك القليل؟

ج: لا هذا كان مستحيلاً.

س: إذاً ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟

ج: لا شيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهو فرض علينا وما النصر إلا من عند الله.

س: لكن كتابكم يقول (لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بمعنى لا تجلبوا الضرر لأنفسكم ولا لغيركم من الناس، القرآن يقول هكذا.

ج: نعم.

س: إذاً لماذا تُحارب؟

ج: كما قلتُ من أجل وطني وديني.

فما كان مني إلا أن قلتُ له: لا، أنت تُحارب من أجل السنوسية، تلك المنظمة التي كانت السبب في تدمير الشعب والبلاد على السواء، وفي الوقت نفسه كانت المنظمة تستغل أموال الناس بدون حق، هذا هو الحافز الذي جعلك تُحاربنا، لا الوطن والدين كما قلتُ.

عمر المختار نظر إلي نظرة حادة كالوحش المفترس: لست على حق فيما تقول، ولك أن تظن ما ظننت، ولكن الحقيقة الساطعة التي لا غُبار عليها أنني أحاربكم من أجل ديني ووطني، لا كما قُلت.

بان عليَّ وجهه بعد أن أزال الجرد من على رأسه، واستطردتُ في توجيه الأسئلة إليه :

س: لماذا قطعت المهادنة السارية وأمرت بالهجوم على قصر بن قدين؟

ج: لأنه منذُ أُشهر أرسلت رسالة إلى المارشال بادوليو ولم يُجبِني عليها، وبقيت بدون رد حتى الآن.

غــرازياني : لا أنت أردت قطع المهادنة لحاجة في نفسك، وهاك الدليل، وقرأت له البيان الذي نــشره فــوق الجرائــد المــصرية بتوقيعه، لم يَرُدْ في بادئ الأمر، وحنا رأسه مفكراً ثم قال:

عمر المختار: نعم نشرتُ البيان في مصر بتوقيعي، ولكن ليس هذا هــو الدليل، وإنما هو عدم تجاوبكم معنا في تنفيذ شروط الهدنة، ولم يزد شيئاً، بل حنا رأسه إعياء.

س: هل أمرت بالفعل بقتل الطيارين هوبر وبياتي؟

ج: نعم! كل الأخطاء، والتهم في الواقع هي مسؤولية الرئيس، والحــرب هي الحرب.

غــرازياني : قُلت له هذا صحيح لو كانت حرباً حقيقة، لا قتلاً وسلباً مثل حروبك.

عمر المختار: هذا رأي فيه إعادة نظر، وأنت الذي تقول هــذا الكــلام، وما زلت أكرر لك الحرب هي الحرب.

غــرازياني : بموقفك في موقعة (بن قدين) ضيعت كل أمل وكل حق فــي الحصول على رحمة وعفو من الحكومة الإيطالية الفاشيستية.

عمر المختار: مكتوب! وعلى كل عندما وقع جوادي وألقى القبض علــى كانت معي ستة طلقات، وكان في استطاعتي أن أدافع عن نفسي، وأقتل كل من يقترب مني، حتى الذي قبض علــي وهو أحد الجنود من فرقة الصواري المتطــوعين معكــم، وكان في إمكاني كذلك أن أقتل نفسي.

غــرازياني : ولماذا لم تفعل؟

عمر المختار: لأنه كان مقدراً أن يكونَ.

غــرازياني : لكن قد تحقق فيما بعد إلقاء القبض عليه، كانت بندقيته فوق ظهره، وبسقوطه على الأرض لم يستطع نزعها، وبالتالي لم يتمكن من استعمالها بسرعة، وكذلك من اثر الجــروح والكسر الذي في يده اليمنى، وهذا فــي الحقيقــة جــدير بالاعتبار والتقدير، واستطرد:

عمر المختار: كما ترى أنا طاعن في السن على الأقل اتركني أجلس.

غــرازياني : أشرت له فجلس على كرسي أمام مكتبي، وفي هذه الأثناء ظهر وجهه بوضوح، وقد زالت رهبة الموقف، واخذ عمر المختار يتحرر منها شيئاً فشيئاً، وقد تأملته جانبياً فرأيــت في وجهه بعض الاحمرار، جالس أمامي هذا هو الــرئيس المرهوب، وبدأت أفكر كيف كان يحكم ويقود المعــارك، وبينما هو يتكلم كانت نظرته ثابتة إلى الأمام، وصوته نابع من أعماقه، ويخرج من بين شفتيه بكلمات ثابتــة وبكــل هدوء، وفكرت ثانية هذا هو القديس؛ لأن كلامه عن الدين وعن الجهاد يدل بكل تأكيد على أنه مؤمن صادق يتكلم عن الدين بكل حماس وتأثر، ثم قلتُ له فجأة: بما لك من نفــوذ وجاه في كم يوم يمكنك أن تأمر العصاة (يعني الثوار) بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم وينهوا الحرب؟

عمر المختار مجيباً : أبداً كأسير، لا يمكنني أن أعمل شيء، واستطرد قــائلاً: وبدون جدوى نحن الثوار أقسمنا أن نموت كلنا الواحــد بعــد الآخر، ولا نسلم أو نُلقي السلاح، وأنا هنا لم يــسبق لــي أن أستسلمت، وهذا على ما أظن حقيقي وثابت عندكم.

غـــرازياني : قلتُ له وأنا متماسك : يمكن ذلك لو كان تعارفُنا في وقـــت سابق والخبرة الطويلة التي أخذتها عليكم، لكن علينـــا أن نصل إلى أحسن حال في سبيل تهدئة البلاد وازدهارها.

عمر المختار رفع حاجبيه بكل عمق وبصوت جهوري وثابت قال: وإذا لم يكن اليوم هو ذلك اليوم الذي تقول عنه؟

غـــرازياني : فأجبته : لقد فات الأوان.

وعند هذا الحد رأيت أن نوقف المحادثة فيما بيننا، ربما فكرعمر المختار في تلك اللحظة أن الحكومة الإيطالية ستبعثه إلى الجبل من أجل أن يسلم أتباعه السلاح، ويخضعوا إلى سلطتنا، ولكن لا! لقد قالها مُنذ لحظات بـــأنهم يموتـــون جميعاً ولن يستسلموا، وعليه لقد فات الأوان وقلتها بنفسك لا فائدة من المحاولة.

إن الأمل الذي لاح مُنذ قليل قد انهار ولم يعد، ثم قُلت له : هل تعرف هذه؟ وعرضت عليه نظارته في إطارها الفضي.

عمر المختار: نعم إنها لي، وقد وقعت مني أثناء إحدى المعـــارك وهـــي معركة (وادي السانية).

غرازياني فأجبته: مُنذ ذلك اليوم اقتنعت بأنك ستقع أسيراً بين يدي.

عمر المختار: مكتوب! هل ترجعها لي؛ لأني لم أعد أبصر جيداً بـــدونها، واستطرد يقول: ولكن ما الفائدة منها الآن، هي وصـــاحبها بين يديك.

غرازياني قلت له مرة أخرى: أنت تعتبر نفسك محمياً من الله وتحـــارب من اجل قضية مقدسة وعادلة؟

عمر المختار: نعم وليس هناك أي شك في ذلك، قال الله تعـــالى ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا** ﴾ **صدق الله العظيم.**

إذاً استمع إلى ما أقوله لك أمام قواتي المسلحة من نالوت إلى الجبل الأخضر في برقة، كل المشائخ ورؤساء العصاة (يعني رؤساء الثوار)، منهم من هرب ومنهم من قُتل في ميدان القتال، ولم يقع أي منهم حياً في يدي، أليس من العجب أن يقع أسيراً بين يدي حياً من كان يُعتبر أسطورة الزمان الذي لم يُغلب أبداً بل المحمي من الله دون سواه؟

عمر المختار: تلك مشيئة الله ،،، قالها بصوت يدل على قوة وعزم.

غرازياني : قلت له: الحياة تجاربها تجعلني أعتقد وأؤمن بأنك كنت دائماً قوياً، ولهذا فإني أتمنى أن تكون قوياً مهما يحدث لك ومهما تكن الظروف.

عمر المختار : أجاب: إن شاء الله.

غرازياني : عندما وقف يتهيأ للانصراف، كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به، فارتعش قلبي من جلالة الموقف، أنا الذي خاض المعارك والحروب العالمية والصحراوية، ولُقبتُ بأسد الصحراء، رغم هذا فقد كانت شفتاي ترتعشان، ولم استطع أن أنبس بحرف واحد، فانتهت المقابلة، وأمرت بإرجاعه إلى السجن؛ لتقديمه إلى المحاكمة في المساء، وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتي، ولكنه لم يتمكن؛ لأن يديه كانتا مكبلتين بالحديد.

لقد خرج من مكتبي كما دخل على وأنا انظر إليه بكل إعجاب وتقدير)[1].

ولم يعرف أحدٌ حقيقة ما دار بين عمر المختار وغرازياني؛ لأنه ظل سراً بين الأخير والكابتن خالد، وكلّ ما أمر غرازياني بنشره لا يُعربُ عمّا

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص279 - 285.

دار بين الرجلين، وليس من المعقول أن يكتفي عمر المختار بهذه الإجابات المقتضبة على أسئلة غرازياني، فمن المرجح أن عمر المختار حدث غرازياني عن أسباب الثورة، وحقوق الشعب الليبي وتطلعاته إلى حياة أفضل من حياته في ظل الاستعمار الإيطالي، ولاشك أنه حدثه عما ارتكبه الإيطاليون ضد الشعب الليبي من مظالمٍ وجرائم وحشية، وقد اكتفى غرازياني بنشر ما أراد نشره، وسكت عن بقية الحوار.

وقد استدعى غرازياني المحكمة الطائرة إلى بنغازي، وطلب من رئيسها عقد جلسةٍ في الغد؛ لمحاكمة عمر المختار، موعزاً إليه بأن الحكم يجب أن يكون (الإعدام).

وفي يوم 15 سبتمبر1931م عقدتْ المحكمة بمبنى مجلس النواب البرقاوي سابقاً الذي تحول إلى مقرٍ للحزب الفاشيستي جلستها لمحاكمة البطل الأسير، وجاءوا بعمر المختار إلى المحكمة مكبلاً بالأغلال.

وافتتحت الجلسة، ووجهت المحكمة إلى المتهم سؤلاً: هل سبق أن حُكم عليه جنائياً؟ رد بالنفي، ثم تليت عليه صحيفة الاتهام، وقد جاء فيها:

(تولى عمر المختار اعتباراً من سنة 1912م وإلى تاريخ القبض عليه 11 سبتمبر 1931م قيادة العصيان في برقة ضد سلطات الدولة الإيطالية، وفضلاً عن ذلك، اشترك في نصب الكمائن لقواتنا وفي القتال ضدها، وفي عمليات سلب ونهب وقتل، ومن ثم وجهت إليه التهم بارتكاب الجرائم التالية التي تنص عليها وعلى العقوبات المقرر بشأنها المواد: 284 – 285 و575 – 576 – 629 من القانون الجنائي، في المواقع والأوقات والظروف الموضحة فيما يلي:

1- اشتباك مسلح خاضه نفر من الشرطة الكاربنيير ضد عصابة من العصاة بمنطقة بوشربية (قمينس)، في 14 – فبراير – 1914م لقي فيها مصرعهم ضابط صف وخمسة من رجال الضبطية.

2- قتال بين جنود حامية شحات ومجموعة ضخمة من العصاة، في 25 – مارس – 1924م بموقع يسمى الرديمة (شحات)، لقى فيه مصرعه أحد رجال الضبطية وجرح كاربنييري واحد وضبّاط.

3- اشتباك مسلح بين فيلق بقيادة الرائد الكاواليير روبيرتو بونته وجماعة كبيرة من العصاة في 5 – أكتوبر – 1914م بالقرب من مستينة، سقط على أثره عريف الكاربنيير فيليبو ماري.

4- قيام تشكيلة تتألف من 400 من العصاة في 6 – نوفمبر – 1914م بالهجوم على مخفر سلنطة، لقى فيه مصرعه البطل الملازم كيبابيني وأحد رجال الضبطية.

5- كمين نصبته عصابة من العصاة في 21 – سبتمبر – 1922م لحافلة البريد عندما كانت متجهة إلى شحات عن طريق البيضاء، لقى فيه مصرعهم اثنان من الكاربنيير ومواطنان إيطاليان مدنيان، أحدهما موظف بالبريد وعسكري محلي ومدني عربي، وأبت وحشية المهاجمين إلا أن تشوه جثث الضحايا للتشفي.

6- الهجوم على دورية كاربنيير وضبطية، عندما كانت تقوم على حراسة طريق شحات ومرسى سوسة، في 29 – أبريل – 1924م، فسقط أربعة عسكريين من بينهم ضابط صف عندما كانوا يقومون بواجبهم، وجرح ثلاثة آخرون.

7- قيام مجموعة من العصاة بغارة سلب ونهب، استولوا خلالها على 1800 رأس من الغنم مملوكة للمستسلمين، في 25 – يونيو – 1924م، بالقرب من سيدي بوليفة، استردها جنودنا بعد قتال ضار، احتدم في ذات اليوم بوادي العوينات، سقط على أثره أربعة من المستسلمين وجرح رجل ضبطية وأحد مجندي العصابات، واثنان من المستسلمين.

8- الاعتداء على بقالين محليين في مرتوبة، والاستيلاء منهم على مواد غذائية ونقود، في 14 – أغسطس – 1924م، من قبل حوالي خمسين رجلاً من العصاة، والاشتباك الذي تلاه مع الجنود الوطنيين، والمحليين بمركز شرطة الكارابنيير هناك، أسفر عن قتل شرطي برتبة ممتاز، وجرح اثنين من الضبطية.

9- الهجوم على قافلة تتكون من خمس شاحنات، إحداها عسكرية في 30 – يونيه – 1925م، وذلك عندما كانت تمر من مخفر سيينا قادمة من سوسة، ومتجهة إلى شحات، فتعرضت لمزاحمة عدد ضخم من العصاة، وتلاها قتال مرير أدى إلى قتل 28 شخصاً ما بين عسكري ومدني، ووطنيين ومحليين، مع تدمير الشاحنات.

10-قيام جماعة ضخمة من العصاة بالهجوم على دورية كبيرة من شرطة الكارابنيير والضبطية وادي الخيشة (درنة)، في 16 – يونيه – 1928م، أسفر عن قتل ستة من العسكريين الأمجاد من بينهم وطني (يعني إيطالي).

11-نهب 4000 رأس من الغنم مملوكة لمستسلمين، في 8 – ديسمبر – 1928م بالأبيار، من قبل مجموعة كبيرة من العصاة، تتألف من 3000 رجل، وما تلاها من قتال عنيف مع قوات حامية المنطقة، أسفر عن قتل 24 مجنداً (دورية) حراسة، وأحد رجال الضبطية، وجرح 5 عساكر إرتريين، وسبعة من حرس الدورية.

12-الاعتداء على دورية عسكرية من سلاح الكاربنيير الملكي، كانت تقوم بحراسة عمال كانوا يقومون بإصلاح خط الهاتف، وذلك في يومٍ 8 – نوفمبر – 1929م، بقصر بني قديم، قام به حوالي 40 رجلاً من العصاة، فلقي مصرعه من جراء هذا العدوان ضابط صف وثلاثة مجندين ليبيين.

13-الهجوم على دورية كبيرة لشرطة الكاربنيير والضبطية عندما كانت تقوم بواجبها في حراسة طريق الشاحنات بين القيقب والقبة، في 15 – مايو – 1930م، وبالقرب من زاوية ترت من قبل حوالي مائة مسلح من العصاة تمكنوا من قتل ستة مجندين وجرح اثنين آخرين.

14-هجوم (الدور) على قافلة للمستسلمين من العبيدات الذين كانوا في طريقهم من البطنان إلى منطقة سرت، في 9 – يناير – 1931م بالقرب من بير بوصفية (شحات)، فقد فرق حراسة القافلة أحد المجندين المحليين وجرح من بينهم ضابط.

15-الإغارة على قطعان المواشي على اختلاف أنواعها المملوكة للمستسلمين، وفي 27 – فبراير – 1931م من قبل حوالي 300 من العصاة بمنطقة سوسة، تلا ذلك قتال عنيف قتل من جرائه راعيان وجرح ثلاثة من رجال عصاباتنا وعدد مماثل من المستسلمين.

16-معركة اشترك فيها الدور بكامله ضد وحدات مختلفة من قواتنا في 30 – مارس – 1931م بوادي الرملة (درنة) جرح على أثرها ثلاثة من العساكر الإرتريين)(1).

وقد كلفت المحكمة الكابتن لونتانو بالدفاعِ عن المتهم، وعندما جاء دوره بالدفاع وقف وقال: (سيدي القاضي إن هذا المتهم الذي انتدبتُ للدفاع عنه، وكنت متردداً في أول الأمر، لكن ضميري حدثني بأنها إنسانية مني لابد من قبول الدفاع، وها أنا واقف أمامكم لأقول لو أنني التقيت بهذا الرجل في الشارعِ لم أتردد لحظة في سحب مسدسي هذا وإطلاق النار عليه حتى أرديه قتيلاً؛ لأنه عدوي وعدو دولتي، غير أن الذي أريد أن أقول إن هذا الرجل عمر المختار يدافع عن حقيقة كُلنا نعرفها، وهي الوطن وكم ضحينا نحن في سبيل الوطن وتحريره.

(1) عمران بو رويس ، وقائع أسر ومحاكمة وشنق عمر المختار ، ص194 – 198.

القاضي رأى أن المحامي غير رأي المحكمة، وهنا احتج المدعي العام، فأمر القاضي المحامي بأن لا يخرج عن الموضوع ويتكلم بإيجاز، وهنا تكلم المحامي بحدة وقال: هنا محل الشرح الكافي إذا كنا رجال العدالة الحقيقة، أما إذا كنا غير ذلك فيجب أن نترك الموضوع واحكموا بمفردكم ولا لزوم لهذه المحكمة وجلستها.

إن عمر المختار الذي هو أمامكم وليد هذه الأرض قبل وجودكم فيها، ويعتبر كل من احتلها عنوة عدوًّا له ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة حتى يخرجه منها أو يهلك دونها، هذا الحق أعطته له الطبيعة والإنسانية، وهنا كثر الصياح من الحاضرين بإخراج المحامي، وإصدار الحكم على المتهم الذي طالب به المدعي العام، ولكن المحامي استمر قائلاً العدالة الحقة لا تخضع لأية سلطان ولا لأية غوغاء، وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا، وهنا قامت الفوضى خارج المحكمة، وقام المدعي العام محتجاً على المحامي، ولكن المحامي استمر في دفاعه غير مُبالٍ بكل هذا بل حث القاضي على أن يُحكم ضميره قائلاً: إن هذا المتهم عمر المختار الذي انتدبت لسوء حظي أن أدافع عنه شيخ هرم حنت كاهله السنون، وماذا بقى له من العمر بعدما أتم السبعين سنة، إني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة في تخفيف العقوبة عنه لأنه صاحب حق، ولا يضر العدالة إذا أنصفته بحكم أخف، وإني أطلب أن تحذر عدالة محكمتكم حُكم التاريخ؛ لأنه لا يرحم، فهو عجلة تدور تسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب.

وهنا كثر الضجيج ضد المحامي ودفاعه، ولكن المحامي استمر في دفاعه قائلاً: سيدي القاضي حضرات المستشارين، لقد حذرت المحكمة من مغبة العالم الإنساني والتاريخ، وليس لدي ما أضيفه إلا طلب تخفيف الحكم على هذا الرجل صاحب الحق في الذود عن أرضه ودينه وشكراً)[1].

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص286 – 287.

وقد وقف عمر المختار أمام المحكمة المزيفة كعملاقٍ ما بين أقـزام، وكان الجميع بما فيهم القُضاة ينظرون إليه بإعجابٍ ورهبة، وعندما طُلبَ من المترجم أن يقوم بمهمته اضطربَ ولم يستطع الكلام فغُيرَ بواحد آخر، وقـد اعترف عمر المختار عن كل ما حدثَ بقيادته، وقال لهم: إن الحـرب هـي الحرب، وقد وجه إليه النائب العام سلسلة من الاتهامات بأنه كان المحـرضَ على قتل الطليان ومهاجمتهم وحربهم، واختتم كلامه قائلاً : (أطلب من هذه المحكمة بعد إثبات مسؤولية المتهم عن الجرائم المنسوبة إليه، أن تصدر عليه الحكم الذي تستحقه أخطر هذه الجرائم، ألا وهي امتشاق السلاح لفصل هـذه المستعمرة عن الوطن الأم، وهو الحكم بالإعدام الذي يَجُبّ العقوبات الأخرى التي يستحقها عن الجرائم الأقل شأناً وخطورة)[1].

وبعد الانتهاء من المرافعة، انسحبت المحكمة للتداول، وخرجت بعـد فترة قصيرة؛ لتعلن حُكمها بإعدام عمر المختار، وعندما تُرجمت إلى عمـر المختار صيغة الحُكم قهقه وقال: إن الحُكم حُكم الله لا حكمكم المزيف، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾. وكانت المحاكمة عبارة عن مهزلة مضحكة لم يكن فيها شيءٌ مضيء غير وجود عمر المختار، الذي غطت شخـصيته وثباتـه وقوة إرادته على المحكمة ومن كان فيها، لقد حكمت المحاكم الإيطالية على الآلاف من الليبيين، وأعدمتهم، غير أن إعدام عمر المختار سيضل وصـمة عارٍ في جبين الدولة الإيطالية إلى الأبد.

وخرج عمر المختار من قاعة المحكمة مكبلاً بالسلاسل، وكانت الـساحة المواجهة للمبنى الذي عُقدت فيه المحاكمة مليئةً بالإيطاليين والإيطاليات الـذين تجمعوا؛ لرؤية عمر المختار، وعندما أطل عليهم صرخوا وصاحوا وشتموا إلا أن البطل لم يرفع عينيه وينظر إلى محل الشغب، بل كان ينزلُ الدرج على مهلٍ

---

(1) عمران بو رويس ، وقائع أسر ومحاكمة وشنق عمر المختار ، ص194.

ناظراً إلى موضع قدميه، واستقلته السيارة، وخرج الناسُ الذين حضروا المحاكمة من إيطاليين وعرب، وقد خيم على رؤوسهم طير البين، وانتشر النبأُ في المدينةِ؛ فزادت كآبتها وزاد حزنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وفي عشية اليوم نفسه كانت الاستعداداتُ في سُلوق على قدم وساق؛ لإعداد المكان الذي سيستشهدُ فيه عمر المختار، وقُرعت في المساء أبوابُ منازل أعيان البلاد الذين لم يعتقلوا؛ طالبين منهم السفر إلى سلوق في صباح اليوم المبكر، وقضت ليبيا بأجمعها ليلة حزينة بعد سماعها نبأ الحُكم بالإعدام على عمر المختار، فقد قل ظهور الناس في الشوارع، وخلت المقاهي من رُوادها، وخيمت على المدن الليبية مظاهر اللوعة والأسى.

وتحركت القطاراتُ والسياراتُ مُنذُ آخر الليل؛ لتنقل المعتقلين في سلوق، وكذلك لتنقل المعتقلين في بنينا،و الأعيان والناس الذين دعُوا لمشاهدة استشهاد عمر المختار، وغصت الساحة المعدة لهذا الحدث بأكثر من عشرين ألف نسمةٍ من نساءٍ وشيوخ وأطفال جاءوا بهم من معتقل سلوق والأماكن القريبة الأخرى، وكان الذُهول والصمتُ والألمُ يخيمُ على الجميع، وجيء بعمر المختار، وأُصعد إلى المنصة التي نُصبت بها المشنقة، فوقف وصلى ركعتين، وقرأ ما تيسر من آيات الله، ثم سلم نفسه للجلاد الذي قام بتنفيذ حُكم الله بين صياح وبكاء النساء، وصمت وذهول الرجال، بل بعض الشيوخ كانوا ينتحبون بأصوات عالية، وبعضهم أغمي عليه.

لقد هبطت إيطاليا بعملها هذا إلى مستوى القرون الوسطى، ولم تتصرف كدولة متحضرة من كبار الدول الأوروبية كما تدعي، لقد سبق لفرنسا أن استسلم لها (الأمير عبد القادر) قائد ثورة الجزائر، وقد نقلته إلى باريس حيث أسكنته شقة فخمة، وكان كبار الفرنسيين يترددون عليه ويزورونه، ثم أرسلته إلى دمشق بناءً على رغبته، حيث عاش فيها حتى وفاته، وكذلك عاملت اسبانيا وفرنسا (الأمير عبد الكريم الخطابي) الذي قاتلهما بشجاعة وقوة، وعندما تم

أسره، أُرسل مع أسرته إلى جزيرة ريونين بجنوب أفريقيا، ثم أطلقت سـراحه فجاء إلى مصر، وسكن فيها إلى حين وفاته، وعاملت بريطانيا أيضاً خصومها المصريين والفلسطينيين بالإبعاد مع احترامهم، ومعاملتهم كزعماء.

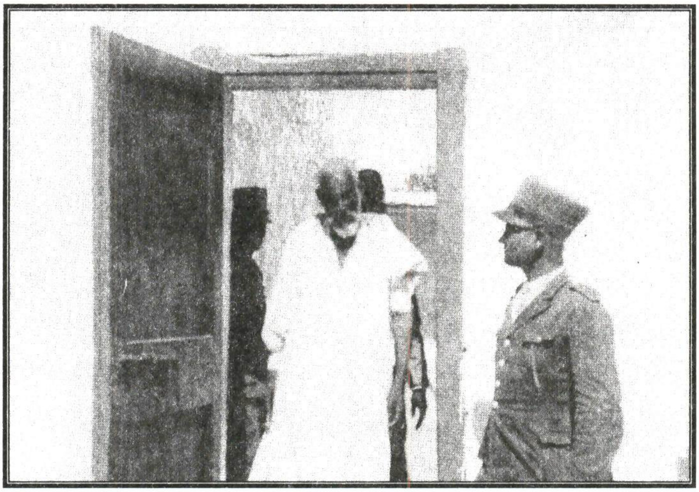
لقد حققت إيطاليا ما رأته من إذلال الشعب الليبي وإهانته والدوس على كرامته ومشاعره، بما تعمدت اقترافه مع عمر المختار، ولم يدُر بخلد هـؤلاء المجرمين القساة المجردين من الإنسانية والرحمة أنهم سوف يغادرون ليبيا بعد ثمان سنوات منهزمين خائفين،و قد تركوا وراءهم كل ما شيدوه للمستقبل، لقد رأى أهل ليبيا الإيطاليين المتعجرفين الظالمين وهم أذلاء يرتعشون خوفاً مـن عدوهم ومن الليبيين أنفسهم، و هم في طريق مغادرتهم ليبيا إلى الأبد.

وُورِيَ جثمانُ عمر المختار الطاهر في مقبرة سيدي عبيد، وقد أحـيط القبر بالأسمنت المسلح، واحتفظ بمكانه سراً، و تداولت الرقابة عليه خشية أن يعرف مكانه الليبيون، و كان بعض العمال في المقبرة قد عرفوا مكان القبر، و كانوا يدلون إليه كل من كان يريد زيارته.





لقد نـزل الإيطاليـون إلـى أقصـى درجـات الانحطاط
بـوضعهـم القيود الحديدية بـأيـدي وأرجـل البطـل الشهيـد.



شيخ الشهداء وقد أصيب بجرح في يده.

ولم ينْس الشعب الليبي بعد استقلاله عمر المختار ولا تضحيته العظمى في سبيله ولا قتاله المجيد ضد إيطاليا على مدى عشرين عاماً، فشُيد له ضريحٌ في وسط مدينة بنغازي، وأقيمت له جنازة رسمية شارك فيها جميع الناس إلى أن وُورِيَ في قبره الجديد الذي أصبح مزاراً لكثيرٍ من الناس من أهل البلاد والوافدين إليها.

لقد أحدث استشهاد عمر المختار تأثيراً كبيراً في العالم بأجمعه وبين الإيطاليين بصورة خاصة، وقد كتب غرازياني في هذا الصدد يقول: (إن خبر القبض على عمر المختار وإعدامه سرى في كل مكان، وفي الأوساط المحلية بين الأهالي والخاضعين لسلطتنا، وبين الثوار الخارجين عن طاعتنا والمهاجرين في مصر، وفي كل البلدان من المشرق إلى المغرب، كلها تأثرت من هذا الحادث الجلل، إعدام عمر المختار)[1].

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص 294.

الفصل الثامن

ردود فعل على استشهاد البطل في العالم

ردود فعل الصحافة العربية والعالمية:

لقد تأثر العالم أجمع كما يقول غرازياني باستشهاد عمر المختار، وتجددت الحملات الصحفية ضد إيطاليا واتهامها بالإجرام والخروج عن تقاليد البشر المتبعة، وأُقيمت صلوات على روح الغائب في معظم المساجد الإسلامية، وحَزَنَ وبَكى الكثيرون لوفاته، وقد رثاه الزعيم الليبي بشير السعداوي في المسجد الأموي بدمشق، كما أقيمت الاجتماعات في أماكن عديدة من العالم الإسلامي والعربي لرثائه، وشاركت الصحافة الأوروبية في استنكار ما فعلته إيطاليا والإشادة ببطولة عمر المختار، وقدرته العجيبة على مواجهة إيطاليا عشرين عاماً.

وكان صدى هذه الجريمة عنيفاً وقوياً في معظم البلدان العربية والإسلامية التي هزتها بشاعة الجرم الإيطالي، ووجدت فيها الفرصة للتعبير عن تمسكها بالحرية والتضامن مع كل من يناضل من أجلها، وانتظمت المظاهرات التي هتفت أمام القنصليات والمؤسسات الإيطالية بسقوط إيطاليا وباستنكار أعمالها في ليبيا، وعُقدت الاجتماعات في النوادي وفي المساجد لتأبين الشهيد الكبير، وحث الجماهير على مقاطعة إيطاليا، وأطلق سكان غزة اسم الشهيد على اكبر شوارع مدينتهم، وطالب الفلسطينيون بدفن رفات الفقيد العظيم في القدس الشريف، وطلبوا من الأمير الإيراني (عفر) عضو الأمم أن يحتج لدى العصبة على أعمال إيطاليا المنكرة في ليبيا، وناشدوه بالاستقالة إذا لم تضع العصبة حداً لجرائم إيطاليا هذه، وكُتبت باسمه الشوارع الكُبرى في بنغازي وطرابلس والمدن الليبية الأخرى، وكُتبت باسمه جامعة البيضاء المشهورة، وأصبح عمر المختار في نظر جميع الليبيين رمز الحرية والدفاع عن الوطن، أما خارج ليبيا فقد ذاع صيته في البلاد العربية والإسلامية والأوروبية، وأصبح لا يُذكر أبطال التحرير في البلاد العربية إلا وعلى رأسهم عمر المختار.

ووقعت الاصطدامات في بيروت ما بين الشرطة والجماهير الغاضبة، وشملت مظاهرات الاحتجاج إندونيسيا والهند وتركيا وأفغانستان وإيران، بالإضافة إلى البلاد العربية، وبعث أكثر من مائة سياسي وزعيم مصري وعربي على رأسهم الأمير عمر طوسون برسالة استنكار واحتجاج إلى عصبة الأمم.

وساهمت الصحافةُ العربية والإسلامية بقوة في تغذية هذه الحملة، وعلى رأسها صحف الأهرام والجهاد والمقطم ووادي النيل والفلاحُ المصري وغيرها من الصحف المصرية،و صحف الإخاء الوطني والنهضة والهادية الإسلامية والاستقلال العراقية، ولسانُ العرب والنهضة التونسيتان، وفتى العرب الدمشقية وغيرها من الصحف السورية، وصحيفة الأمة العربية التي كان يُصدرها شكيب أرسلان بسويسرا، بالإضافة إلى الصحافة الباكستانية والتركية والإندونيسية وغيرها من الصحف.

وعبرت الصحافة الأوروبية أيضاً عن امتعاضها واستنكارها للتصرف الإيطالي في ليبيا، والغريب أن الصحافة الإيطالية لم تعطِ أهمية كبيرة لأسر عمر المختار واستشهاده، ولم تهلل وتطرب كعادتها للنجاح الإيطالي، وربما يعود موقفها هذا إلى الشعور بالحرج والخجل؛ لتلطيخ سمعة إيطاليا بهذا العار.

وقد أخفت السلطات الإيطالية الحاكمة في ليبيا عن الشعب الإيطالي وعن الصحافة الإيطالية كل ما كان يقعُ في ليبيا من هزائم لقواتها، ومن أعمالٍ إجرامية لم تنقطع عن ممارستها أبداً.

وأغمضت الدول الأوروبية عينيها عما كانت تفعله إيطاليا في ليبيا من جرائم ضد الإنسانية، إلا أنها لم تُقاوم صُحف البلاد العربية التي كانت لا تزالُ خاضعة لها، وتركتها تُهاجم إيطاليا وتنتقدها وتتظاهر ضدها.

وانهال على وزارة الخارجية الإيطالية سيل من التقارير وقصاصات

الصحف والبرقيات والرسائل الواردة من ممثليها الدبلوماسيين في الأقطار العربية والإسلامية التي كانت تُحيطها علماً بالاحتجاجات والمظاهرات وموجة الاستنكار التي عمت هذه البلاد بسبب إعدام عمر المختار، وكذلك النداءات بضرورة مقاطعة البضائع والمصارف والمدارس والسفن والمؤسسات الإيطالية.

وبعث ممثل إيطاليا بالقاهرة برسالة إلى وزارة الخارجية بتاريخ 19 – 10 – 1931م، ذكر فيها أنه في مقابلة له مع الملك فؤاد أفاده أن تنفيذ حُكم الإعدام في عمر المختار قد أحدث رجة ألم شديدة بين الناس، وأنه لمس هذا التأثر البالغ في الأوساط العربية والإسلامية من خلال التقارير التي وصلته من الوزراء، ومن رؤساء الهيئات الدينية والمؤسسات الثقافية.

بعد استشهاد عمر المختار قامت موجة من الغضب والازدراء ضد إيطاليا وأساليبها المستعملة ضد الشعب الليبي،و كانت وزارة الخارجية الإيطالية تتتبّع الأحداث باهتمام كبير، وقد وصلها تقريرٌ من السفير الإيطالي بالقاهرة يقول فيه: (إن الطلبة الجزائريين والتونسيين بالأزهر الشريف قاموا بمظاهرة ضد إيطاليا، وعن المثقفين ارتفع لديهم الغضب المتزايد بالنسبة لإيطاليا)، وكتب القنصل الإيطالي بالقدس أن أئمة المساجد قد طلبوا من الجمهور الدعاء لشهداء ليبيا الذين استشهدوا بسبب المعاملة الوحشية الإيطالية وعلى رأسهم عمر المختار، وقد وُزع منشور على حجاج بيت الله في ذلك العام بعنوان (صيحة من الصحراء الدموية)، وقد جاء في المنشور إن إخوتكم في ليبيا ينادونكم بصوت يائس؛ بسبب المعاملة الوحشية التي تعاملهم بها الحكومة الإيطالية، وإن إخوتكم في ليبيا فقدوا الصبر،و لم يعد أمامهم إلا اللجوء للموت.

وفي سبتمبر عام 1931م وُزِّع منشور في جدة بعنوان (اعتدوا على من يعتدي عليكم)، ويشير المنشور إلى ثماني طرق لمقاطعة البضائع الإيطالية

والوجود الإيطالي في البلاد العربية، والاحتجاجات لم تقتصر على العالم العربي، وقد انزعج موسوليني ووزارة خارجيته من هذه الحملة القوية ضد إيطاليا، الحملة التي عبّر عنها سيل من التقارير من مختلف البعثات الدبلوماسية الإيطالية في البلاد العربية والإسلامية، والتي كانت تُشير إلى الاجتماعات التي كانت تُعقد في المساجد والنوادي لتأبين الشهيد الكبير، ولمطالبة الشعوب العربية والإسلامية بمقاطعة البضائع الإيطالية والمدارس والمواصلات، وكل شيء ينتسب إلى إيطاليا، وإلى جانب التقارير كان هناك سيلٌ من الصحف العربية والإسلامية التي تُهاجم إيطاليا، وتستنكر عملها المتوحش، وتُطالبُ الشعوب العربية والإسلامية بمقاطعة تجارتها وكلِّ شيءٍ إيطالي.

ولم تقتصر الحملة على العالم العربي والإسلامي، وإنما وصلت إلى عصبة الأمم، وقد أرسلت خمس مؤسسات إسلامية تعمل في الأرجنتين، أرسلوا برقيات إلى عصبة الأمم يرجون تدخلها في الموضوع.

وفي شهر أكتوبر عام 1931م وقفت مجموعة من المثقفين والشخصيات البارزة في مصر، وأرسلت تقريراً إلى عصبة الأمم عن الأعمال الهدامة التي تقوم بها إيطاليا في ليبيا، ومن بينها الأعمال الوحشية التي تقوم بها إيطاليا في الكفرة، واعتقال السكان في صحراء سرت، والعمل الوحشي البغيض الذي قامت به إيطاليا لتقتص من عمر المختار، وقد عُثر في بحر السلوم على عدد من الليبيين الغرقى المكبلين بالقيود، وقد وصلت الاحتجاجات قمتها في شهري سبتمبر وأكتوبر بعد استشهاد عمر المختار، فمن المغرب إلى جاوا لا توجد صحيفة إسلامية لم تُشِدْ بشخصية هذا البطل الشهيد، وقد شاركت دور النشر الصحافة في الحملة، فنشر كتاب بعنوان (مدنية بالحديد والنار) و(نظرة عامة عن أعمال إيطاليا في طرابلس وبرقة)، وعاد شكيب أرسلان إلى مهاجمة إيطاليا وأعمالها الوحشية في برقة وطرابلس،و ذلك بعد استشهاد عمر المختار، وكان يرمي إلى إيقاظ العالم

الإسلامي حول ما كان يحدث في ليبيا، وطالب بالعمل على مساعدة الليبيين المنكوبين سواء بمقاطعة البضائع الإيطالية، أو بإرسال برقيات احتجاج واستنكار إلى عصبة الأمم، وقد بدأ شكيب أرسلان حملته ضد إيطاليا مُنذُ احتلالها للكفرة، وما أُرتكب فيها من فظائع وحشية، واعتقال السكان في صحراء سرت، وما صاحب هذا الاعتقال من مآسٍ وضحايا، وأعمالٌ ينـدى لها جبين الإنسانية، لقد ظل شكيب أرسلان ثلاث سنوات وهو مهتم بالقضية الليبية التي عاصر بدايتها مُنذُ عام 1912م عندما زار ليبيا في ذلك الوقت، واطلع على كفاح المجاهدين،و التقى بالسيد أحمد الشريف السنوسي، فمنذُ ذلك الوقت والأمير شكيب مهتمّ بليبيا، ومعادٍ لإيطاليا، يُهاجم سياستها في ليبيا في كل مرة.

ما بعد عمر المختار :

فقدت الثورة الليبية بغياب عمر المختار قيادتها الحكيمة، وعقلها المدبر، وقلبها النابض، وكانت تجتاز في تلك الفترة أقصى مراحل قدرات الإنسان على الاحتمال، وذلك بعد أن حُوصرت، وقطعت عنها جميع المعونات، وقد تجاوز المجاهدون بسرعة فترة الذهول والألم؛ لفقدان قائدهم، فاختاروا الشيخ يوسف بورحيل المسماري خلفاً له، وصمموا على مواصلة الكفاح إلى النهاية.

وقد كان عمر المختار قبل وفاته كما سبق وذكرنا يأملُ في الحصول على المساعدات من مصر، وقد عثرت القوات الإيطالية على مجاهد قتيل، وعندما تم تفتيشه عُثر على مجموعة من الرسائل موجهة من عمر المختار إلى أمراء البيت الملكي المصري، وإلى وجهاء وأعيان مصر، وقد سبق أن نشرنا بعضها، وها نحن نُنشُر واحدة أخرى لعلها من أهمها، من بينها رسالة إلى (الأمير يوسف كمال) جاء فيها:

(صاحب السمو الملكي الأمير يوسف كمال حفظه الله ورعاه.

بعد التحية اللائقة بسموكم أعرض:

لا شك أن قلبكم المفعم بالحماس، والمؤمن بالإسلام، والمدافع عن قضاياه التي نحن حرمنا أنفسنا من الأكل والشرب، والجهاد فُرض علينا جميعاً كلها معلومة لدى سموكم الملكي، وحيث أن سموكم على علم بما ترتكبه السلطات الإيطالية من أعمال وحشية ضد إخوانكم المسلمين الضعفاء في ليبيا، الذي أنتم بكل تأكيد على اتصال بكل الحوادث المؤلمة التي انصبت على رؤوس الشعب الليبي من شيوخ ورجال ونساء وأطفال، زد على ذلك الممتلكات والأموال، إن مجموعة الثوار من إخوانكم العرب المسلمين في ليبيا منذ عشرين عاماً حاملين السلاح ضد المستعمر رغم الجوع والعطش، لا يزالون يكافحون من أجل تحرير وطنهم، وقد بعثوا نداءات إلى العالم الإسلامي طالبين مد يد المساعدة لهم، ولكن لم نجد أذناً صاغية، ولم نجد من يرحمنا سوى الله، وبعض الأخوة المسلمين من أمثالكم، والأبطال المصريين، ومشائخ العربان في مصر العربية الذين قاموا بواجبهم؛ لأن قلوبهم عامرة بالإيمان ومتحمسة للقضية الليبية؛ لهذا أتجه لسموكم طالباً مديد المساعدة الإسعافية من أعمالكم الخيرية وكرمكم الحاتمي.

نحن نستحق مساعدتكم بينما الآخرون يستحقون اللوم والازدراء، وعدم التقدير والاحترام وسموكم يعلم عنهم كل شيء.

تحياتي الفائقة لسموكم وإلى كافة أفراد أسرتكم النبيلة.

7 ربيع الثاني 1350هـ الموافق 22 أغسطس 1931م.

وكيل الحاكم العام للجبل الأخضر.

عمر المختار) [1].

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص291 .

وكانت الرسائل الأخرى معنونة بأسماء الأمراء:

1- كمال الدين.

2- أحمد عمرو.

3- عبد الرحمن.

4- محمد على.

وإلى السيد رافع الوريدي، والفاضل سيدي إبراهيم بن الحاج، وغيرهم من الأعيان والشخصيات المصرية.

وهذه الرسائل تدلُّ على أن عمر المختار قد اعتمد بصورة رئيسية على المساعدات والعون الذي كان يُقدمه له (الأمير عمر طوسون) وأمراء آخرون وشخصيات مصرية من جذور ليبية، وما برحت مصر منذُ بداية الاحتلال تُساعد وتعاونُ المجاهدين في حدود إمكانياتها، هذا بالإضافة إلى المساعدة الإعلامية الكبيرة التي ظلت مصر طيلة معركة الجهاد الليبي تقدمها للثورة الليبية.

وفيما يتعلق بأوضاع المجاهدين بعد استشهاد عمر المختار، فقد تولى الشيخ (يوسف بورحيل) القيادة، وأرسل الشيخ يوسف بورحيل رسالة بتاريخ 14 – سبتمبر – 1931م إلى العم الكبير وهو إدريس السنوسي الذي كان يخشى أن يطلع المصريون على نشاطه السياسي بعد أن تعهد لهم بإيقاف هذا النشاط، وقد جاء في الرسالة:

(بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سيادة عمنا الكبير (يعني إدريس) يحفظه الله ويرعاه ويطول عمره في الخير.

بعد السلام وتقبيل أياديكم الكرام.

سيدي: إن الراعي الذي كان يقود الحركة الثورية مات، ونُفذ فيه أمر الله، أرجوا من سيادتكم عندما تستلموا رسالتي هذه أن تختاروا مــن يقــوم مقامه؛ لكي يستلم مقاليد الأمور مع كافة الموجودات، كما وأرجــوا حــسن الاختيار؛ لكي تسير الثورة في طريقها الصحيح، حتى لا يضيع الوقت سُدًى لا سمح الله، وإذا لم تستطيعوا الاختيار أو تتعطلوا في الإنجاز؛ فــستتحملون مسؤولية كل ما يحدث من ضرر، وأخطاء للثورة والثوار.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

في 14 سبتمبر 1931م

عبدكم يوسف بورحيل) [1]

وكان عمر المختار يوجه رسائل إلى السيد (مــصطفى الجزائــري) المقيم بالسلوم ، و كان هذا بدوره يسلمها إلى السيد إدريس.

وكانت المساعدات من مصر لا تجد طريقها إلى المجاهــدين بــسبب الأسلاك الشائكة المقامة على الحدود وكثرة القوات الإيطالية المنتشرة حتــى الجغبوب؛ لمراقبة الحدود ومنع أي إمدادات تصل المجاهدين.

وقد واصل المجاهدون رغم ظروفهم الصعبة مواجهة القوات الإيطالية في كل مكان، وفي عشية 11 أكتوبر التقت قوات إيطالية بقواتِ من الثــوار من المشاة بالقرب من منطقة (حاسي حسين)، وتغلــب المجاهــدون علــى القوات الإيطالية التي انسحبت، واستنجدت بالقيادة التي أمرت جميع المراكز القريبة بالخروج للبحث عن المجاهدين، وأمرت القوات الجوية بالمشاركة في البحث ، وأرسلت قوات مصفحة تقتفي أثر المجاهدين، الذين اتجهــوا إلــى الجنوب ، وظلت تتبعهم حتى يوم 17 أكتوبر، فقــصفت الطــائراتُ الثــوار

---

(1) غرازياني ، برقة الهادئة ، ص302 – 303.

بالقنابل والرشاشات، ثم هاجمتهم القوات الأخرى؛ فاستشهد منهم الكثير، واستطاع الباقون على قيد الحياة الإفلات والابتعاد، وكانت قوات المجاهدين هذه تنوي الوصول إلى مصر؛ للحصول على المؤن للثوار بالجبل الأخضر، وزاد فشل هذه المحاولة من معاناة المجاهدين، وشدة احتياجهم إلى المؤن.

وفي 15 أكتوبر 1931م استسلم مجاهدٌ هو (فرجاني بو العقاب)، ولم يزد عدد المستسلمين حتى يوم 6 نوفمبر 1931م عن عشرة أشخاص فقط ، ومما زاد أمر الوضع سوءاً عثور القوات الإيطالية على بعض المخزون من المواد الغذائية ادخرها المجاهدون لوقت الحاجة.

وفي 27 نوفمبر 1931م استسلم في طبرق 10 ثوار من دور البراعصة، واستسلم 6 آخرون في الأيام التالية في سوسة ومراوة وشحات، هذا في حين ازدادت محاولات المجاهدين الفردية اجتياز الحدود، فبعضهم كان ينجح في الوصول إلى مصر، والآخرون يضطرون إلى التراجع في وجه سلاح الدوريات الإيطالية الكثيرة، وما بين 10 و14 ديسمبر عام 1931م قام المجاهدون بقطع أسلاك الحدود، واجتيازها في حين كان فريقٌ آخر يردُ على الدوريات الإيطالية التي جاءت لمنعهم، وقد استطاع أكثر من 70 شخصاً اجتياز الحدود إلى مصر في تلك الفترة، ولم تستطع الأسلاك الشائكة ولا القوات الإيطالية الكثيرة منعهم من الدخول إلى مصر.

وقد اجتمع في الجيشة (وادي قطة) ضباط والقائمقامية ومشائخ وعساكر أدوار العواقير والدرسة والبراعصة والعبيد، ومجموعهم يُقارب 70 شيخاً، وقد قال في هذا الاجتماع الشيخ عبدالحميد العبار ويوسف بورحيل وعصمان الشامي للمجتمعين، أنه بالنظر إلى الحالة اليائسة؛ بسبب عدم الحصول على التموين؛ فإنهم يتركون لكل شخص الحرية في اجتياز الحدود إلى مصر، ومن لم يستطع ذلك فليقدم نفسه للسلطات وفقاً لمنشورهم الذي وزعوه.

وكان حاضراً الاجتماع (علي السنيني) ابن محمود السنيني الداعية السنوسي، وقد دخل إلى مصر عام 1926م، وتحصل على الجنسية المصرية، وأقام في السلوم؛ لتنظيم القوافل للدور، وجاء علي السنيني إلى دور العواقير ليساعد الثوار على اجتياز الحدود، وأشار عليهم بالانتظار إلى موسم الأمطار لمحاولة المرور، وأكد لهم أنه سيدخل الجميع إلى مصر عن طريق الجغبوب، وتغلبت فكرة السفر في الحال؛ بسبب قلة الغذاء وضغط القوات الإيطالية، والأغلبية أخذت طريق الشرق، في حين بقى البعض بسبب عدم الحصول على مركوب أو غير ذلك، وظلوا يتجولون في الجبل، وظلوا رافضين الاستسلام، وقد قرروا إما محاولة الدخول إلى مصر أو الاستمرار في القتال رغم ظروفهم السيئة، وقد أصبح حصولهم على الغذاء سهلاً بعد نقصان عدد الأفواه..

وقد بُذلت محاولاتُ لاجتياز الأسلاك الشائكة، بعضها نجح والبعض الآخر تراجع أمام رصاص الدوريات، وقد شعرت القيادة الإيطالية أن المجاهدين يُحاولون الفرار إلى مصر أو البقاء في الجبل لمواصلة القتال، وقد أمرت الحكومة الإيطالية بإلقاء منشور عليهم جاء فيه:

(تاريخ: 15 ديسمبر 1931م.

نداء إلى أهالي الدور

إن زعمائكم عبد الحميد العبار ويوسف بورحيل وعصمان الشامي قد فروا إلى مصر، والسبب الظاهر في ذلك أنهم ذاهبون إلى إدريس لمطالبته بالمساعدات، والحقيقة أنهم أرادوا النجاة بأرواحهم بعد أن خدعوكم سنوات طويلة، وأوصلوكم إلى الدمار، وهم الآن يقومون بهذا الهروب المشين، تاركينكم معرضين للجوع والموت، وبناءً على نداء الحكومة خمسون منكم تقدموا إلينا، ووجدوا السماح والعمل والهدوء، فلا تتأخروا في التقدم لأن كلمة

الحكومة الفاشيستية يحافظ عليها بالنسبة للجميع، والمتصرف داوود ياتشي موجود في شحات لاستقبالكم.)[1].

وفي ليلة 14 ديسمبر 1931م قامت مجموعة كبيرة من الثوار وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد العبار وصالح بو مطير ومشائخ آخرون باقتحام الأسلاك الشائكة، وبعد معركة حامية مع القوات الإيطالية استطاع المجاهدون اجتياز الحدود والدخول إلى مصر، وكان عددهم يتجاوز المائة مجاهد،و قد استشهد بعضهم برصاص القوات الإيطالية، وقد عززت إيطاليا قواتها على الحدود وزودتها بالسيارات المدرعة؛ وذلك لمنع المجاهدين من اجتياز الحدود، وقد حاول الشيخ يوسف بورحيل ومعه بعض القادة اجتياز الحدود إلا أن القوات الإيطالية حالت دونهم ودون الاقتراب منها، وقد دخلوا معها في معركة قصيرة انسحبوا بعدها ولجاءوا إلى أحد الكهوف، فتعقبهم الجنود الإيطاليّون، وألقوا عليهم في الكهف القنابل السامة؛ فقتلوهم جميعاً.

أما الشيخ عصمان الشامي الذي كان منهكاً ومريضاً، فقد الأمل في اجتياز الحدود، وتقدم إلى مركز إيطالي، فسلم نفسه، وبصفته مواطناً سورياً تدخلت القنصلية الفرنسية، وطلبت ترحيله إلى سوريا.

و في ليلة 20 ديسمبر 1931م تمكنت مجموعة أُخرى من المجاهدين من اجتياز الأسلاك الشائكة رغم محاولة القوات الإيطالية منعهم من ذلك.

وباستشهاد البطل عمر المختار، واجتياز آخر المجاهدين في طرابلس حدود ليبيا الجنوبية انتهت الثورة الليبية العظيمة التي قام بها شعبٌ صغيرٌ بدون مساعدة أو معين لمدة عشرين عاماً ضد دولة من أكبر وأعتى دول أوروبا، ولم تفرح إيطاليا أو تُبدي سعادتها بانتصارها على عمر المختار،

---

(1) غرازياني ، السلام الروماني في ليبيا ، ص358 .

فكانت الأخبارُ قليلة، والتعليقاتُ أقل، كأنهم خَجِلُونَ مما ارتكبوه من جرائم في سبيل الحصول على هذا الانتصار، وقد تلا نهاية الثورة حُلول عيد الفطر المبارك؛ فدعا رئيس بلدية بنغازي أعيان المدينة وتُجارها وموظفيها؛ إلى حضور حفلٍ ثاني يوم العيد بدار البلدية سيحضره الجنرال غرازياني، وذهب الناسُ إلى دار البلدية في ثاني أيام عيد الفطر المبارك، وهم واجمون ومتكدرون وغير راغبين في ملاقاة السفاح الكبير، إلا أن الرغبة في سماع ما سيقوله؛ لتبرير أعماله الإجرامية أجبرهم إلى الذهاب، وقد أمر غرازياني بإحضار عدد من المعتقلين في بنينا، فأتِيَ بهم، وجلهم من الشيوخ مكبلين بالحديد، وأوقِفُواْ بميدان البلدية، وقد تجمع حولهم العديد من المواطنين، الذين استبشروا بلقائهم، وتحدث غرازياني مع الأعيان، واتهم السنوسية بكل ما حدث من شر، ولم يعتذر عن أعماله ولا عما ارتكبه من جرائم، وأخيراً خرج إلى شرفة البلدية، وأطل على الجماهير وعلى المساجين، وألقى كلمة ألقى فيها مسئولية كل ما حدث على الشيوخ المساجين، ثم أمر بإطلاق سراحهم؛ وفكت الشرطة قيودهم، واندفع أقاربهم يحتضنونهم، ثم أخذوهم إلى دورهم، وكان لإطلاق هؤلاء المساجين أصداء فرح في بنغازي التي كان يُخيم عليها الحزن والألم، وقد انتظر غرازياني فترة طويلة أخرى قبل أن يُفرج عن باقي مساجين بنينا.

ولم تستعِد بنغازي ولا مُدن برقة الأخرى حياتها الطبيعية، حيث لازمها ولازم سُكانها الحُزن والكدر على ما آلات إليه أوضاعهم، وفي عام 1934م انتهت ولاية بادوليو، وغادر البلاد تصحبه اللعنات، وظل غرازياني يُمني نفسه بأن يكون خليفةً له، إلا أن موسوليني خيب رجاءه، وعين المارشال بالبو حاكماً عاماً لليبيا، فطرد غرازياني من ليبيا، وأمر بشطب اللوحات التي وضعها للإشادة بانتصاراته، وشكل لجنة للتحقيق فيما ارتكبه من أعمالٍ إجرامية، وغادر غرازياني بنغازي مطروداً تصحبه لعنات الأرامل والأيتام.

إن كفاح الليبيين ضد إيطاليا وما تخلله من معارك وانتصارات ومفاوضات وصُلح وحرب على مدى عشرين عاماً لا نجد له مثيلاً في أي بلدٍ احتله الأوربيون في العالم، وقد فقد الليبيون بنهاية الثورة جميع الآمال والأماني التي بنتها لهم ثورتهم على مدى عشرين عاماً، وأدركوا أنهم أصبحوا مستعمرين وعبيداً لإيطاليا، تفعل بهم ما تشاء، لأن المُدافع عنهم والمُقاتل من أجل حقوقهم والأبطال الذين ضحوا بحياتهم في سبيلهم قد انتهوا، وعم الحزنُ واليأسُ جميع أنحاء ليبيا؛ لأن نهاية الثورة تؤدي إلى تحقيق إيطاليا لجميع مخططاتها، بتحويل ليبيا إلى أرضٍ إيطالية يسكنها الإيطاليون، أما أهلها الأصليون فعليهم أن يعيشوا خدماً وعمّالاً للإيطاليين، أو يُهاجروا إلى البلدان المجاورة كما حدث في الأندلس، إلا أن إيطاليا بعد كلّ الّذي فعلته بالليبيين من جرائمَ وحشيةٍ وتقتيلٍ وسلبِ أراضٍ، لم تنعم بليبيا، ولا بتحقيق الأهداف التي دفعتها إلى احتلالها، فقد شاء القدر أن تخرج إيطاليا، وتُغادر ليبيا مهزومة ذليلة بعد أقل من ثمانِ سنوات، وأراد القدر أن يعوض ليبيا خيراً؛ فنالت استقلالها وحريتها وازدهرت بفضل ثروة البترول التي منحها الله لها، وهي اليوم ندٌّ لإيطاليا تتفاوض معها على قدم المساواة، وقد فرضت عليها أن يأتي رئيسها إلى ليبيا، ويعتذر للشعب الليبي، ويدفع له التعويضات عما أصابه.

وعاد المجاهدون الذين لجؤواْ إلى مصر في آخر الثورة، وقابلهم الشعب بكل ترحابٍ واحترام، وتحصلوا على مراكز جيدة في الدولة لمن استطاع منهم القيام بذلك.

وفي سنة 1979م عُرض شريط (عمر المختار) السينمائي الذي أخرجه (مصطفى العقاد) في أغلب بلاد العالم ماعدا إيطاليا، وقد عرف الناس من مشاهدة هذا الشريط عمر المختار، وبطولته، وقدراته العسكرية،

والهزائم التي ألحقها بإيطاليا، ودفاعه الطويل عن بلاده، واستشهاده على أيدي الإيطاليين الآثمة، وقد أُعتبر رمزاً من رموز الحرية في العالم أجمع.

نهاية المجرمين :

كانت نهاية المجرمين الأربعة الجنرال دي بونو (وزير المستعمرات)، والمارشال بادوليو (حاكم ليبيا)، والجنرال غرازياني (نائب الحاكم في برقة)، وموسوليني (رئيس الحكومة الإيطالية)، كانت نهايتهم مأساوية، وقد جازاهم الله على ما اقترفوه من مظالمٍ، وجرائم ، وأعمالٍ غير إنسانية في ليبيا.

نهاية الجنرال غرازياني :

بعد ما غادر غرازياني برقة مطروداً، اشتعلت بعد قليل حرب أثيوبيا، وعُين قائداً للفرقة الليبية، وقد انتصر الإيطاليون على الإثيوبيين بفضل استعمالهم للغازات السامة المحرمة دولياً، وقوات الطيران التي كان يفتقر إليها الأثيوبيون، وقد دخل بادوليو أديس أبابا، وزف البُشرى لرئيسه موسوليني، الذي أطلق على نفسه اسم مؤسس الإمبراطورية، ومنح الملك لقب إمبراطور، وبذلك أصبحت إيطاليا إمبراطورية، وعاد بادوليو إلى إيطاليا، وعُين بدله غرازياني كنائب للملك.

وعلى الرغم من احتلال إيطاليا للعاصمة، إلا أن أغلب الأراضي الإثيوبية كانت ثائرة، وكان المعارضون من الشبان بأديس أبابا نفسها، وقد تعرض غرازياني لمحاولة اغتيال إلا أن المحاولة لم تنجح، وأُصيبَ ببعض شظايا القنبلة التي أُلقيت عليه، وعاد غرازياني إلى إيطاليا؛ لتسند إليه بعد مصرع المارشال بالبو فوق طبرق قيادة القوات المسلحة الإيطالية في شمال أفريقيا وحاكم عام لليبيا، وهو الحلم الذي راوده مُنذُ عمله في برقة.

ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا ضد بريطانيا وفرنسا،

وقد أراد موسوليني أن يجاري هتلر في انتصاراته المتلاحقة في أوروبا؛ فأمر غرازياني بالهجوم على مصر، وقد قام بالهجوم ، واحتل سيدي براني في حين انسحبت القوات البريطانية إلى مرسى مطروح، ووقف غرازياني وقواته في سيدي براني، وكان يعمل على رصف طريق من حدود ليبيا إلى سيدي براني، ومد أنابيب مياه من ليبيا إلى نفس المنطقة، هذا في الوقت الذي عُرفت فيه الحروب بالسرعة وعدم التوقف، وكان موسوليني يضغط على غرازياني لمواصلة زحفه على مصر، إلا أن الأخير كان لا يُريد أن يتحرك؛ فقد كانت معه قوةٌ تُقدر بأكثر من مائتي ألف جندي إيطالي وقُرابة أربعين ألف جندي ليبي، وظلت هذه القوات الإيطالية توافقاً مع استراتيجية غرازياني متوقّفة لا تتحرك حتى فاجأها الإنجليز بقواتهم المدرعة؛ فهزموها وشتتوها وأسروا معظمها، وكان غرازياني يُسيّر المعركة من كهفٍ بالبيضاء على بُعد 400 كم من الجبهة، وقد ارتبك وجبن ولم يعرف كيف يتصرف؛ لأنه حارب طول حياته قوات صغيرة من الليبيين الذين كانوا لا يملكون غير البنادق، وعندما التقى بقواتٍ عصرية؛ فقد توازنه، وفر إلى طرابلس يريد أن يُدير المعركة من هناك، وكانت هزيمة نكراء ومشينة، ودلت على عجزه وجبنه، وعدم قدرته على قيادة قواتٍ في معارك حديثة، وأُتهم بالخيانة، وقُدم للمحاكمة، إلا أن موسوليني رأف به، وحال دونه ودون هذه الفضيحة.

وكتب الكونت تشانو في مذكراته أن موسوليني يتهم غرازياني بالخيانة، عندما وقع الهجوم البريطاني على الخطوط الإيطالية ودمرها، ووصل الخبر إلى روما، وتقبله موسوليني بهدوء كما لو أن الموضوع لا يهمه، وكان يُعلق على الأمور بموضوعية، ولم يُدرك خطورة الموقف، وقد دُمِّرتْ في الهجوم 4 فرق إيطالية كاملة، وغرازياني لا يدري ماذا يفعل، ولا يتحدث عن عمله المقبل، وكان موسوليني هادئاً؛ لأنه كان يعتقد أن غرازياني لازال قادراً على إيقاف زحف العدو.

وأرسل غرازياني يوم 12 سبتمبر 1942م برقية إلى موسوليني، يطلب موافقته على الانتقال إلى طرابلس لمواصلة القتال.

ويقول غرازياني إن موسوليني دعاه إلى روما قبل المعركة، وكان حاضراً بادوليو، وتحدثنا في موضوع الهجوم، وحاولت أن أشرح بعض الأوضاع، إلا أن بادوليو قال لنذهب إلى سيدي براني أولاً، ثم نرى فيما بعد.

وعندما ألف موسوليني جمهوريته الاجتماعية برعاية ألمانيا، وكانت جُمهورية اسمية لا حول لها ولا قوة، وقد أسرع غرازياني ليعرض خدماته على موسوليني، فاختاره وزيراً للحربية، وكان وزيراً بدون وزارة ولا جيش؛ لأن الشعب الإيطالي كُله كان ضد موسوليني، وضد الألمان، وضد هذه الجمهورية.

وعندما احتل الأمريكان شمال إيطاليا، انسحبت القوات الألمانية من المدن الشمالية، ولم يتبع غرازياني سيده موسوليني في محاولاته الوصول إلى سويسرا بل فر وسلم نفسه للقوات الأمريكية.

وقد سلمه الحُلفاء لقوات المقاومة التي أودعته سجن ميلانو، وقد شعر من معاملة المقاومين وكلامهم أنهم ينون قتله؛ فطلب من السجان إرسال راهبٍ ليعترف له قبل موته، وعندما كان غرازياني ينتظرُ أن يأتوا لأخذه وإعدامه طُلب منه الخروج من السجن حيث كانت سيارة أمريكية في انتظاره، فنقلته إلى المطار حيثُ وُضع على ظهر طائرة نقلته إلى الجزائر، فأُودع سجنها مع مجرمين آخرين، وظل مسجوناً بالجزائر حتى يوم 16 فبراير 1945م، ثم نُقل غرازياني من الجزائر بالطائرة إلى إيطاليا وسُلم إلى الشرطة بصفته أسيراً، حيثُ نُقل إلى السجن، ووضع في قسم الزنزانات الذي كان مسجوناً به عددٌ من المجرمين، وقد ساءت صحة غرازياني، وقامت زوجته بمساعي لنقله إلى المستشفى، وبعد ما يزيد عن خمسين يوماً

نُقل إلى المستشفى، وظل في السجن إلى عام 1947م، وغادره بعد ذلك إلى بلدته عليلاً، وبقي فيها حتى وافته المنية.

نهاية المارشال بادوليو:

قد احتلت القوات الإيطالية جزيرة صقلية في عام 1943م، وبدأت زحفها على إيطاليا القارية، وفزع الشعب الإيطالي وجزع، وطلب أعضاء المجلس الفاشيستي الأعلى اجتماعاً مع موسوليني، وتم الاجتماع في روما، وهاجم الأعضاء موسوليني واتهموه بأنه السبب في كل ما حل بإيطاليا من كوارث، وقدم مشروع قرار وافقت عليه الأغلبية، يطلب من الملك إقالته واستلام شؤون البلاد، وفي اليوم التالي زار موسوليني الملك، فأطلعه على قرار مجلس الفاشيست الأعلى الذي يُطالب الملك بإعفائه من منصبه، وقال له: إني أقلتك وعينتُ بدلك المارشال بادوليو، وعند خروج موسوليني من مقابلته للملك، اتصل به رئيس مخابرته، وأخبره بأن هناك مؤامرة لاغتياله، فيستحسن أن لا يعود إلى داره بسيارته، وأشار عليه بركوب سيارة إسعاف كانت جاهزة، ونقلته سيارة الإسعاف إلى جزيرة (ألبا) حيثُ سُجن هناك، وبعد مدة خُشي أن ينقذه أعوانه؛ فوضع في سجنٍ بأعلى الجبل.

وتولى بادوليو الحُكم في إيطاليا، وقد شرع مُنذُ بداية حُكمه في الاتصال بالحلفاء؛ للاتفاق معهم على استسلام إيطاليا، وكانت هذه الاتصالات تدور في الخفاء دون عِلم ألمانيا، وعندما تم الاتفاق، وقبل الحلفاء استسلام إيطاليا، طلب منهم بادوليو عدم إعلان النبأ إلا بعد أن تعود القوات الإيطالية الموجودة خارج البلاد؛ للدفاع عن الوطن ضد الألمان، إلا أن الحلفاء لم يبروا بوعدهم، وفجأة أعلنوا استسلام إيطاليا، فدب الفزع والخوف والارتباك في روما، وأخيراً تقرر أن يُغادر المدينة في نفس الليلة بادوليو وحكومته والملك والأسرة المالكة الذين فروا من روما على ظهر طرادة بحرية نقلتهم في نفس الليلة إلى جنوب إيطاليا، حيثُ سلموا أنفسهم لأعدائهم السابقين الأمريكان.

غادر بادوليو روما عاصمة حكومته على عجل، وتركها بدون حكومة وبدون من يُدافع عنها، لقد كان العمل الذي ارتكبه بادوليو بمغادرة روما دون أن يدافع عنها ضد الألمان أو يحميها عملاً مشيناً، ولم يغفر له الإيطاليون جبنه هذا، وتخليه عن بلاده، وهي في أشد الحاجة إليه، ثم يلجأ ليحتمي بأعدائه، وقد قضت هذه العملية على سمعة بادوليو ومكانته العسكرية، وقد عاد إلى داره، وانزوى فيها مدحوراً مذموماً إلى أن جاءته منيته.

نهاية الجنرال دي بونو:

كان الجنرال دي بونو عضواً في مجلس الفاشيست الأعلى، وقد شارك في الاجتماع الذي طلب فيه المجلس إقالة موسوليني، وعلى الرغم من علاقته المتينة بموسوليني، وكونه أحد الأربعة الذين قاموا بالثورة، فقد صوت مع مشروع القرار الذي طالب بإقالة موسوليني، ولم تنته الحرب باستسلام إيطاليا للحلفاء، بل قُسمت إيطاليا إلى قسمين: واحد شمالي بيد الألمان، وآخر جنوبي بيد الحلفاء، واستمرت الحرب بين الطرفين، أكثر من عام، شعر خلالها أعضاء المجلس الفاشيستي الأعلى الذين صوتوا ضد موسوليني بأن الألمان سيلاحقونهم؛ ولذلك غادروا إيطاليا إلى الخارج باستثناء الجنرال دي بونو وثلاثة آخرين من بينهم الكونت تشانو صهر موسوليني ووزير خارجيته، وقد استطاع الألمان القبض عليهم ، وأُودعوا السجنَ لفترة من الزمن، ثم قدموا إلى محكمة ألمانية، فحكمت عليهم جميعاً بالإعدام، ونُفذَ حُكم الإعدام في الأربعة ومعهم الجنرال دي بونو الذي كانت تهمته الخيانة، وقد انتهى هذا الجنرال هذه النهاية المخزية البشعة.

نهاية موسوليني:

بعد أن احتلت ألمانيا شمال إيطاليا وروما، عرض هتلر على

موسوليني تكوين جُمهورية في شمال إيطاليا، تُحاربُ إلى جانب ألمانيا، وكون موسولني الجمهورية، وأرادا أن يُعد جيشاً من الشباب الإيطالي، إلا أن هؤلاء الشباب رفضوا الحرب إلى جانب ألمانيا، وانتشروا في الجبال مكونين قوة مقاومة ضد موسوليني والألمان، وكانت القوات الإنجليزية تُساعدهم بمدهم من الجو بالمؤن والأسلحة، وقد تألفت منهم قوة كبيرة وقفت بالمرصاد للقوات الألمانية.

وعندما زحف الأمريكيون إلى شمال إيطاليا واحتلوا ميلانو، قرر موسوليني السفر بما معه من قوات إلى سويسرا، وبينما كان سائراً في اتجاه سويسرا بدأت قواته تتخلى عنه حتى غدا وحيداً، وقد خشي أن يعرفه المقاومون فطلب من الألمان أن ينضم إلي جنودهم المنسحبين، وفي نقطة تفتيش (كومو) صعد المقاومون إلى سيارة ألمانية وفتشوها، فوجدوا موسوليني ضمن رُكابها، فألقوا القبض عليه، وأودعوه منزلاً قريباً، وبعد قليل وصلت السيارة إلى نقطة التفتيش وبداخلها عشيقة موسوليني (كلارا بيتتشي) وأخوها وكانا يحملان جوازات سفر أسبانية، وسمعت كلارا الناس يتحدثون عن موسوليني، فسألتهم ما الخبر، فأجابوها بأنه تم اعتقاله، فأعلنت عن شخصيتها، وطلبت أن يضموها إليه.

وكانت لجنة التحرير الإيطالية بميلانو قد طلبت من المقاومين إرسال موسوليني إلى ميلانو، فخشوا أن يتم تسليمه إلى الأمريكان الذين سينقذون حياته، فأخذوه وعشيقته وأطلقوا عليهم الرصاص فقتلوهما، ثم أرسلوا جثتيهما إلى ميلانو، فتولى الجمهور الغاضب تعليقهما من قدميهما في محطة بنزين مدمرة، وظلا معلقين والإيطاليون يتوافدون لرؤيتهما، والبصق عليهما، وضربهما بالأحذية، ثم جاء الأمريكيون فأنزلوهما، وأمروا بدفنهما.

هذه نهاية المجرمين الأربعة الذين أذاقوا الشعب الليبي الويلات، وقتلوا أبناءهم وشنقوهم، وأرسلوا مائة ألف شخص إلى المعتقلات المخيفة في

صحراء سرت، لقد انتقم الله منهم، وكانت نهايتهم مزرية تُطابق أعمالهم الإجرامية التي ارتكبوها في ليبيا.

ردود الفعل في الصحافة الإيطالية :

عندما غزت إيطاليا ليبيا عام 1911م، وعدت شعبها أنها ستكون نزهة عسكرية، وعندما أنزلت قواتها في بنغازي وطرابلس، وواجهت معركة الشاطئ، ومعركة جليانا؛ أدركت أن النزهة العسكرية قد تحولت إلى حربٍ شعواء، وكتمت ما يقع في ليبيا عن الشعب الإيطالي طيلة عشرين عاماً؛ خشية من ردود فعل الشعب الإيطالي عندما يعلم بمبلغ الخسائر والتضحيات التي تكبدها أبناءه في ليبيا، وفي يوم 15 سبتمبر 1931م أذاعت وكالة ستفني نبأ أسر عمر المختار ومحاكمته والحكم عليه، وقد علقت الصحف الإيطالية على هذا النبأ، إلا أنه بعد استشهاد البطل يوم 16 سبتمبر اهتمت جميع الصحف الإيطالية بالنبأ، والتعليق عليه، فعمر المختار الذي قاد النضال الليبي في أسمى معانيه ضد القوات الإيطالية، سواء من حيث مواهبه العسكرية التي أثبتها منذ أوائل هذا القرن في الكفاح ضد التغلغل الفرنسي إلى داخل مناطق الجنوب الليبي، أم لكفاءته السياسية، وولائه، وإخلاصهْ، وهيبتُه كرجل دين ورع، كانت تضفي عليه هالة من الاحترام والتقدير، وتعطيه نفوذاً معنوياً عظيماً، فلم تستطع الصحف الإيطالية عندما علقت على عمر المختار هذا البطل العظيم أن تجاري سياسية الحكومة الإيطالية في عدائها له، بل أرغمت على الإشادة به، وبصفاته، وقدراته العسكرية، ومقاومته للإيطاليين على مدى عشرين عاماً.

وقد كتبت صحفية (لاستامبا) الصادرة بتورينو يوم 16 سبتمبر 1931م تقول في هذا الصدد: (يتمتع عمر المختار بكافة أوصاف القائد والرئيس العربي: البراعة، وفنون القيادة،والمهابة، وإدراك معنى العدالة، فهو جندي

ورئيس ممتاز، والعصيان في برقة الذي ظل متأججاً إلى يوم أمس، بفضل ما ظل يتمتع به هذا الشيخ من سلطة وثقة به وبشخصيته، وعمر المختار الذي يناهز السبعين من العمر قد حنكته تجارب وتقلبات صادفته في ميادين القتال إلى درجة أنه أصبح مشهوراً بتحصنه من الأذى والمناعة من الموت لدى أتباعه، فسقطت الأسطورة، وسقط الرجل، عمر المختار أعظم دعامة في صرح العصيان على جبل برقة).

وكتبت صحيفة (جورنالي ديتاليا) الصادرة بروما يوم 17 سبتمبر 1931م تقول: (...، وتتوفر في عمر المختار مميزات المقاتل والزعيم العربي: وقار السن، وشجاعة الشخصية، والتمكن من فنون القيادة، والمكانة المرموقة في العالم العربي، فهو جندي جيد، ورئيس ممتاز، ومن ثم فهو مرهوب الجانب بقدر ما هو عدو أبي، وتقدمه في السن، حيث أنه ناهز السبعين، وأحداث وتقلبات المعارك العديدة التي خاضها، أضفت عليه شهرة الحصانة والمناعة من الإصابات لدى أتباعه، وعندما نُفذت التدابير الصارمة التي اتخذها غرازياني بفرض الارتباط بالأرض على أهالي الجبل شبه الرحل، واستقرارهم بميادين الإقامة الجبرية لدى الساحل، قطع عمر المختار، برهافة حس سياسي رفيع، كل صلة بمخيمات المعتقلين، حرصاً منه على تجنيبهم ويلات القمع، وكذلك على الحفاظ على مكانته، وجاهه كرئيس لدى الأهالي).

وصحيفة (الرستو ديل كارلينو) الصادرة ببولونيا يوم 17 سبتمبر 1931م، فقد أعادت الكلام الذي نشرته جريدة (لاستامبا)، وأضافت إليه ما نشرته صحيفة (جورنالي ديتاليا) حيث قالت: (عندما نُفذت التدابير الصارمة التي اتخذها غرازياني، وفرضها على الأهالي شبه الرحل؛ لربطهم بالأرض في مخيمات إقامة جبرية، قطع عمر المختار، برهافة حس سياسي

رفيع كل صلة بالقبائل المعتقلة، تحاشياً لتعريضها لعمليات القمع والتنكيل، ومن ثم توخياً للمحافظة على مكانته وجاهه كرئيس لدى الأهالي).

وكتبت صحيفة (ال تيلغرافو) الصادرة بليفورنو في يوم 17 سبتمبر 1931م تقول: (يفقد العصاة بوفاته داعية نضال من الدرجة الأولى، ورئيس يتمتع بسلطة ونفوذ لا جدال فيها، فما كانت تعوزه في الواقع لا براعة القيادة، ولا أصولها، ولا المهابة الشخصية المقرونة بتمسكه بالعدل والإنصاف، كان عدواً أبياً رغم تقدمه في العمر، إذ أنه ناهز السبعين، وأصبح من الصعب على العصاة إيجاد خلفٍ له، تكون له نفس الصولة والمكانة التي كان يتمتع بها عمر المختار).

وكتبت صحيفة (كوريري ديلا سيرا) الصادرة في ميلانو بتاريخ 17 سبتمبر 1931م، تصف عمر المختار: (زعيم أبي ، وعنيد إلى أقصى حد لحركة العصيان).

وكتبت صحيفة (لابرو فينتشا) الصادرة بكومو يوم 17 سبتمبر 1931م، حيث قالت: (...أبي عزيز النفس، وعنيد إلى أبعد حد، كان القائد الوحيد بين القادة في ليبيا الذي تمسك على مدى عشرين عاماً بموقف العدو اللدود لنا دون أن يتزحزح).

وكتبت صحيفة (القرن التاسع عشر) الصادرة بجنوا يوم 17 سبتمبر 1931م تقول: (كان عمر المختار زعيم حركة العصيان دون منازع، زعيم له سلطة لا جدال فيها، وبراعة خارقة في القيادة، ظل يقاتل ضد الإيطاليين بتصميم لا يفتر، وبمكر لا يصدقه العقل، فهو مقاتل فذ، لا يشق له غبار، وحتى بعدما اجتاز سن السبعين، كان مازال يعتبر عدواً شهماً وأبياً، قوي الشكيمة، مرهوب الجانب).

وكتبت صحيفة (روما) الصادرة في نابولي يوم 17 سبتمبر 1931م، تقول:(عمر المختار البالغ من العمر 74 سنة، كافح ضد الإيطاليين بإصرار

وتصميم وشجاعة ما كان بالإمكان عدم الاعتراف له بها، فهو سريع التحرك إلى أقصى حد، وماكر، ولم يتهاون أبداً أو يرضخ حتى النهاية).

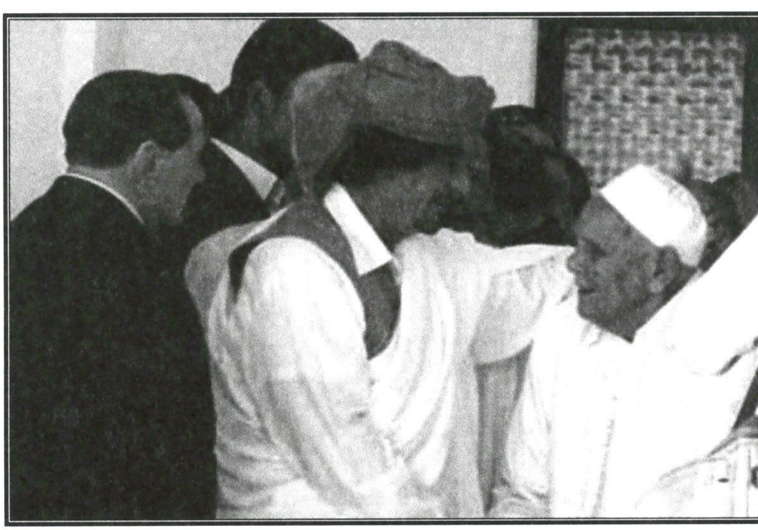
وكتبت صحيفة (التامب) الفرنسية الصادرة في باريس تقريراً مسهباً علقت فيه على عملية القبض على عمر المختار كما يلي: (تلقت بذلك أخر حركة لمقاومة إيطاليا في ليبيا، ضربة من اشد الضربات التي نزلت على رأسها حتى الآن، إذ أن حركة العصيان في برقة كانت تعتمد في الكامل على شجاعة عمر المختار، وشدة بأسه، وما ظل يتمتع به من مكانة ونفوذ شخصي، وجاه، ويمكن مقارنته، والقياس مع الفارق الكبير بعبد القادر، فهو كان على كل حال زعيماً من طينة خاصة، له لباقة وبراعة في القتال صقلتها التجارب والاختبار الطويل، لقد تعرض مراراً لخطر الوقوع بيد الإيطاليين، ولكنه كان يتمكن من الإفلات بمعجزة في كل مرة، ومناقبه والمعارك المتكررة التي خاضها، ولم يصب خلالها بأذى، أكسبته شهرة التحصن والمناعة من الإصابات، أو الوقوع في الأسر، وفضلاً عن ذلك، كان يعتبر حربه جهاداً، وعلى هذا الأساس كان يمثل المقاتل المسلم الذي واصل كفاحه، ومقاومته ضد الاحتلال الإيطالي، وهذا ما يحمل على إدراك مدى خطورة القبض عليه، كما يجوز القول إنه باختفاء عمر المختار قد انهار نهائياً آخر معقل ضد التغلغل الأوروبي إلى الشمال الأفريقي)

وكتبت كُبريات الصحف البريطانية (التايمس) مقالاً، سلكت فيه أسلوب الصحف الفاشستية، وأشادت على حد تعبيرها بالنجاح الباهر الذي حققته القوات الإيطالية على ثوار ليبيا.

أما بقية الصحف الإيطالية الأخرى، فقد نشرت الحادث، وعلقت عليه بعبارات نابية، وبالأسلوب الذي كانت تُريده الحكومة الفاشيستية.

وقامت صُحف المعارضة للفاشيستية خارج إيطاليا بالاهتمام بموضوع ليبيا، فكتبت جريدة (افانتي) لسان حال الحزب الاشتراكي الإيطالي، والتي تصدر في باريس بتاريخ 27 سبتمبر 1931م، ما يلي: (...كما سقط

"قورطان"، أبو شهداء "بولا" الأربعة، كذلك سقط عمر المختار، شهيداً جديداً، لقضية ليست قضيتنا، ولكنه سقط ضحية عدونا المشترك، في سبيل تحرير بلاده، من شرازم الفاشيست السفاحة، إن الفظائع الرهيبة التي اقترفها الفاشيست في ليبيا، والتي تتجسد في الإبادة المنتظمة للأهالي، ونفي الأطفال إلى إيطاليا؛ لقلبهم إلى عبيد وكاثوليك، إلى اعتقال آلاف من العرب في ميادين على الساحل؛ لقتلهم البطيء جوعاً، وإلى الإلقاء بالزعماء العرب إلى الأرض من على متن الطائرات المحلقة في الجو، متعة لأصحاب القمصان السوداء، معروفة من جميع أرجاء العالم، وضد هذه الفظائع التي ليس من السهل وصفها، كان قد نزل عمر المختار إلى الميدان، ليكافح بهمة الأبطال على رأس جماعة من الشبان والشجعان، وبعدما تغلب عليه العدو بعدده وأسلحته المتفوقة، ووسائله الحديثة، وقع عمر المختار في الأسر، واقتيد أمام محكمة هزيلة أقامها أصحاب القمصان السوداء، وهناك، وبهامته الشامخة، وفي شمم وإباء، صرخ في وجوه دمى الفاشية القذرة، بحقده العارم عليهم، فمات موتة الأبطال، المجد للشهيد الجديد، فلنتذكره هو أيضاً في يوم الحشر).



القائد معمر القذافي يحيي الحاج محمد بن عمر المختار وإلى جانبه رئيس وزراء إيطاليا برلسكوني.



برلسكوني رئيس الوزراء الإيطالي يعتذر إلى الحاج محمد بن عمر المختار عما اقترفته إيطاليا من أعمال مشينة ضد الشعب الليبي.

بعد نهاية الثورة كتب غرازياني في كتابه (السلام الروماني في ليبيا) إحصائية العمليات الحربية التي دارت بينه وبين عمر المختار، فذكر أنه قد دارت بين الطرفين 56 معركة كبيرة، و121 معركة صغيرة، وكانت خسائر الجيش الإيطالي في هذه المعارك ثلاثة ضباط قتلى، وستة ضباط جرحى، و135 جندياً مقتولاً، و264 جرحى، و30 بندقية ضاعت أثناء القتال.

أما عن خسائر المجاهدين، فقد ذكر أن 1641 عدد القتلى، مع اختفاء جميع المشائخ، وعدد المستسلمين 541، و326 بندقية سُحبت من الثوار بعد الاستسلام، وأربع مدافع، و3 رشاشات، غُنمت من الثوار.

وذكر غرازياني أن عدد الحيوانات التي قُتلت أو غُنمت وجُلها حيوانات الأهالي، كالتالي: 6640 جملاً، و917 فرساً، و84 بقرة، وعدد الأغنام كان 21,787 رأساً.

وكتب يقول عن عدد الثوار الذين بقوا على الجبل بعد استشهاد عمر المختار، أن عددهم كان 714 ثائراً، تم تصفيتهم على النحو التالي: 280 ثائراً قُتلوا، و136 ثائراً اجتازوا الحدود، و298 ثائراً استسلموا[1].

والإحصائيات التي ذكرها غرازياني غير صحيحة في مجملها، فهو يقول إن عدد الشهداء من الثوار بلغ 1641 رجلاً، في حين أنه ذكر من قبل أن عدد الثوار كان ما بين 600 و700 ثائر ولا يزيد على الألف، وقد وقعت المعارك مع غرازياني في وقت كانت جميع القبائل تحت الرقابة، وقد حرّم عليها الاتصال بالمجاهدين، ثم أُبعدوا إلى صحراء سرت، وظلت المنطقة من الحدود المصرية إلى توكرة منطقة خالية من السكان والحيوان، وباعتراف الإيطاليين أن الذين فروا من السكان، وانضموا إلى قوات عمر المختار لا يزيد عددهم عن عشرة أو خمسة عشر رجلاً، إذاً من أين أتى عمر المختار بالمتطوعين الذين حلوا محل الألف وستمائة وأربعين شهيداً.

أما خسائر الإيطاليين، لو فرضنا أن الستة وخمسين معركة الكبيرة التي اعترف بها غرازياني خسر الجيش الإيطالي عشرة جنود فقط، وفي المائة وعشرين معركة صغيرة التي دارت بين الطرفين خسر رجلين في كل معركة، لارتفع عدد القتلى إلى أكثر من سبعمائة جندي، وهذا هو الأسلوب الإيطالي الذي اتبعته القيادة الإيطالية في ليبيا منذُ احتلالها للبلاد عام 1911م، وهو التضخيم في خسائر العدو، والتقليل من الخسائر الإيطالية، فعندما بدأ الغزو وعدت الحكومة الإيطالية الشعب الإيطالي بأن احتلال ليبيا سيكون عبارة عن نزهة عسكرية، إلا أنه بعد الاحتلال، وبعد معارك الشاطئ وجليانة، أدركت القيادة الإيطالية أن النزهة العسكرية تحولت إلى حرب شعواء، وأنه يجبُ إخفاء أخبار الخسائر عن الإيطاليين؛ خشية ردود فعلهم الكبيرة عندما يعلموا بالعدد الكبير من أبنائهم الذين يُقتلون في ليبيا.

---

(1) غرازياني ، السلام الروماني في ليبيا ، ص360.

وذكر غرازياني في أول كلامه أن المجاهدين الذين استسلموا كانوا 541، ثم عاد فكتب في مكان آخر أن عددهم 298، وأن الذين اجتازوا الحدود 136 مجاهداً، في حين أن الذين اجتازوا الحدود يتجاوز عددهم المائتين بكثير، ولم يُشر غرازياني إلى جهوده الكبيرة خلال معركته مع عمر المختار، ومعاركه الفاشلة الواحدة تلوى الأخرى، وما كان لغرازياني أن يحظى باعتقال عمر المختار لولا اعتقال السكان، وقتل الأبرياء، وإقامة الأسلاك الشائكة على الحدود الشرقية، واحتلال الكفرة، وجميع أعمال القمع، والإبادة التي اقترفها ضد شعب صغير لا يتجاوز عدده المائتي ألف نسمة، والذي لم يتغلب عليه بقوة السلاح التقليدية، فلا محل للافتخار بالتغلب على الثوار؛ لأنهم وقفوا في وجه إيطاليا سنوات طوالاً، وأذاقوها الهزائم والخسائر، وشوهوا سمعتها العسكرية، فشعب ليبيا الصغير وقف ضدها يُقاومها على مدى عشرين عاماً، وهو الأمر الذي لم يقع في أي مستعمرة أخرى احتلها الأوروبيون.

ويبدو من إحصاء تركي جرى عام 1910م، أنه كان في برقة 1.259.300 رأس من الأغنام والماعز، و83.300 رأس من الإبل، و27 ألف رأس من الخيول، و23.600 رأس من البقر، وعندما رُحّل الأهالي إلى المعتقلات كان معهم قُرابة 600 ألف رأس من الأغنام والماعز، قُضي على أغلبها؛ بسبب عدم وجود المرعى، فضلاً عن الإجراءات العسكرية التي اتخذتها الحكومة من أجل منع وصولها إلى الثوار، وجاء في تقرير للجنرال غرازياني أنه كان يوجد في برقة عام 1930م 270 ألف رأس من الأغنام والماعز، وفي عام 1931م نقص هذا العدد إلى حوالي 67 ألف رأس، وكان يوجد من الإبل في عام 1930م 39.600 رأس نزلت في عام 1931م إلى 16 ألف رأس، وهبطت في العام التالي إلى 11 ألف رأس، وكان عدد الأبقار في عام 1930م 4000 رأس، وقد نزلت إلى 1800 رأس في عام 1931م[1].

---

(1) إيريك ساليرنو ، المذابح في ليبيا ، ص81.

لقد قاوم عمر المختار الإيطاليين عشرين سنة، وأذاقهم الخسائر والهزائم، وقد اضطرت الحكومة الإيطالية إلى تغيير ثلاثة ولاة في العشر سنوات التي تولى فيها عمر المختار قيادة الثورة بالجبل الأخضر، وذلك لفشلهم في القضاء على الثورة، وقد فشلت إيطاليا الدولة الأوروبية الكبيرة في القضاء على حفنة من الثوار الليبيين، واضطرت إلى استعمال الوسائل اللاإنسانية؛ للقضاء عليهم، وعمر المختار لم يكن يُحارب وحده، بل كان وراءه أبطال آخرون وهبوا حياتهم لله والوطن، وكان وراءه شعب برقة بأكمله، يُسانده، ويمده بالرجال، والأموال، والسلاح، وأخبار تحركات القوة الإيطالية،فشعب برقة بأكمله تحمل انتقام الإيطاليين، وشنق الرجال، وقتل الأبرياء، ولم يتخل عن مساعدة الثورة إلا بعد أن أصبح ذلك مستحيلاً عليه، لقد ضرب الشعب الليبي المثل الأعلى في الكفاح والتضحية من أجل الحرية ما لم يحدث مثله في أي بلد استعمره الأوروبيون، ولم يُلق السلاح إلا وهو في الرمق الأخير، سواء في الجبل الأخضر أم في جنوب طرابلس، فالقوة الجبارة الإيطالية بكل أسلحتها المتطورة، وطائراتها، ومدرعاتها، ومدافعها، وجنودها الإرتريين، والإيطاليين، والمرتزقة من العرب، لم تستطع التغلب على حفنة من الثوار الأبطال، إلا بعد أن قامت بعزلهم تماماً بطرق لا إنسانية، وقطعت عنهم المؤن التي كانت تصلهم من مصر، وواصلت القتال معهم دون أن تُفلح في إخضاعهم، لولا أن سقط عمر المختار أسيراً بين أيديهم.

لقد استطاعت إيطاليا أن تبسط سيادتها على كامل الأراضي الليبية، بعد عشرين سنة من قتال خسرت فيه الآلاف من جنودها، والملايين من أموالها، وتلطخت سمعتها العسكرية في العالم؛ لفشلها في القضاء على المقاومة الليبية طيلة هذه المدة، ولم تأبه بعد نهاية الثورة بإصلاح ما سببته للوطنيين الليبيين من مآسٍ وخسائر في الأرواح والأموال والحيوانات، بل اتجهت رأساً إلى وضع يدها على أراضي الجبل الأخضر التي أخرجت سكانها منها، وشرعت

في إعداد، وإصلاح الأراضي؛ لتستقبل أفواج المستوطنين الإيطاليين الـــذين سيأتون من إيطاليا، وذهب بادوليو وذهب غرازياني، وحل مكانهما المارشال بالبو، الذي بذل كل جهده في تحقيق المشروع الاستيطاني، وقد جند خيـــرة شركات إيطاليا المعمارية، وجاء بالآلاف من العمال الإيطاليين، وبالآلاف من العمال الليبيين؛ وذلك لبناء القرى الاستعمارية.

وفي ظرف ستة أشهر تم بناء سبع عشرة قرية، بها 1700 مزرعـــة، وكل مزرعة تحتوي على عدة كيلومترات من الأرض الصالحة للزراعـــة، وعلى مجموعة من الحيوانات، وعلى بئر للمياه، وعلى المعدات الزراعيـــة، وقد تم تأثيث كل منزل، وتزويده بالمأكولات المعلبة، وخُصصت لكل عائلـــة راتب قدره 400 ليرة كل شهر، وجاء بالبو بعشرين ألف معمر دفعة واحدة، وكان يريد مثلهم في كل عام، حتى تمتلئ برقـــة بـــالمعمرين الإيطـــاليين، وتصبح بحق قطعة من إيطاليا، واستلم المعمرون مزارعهم الجديدة، وشرعوا في العمل الزراعي والإنتاج، وزراهم موسوليني عند زيارتـــه لليبيـــا عـــام 1937م، وسر بهم، وشجعهم على المضي في عملهم، ووعدهم بمجيء أفواج أخرى من المعمرين، وبحماية إيطاليا لهم، أما العرب أصحاب الأرض فقـــد عاشوا في أراض غير صالحة للزراعة، أو الرعي، أو في أراض لم تـــصل إليها يد الاستعمار بعد.

وقد تشتت سكان الجبل الأخضر، فأغلب الرجال كانوا يعملون في بناء الطرق الإيطالية، أما الباقون فقد عادوا ليسكنوا في أطراف الجبل الأخـــضر بعيداً عن أرضهم التي أخرجوا منها، واحتلها المعمرون.

وفصل بالبو سكان برقة ما بين شماليين وجنوبيين، وادعى أن الشماليين سيندمجون في الإيطاليين، وأما الجنوبيون فيبقون مكانهم، أو يهـــاجرون إلـــى البلاد المجاورة إلا أن القدر خيب كل أمالهم وأحلامهم ومساعيهم، فقد خرجت إيطاليا بعد سنوات قليلة مهزومة ذليلة، تجر أذيـــال الخيبـــة، وخـــرج معهـــا

العشرون ألف معمر، بعد أن تركوا وراءهم أحلامهم، وأراضيهم، ومساكنهم، فخرجوا من ليبيا باكين على النعيم الذي فقدوه، وعاد الليبيون إلى أراضيهم، واحتلوا المزارع والقرى التي خلفها المستعمرون، وكان هذا جزاء إيطاليا على كل ما اقترفته في الثلاثين عاماً التي استعمرت فيها ليبيا.

وقد استقلت ليبيا، وأصبحت دولة مرموقة بالبحر الأبيض المتوسط، وأصبحت علاقتها بإيطاليا علاقة الند للند، وجاء رئيس وزرائها إلى ليبيا، واعتذر للشعب الليبي، وتعهد بتعويضهم عن الخسائر والتضحيات التي تسببت فيها إيطاليا الاستعمارية.

وازدهرت ليبيا، وارتفع شأنها بعد العثور على البترول في باطن أراضيها، وأصبح اليوم عدد سُكانها يُقارب الستة ملايين نسمة، بعد أن كان في عهد بادوليو يُقدر بسبعمائة ألف نسمة، وأصبحت لديها عشرات الجامعات، ومئات آلاف الطلبة الجامعيين، بعد أن كان التعليم في العهد الإيطالي لا يتجاوز المرحلة الابتدائية، وتمت في ليبيا إنجازات عظيمة، من بينها النهر الصناعي الذي يمتدُّ من قلب الصحراء إلى الساحل، ويُزود شمال ليبيا بالمياه العذبة، وإنجازات حضارية أخرى شملت ليبيا، وغيرت معالمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فقد عوض الله ليبيا خيراً عن كل ما أصابها خلال فترة الاستعمار الإيطالي من دمار، وقتل، واعتقال، وتشريد.

ملـحـق

القصائـد التي نظمـها الشعراء العرب في رثـاء عمـر المختـار

قصيدة أحمد شوقي (أمير الشعراء)

ركــزوا رفاتــك في الرمــال لــواء ... يــستنهض الــوادي صــباح مــساء
يــا ويحهــم نــصبوا منــاراً مــن دم ... يــوحي إلى جيــل الغــد البغــضاء
مــا ضــر لــو جعلــوا العلاقــة في غــد ... بــين الــشعوب مــودة وإخــاء
جــرح يــصيح علــى المــدى وضــحية ... تتلمــس الحريــة الحمــراء
يــا أيهــا الــسيف المجــرد بالفــلا ... يكسو السيوف على الزمان مضاء
تلــك الــصحاري غمــد كــل مهنــد ... أبلــى فأحــسن في العــدو بــلاء
وقبــور مــوتى مــن شــباب أميــة ... وكهــولهم لم يبرحــوا أحيــاء
لــو لاذ بــالجوزاء مــنهم معقــل ... دخلــوا علــى أبراجهــا الجــوزاء
فتحــوا الــشمال ســهوله وجبالــه ... وتوغلــوا فاســتعمروا الخــضراء
و بنــوا حــضارتهم فطــاول ركنهــا ... دار الــسلام وجلــق الــشماء
خيرت فـاخترت المبيت علـى الطـوى ... لم تــبن جاهــا أو تلــم ثــراء
إن البطولـة أن تمـوت علـى الـضما ... ليــس البطولــة أن تَعُــب المــاء
أفريقيـا مهـد الأسـود ولحدهـا ... ضــجّت عليــك أراجــلاً ونــساء
و المـسلمون علـى اختلاف ديـارهم ... لا يملكــون مــع المــصاب عــزاء
و الجاهليــة مــن وراء قبورهــم ... يبكــون زيــد الخيــل والفلحــاء
في ذمــة الله الكريــم وحفظــهِ ... جــسد ببرقــة وُسِّــد الــصحراء
لم تبـقِ منـه رحـى الوقـائع أعظمـا ... تبلــى، ولم تبــق الرمــاح دمــاء
كرفــات نــسر أو بقيــة ضيــغم ... باتــا وراء الــسافيات هبــاء
بطـل البـداوة لم يــكن يغـزو علـى ... تنــك ولم يكــن يــركب الأجــواء

لكن أخو خيل حمى صهواتها   وأدار من أعرافها الهيجاء
لبى قضاء الأرض أمس بمهجة   لم تخش إلا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه   سقراط جر إلى القضاة رداء
شيخ تمالك سنه لم ينفجر   كالطفل من خوف العقاب بكاء
وأخو أمور عاش في سرائها   فتغيرت فتوقع الضراء
الأُسد تزأر في الحديد ولن ترى   في السجن ضرغاما بكى استجداء
وأتى الأسير يجر ثقل حديدهِ   أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم تنؤ   ومشت بهيكله السنون فناء
سبعون لو ركبت مناكب شاهق   لترجلت هضباته إعياء
خفيت عن القاضي وفات نصيبها   من رفق جند قادة نبلاء
و السن تعطف كل قلب مهذب   عرف الجدود وأدرك الآباء
دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجداً   يأسو الجراح ويطلق الأسراء
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه   ويصف حول خوانه الأعداء
وتخيروا الحبل المهين منية   لليث يلفظ حوله الحوباء
حرموا الممات على الصوارم والقنا   من كان يعطي الطعنة النجلاء
إني رأيت يد الحضارة أولعت   بالحق هدماً تارة وبناء
شرعت حقوق الناس في أوطانها   إلا أباة الضيم والضعفاء
يا أيها الشعب القريب أسامع   لأصوغ في عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت   أذنيك حين تخاطب الإصغاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالد   فانقد رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى   واحمل على فتيانك الأعباء

شاعر القطرين (خليل مطران)

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليماً وجدت بالحر جود الحر إن ضيما
تذكر العرب والأحداث منسية ما كان إذ ملكوا الدنيا لهم خيما
لله يا عمر المختار حكمته في أن تلاقي ما لاقيت مظلوما
أن يقتلوك فما أن عجلوا أجلاً قد كان مذ كان مقدوراً ومحتوما
هل يملك الحي لو دانت له أمم لأمر ربك تأخيراً وتقديما
لكنها عظة للشرق أوسعها مصابه بك في الإخلاد تجسيما
لعله مستفيق بعد هجعته أو مستقيل من الخسف الذي سيما
أجدر برزئك لم تحذر عواقبه أن يفجع العرب تخصيصاً وتعيما
وأن يأجج ناراً في حميتهم وأن يرد فرند الصبر مثلوما
هيهات نوفيك والأقوال عدتنا حقا، ونوفي الصناديد المقاحيما
من الألى صبروا صبراً جميلاً وقد ذاقوا الكريهين تقتيلا وتكليما
لعل أشقاهم الباقي على آسف وعلى أرواحهم من قر مرحوما
قد أثموكم وكم من مثله نزلت بالأبرياء وبالأبرار تأثيما
وإنما ذنبكم ذنب الألى جعلوا صدق الهوى للحمى دنيا وتعليما
امضوا خفافاً كراماً حسبكم عوضاً فخر العزيز على الخطاب أن ديما
قد سرتم في سبيل الخير سيرتكم محققين رجاء خيل موهوما
لا حاكما دون ما أوحت ضمائركم تراقبون ولا ترعون محكوما
يحطم العظم منكم دون بغيتكم فما تهون ويأبى العزم تحطيما
ليس الإرادة إلا من يكون على رأى ومن يتناهى فيه تصميما

ماالسجن حين يذاد الخسف عن وطن بعـاره بـاء في الأوطـان موصومـا
يـغني عـن الشمس في أعماق ظلمتهِ بـرق مـن الأمـل المرمـوق إن شيمـا
عدن على طيبها لو شيم كوثرها بـظل بـاغ لعـاد الـورد مـسموما
مـاالموت أن تـك منجاة البلاد بـه من غاصب وانتصاف الشعب مهضوما
هذا هو العيش والقسـم العظـيـم بـه من خالد الفخر فوق العمر تقويمـا

قصيدة الأستاذ معروف الرصافي (شاعر العراق)

هـو النـصر معقـود برايتنـا الحمـرا على أنـه في الحـرب آيتُنـا الكُبرى
حليفـان مـن نـصر مـبين ورايـة بـه وبهـا نعلـو علـى غيرنـا قـدرا
لـئن أدبـرَ (الطليـانُ) عنـد كفاحنـا فـإن لهـم في بطـش شجعاننـا عُذرا
فإنّـا لقـوم إن نهـضنا لحـادث من الـدهر أفزعنا بنهضتنا الـدهرا
نـدك هـضاب الأرض حتـى نثيرهـا غبـاراً علـى أعدائنا يكتـح الـذعرا
ونأكـل مُـر المـوت حتـى كأننـا نلـوك بـه مـا بـين أضراسنـا تمـرا
فسل جيش (كانيفا) بنا كيف قوّمت شـفارُ مواضينـا خُـدودهم الـصعرا
وكيـف هزمنـاهم فولـوا كأننـا وإيـاهم أسـد الـشرى تـطرد الحُمـرا
وكـم قـد نثرنـا بالـسيوف جماجمـا نظمنـا بهـا فـوق الثـرى للعدى شِعرا
ومـا جَزَعـي للحـرب يحمـي وطيسها ولكـن لأرواح بـهـا أزهقـت صـبرا
لـك اللّه يـا قتلـى طـرابلس الـتي بها حكـم الطليـانُ أسيـافهم غـدرا
أدامـوا بهـا قتـل النفـوس نكايـة إلى أن أصـاروا كـل بيـت بـهـا قـبرا
ولمـا أحـاط المـسلمون بجيـشهم فعـاد الفضاء الرحـب في عينـه شبرا
تقهقـر يبغـي في الديـار تحـصناً فقربهـا مـن خـشية المـوت واستذرى

وأصبح يُنكي أهلها من تغيظٍ | فيقتُلهم صبراً ويرهقهم عسرا
فأوسَمَهَم بالسيف ضرب رقابهم | وآنافهم جدعاً وأجوافهم بقرا
وما ضر كانيفا اللعين لو أنه | تقحم في الهيجاء عسكرنا المجرا
وأيحجم عنا هارباً بعلوجه | ويبغي بقتل الأبرياء له فخرا
وهل حسبوا قتل النساء شجاعةٌ | وقد تركوا عند الرجال لهم ثأرا
لقد شجعوا والموت ليس له يدٌ | ولم يشجعوا والموت يطعنهم شزرا
يعز على أسيفنا اليوم أنها | تُقارع قوما قرعهم بالعصى أحرى
ولم تكُ لولا الحرب تعلو سيوفنا | رؤوسنا ترى ملء القحوف بها عهرا
ومن مُبكيات الدهر أو مضحكاته | لدى الناس حرٌ لم يكن خصمه حُرا
لئن أيها القتلى أريقت دماؤكم | فما ذهبت عند العِدا بعدكم هدرا
سنثأرُ حتى تسأم الحرب ثأرنا | ونقتل عن كل امرئ أنفسنا عشرا
وإني لتغشاني إذا ما ذكرتُكم | لواعج حزن ترتمي في الحشى جَمَرا
على أن قُرص الشمس عند غُروبها | يذكرني تلك الدماء إذا أحمرا
فأبكي تجاه الغرب والبدر لائح | من الشرق حتى أبكي الشمس والبدرا
ويا أهل هاتيك الديار تحيةً | توفيكم الشكر الذي يرأس الشُكرا
فقد قُمتم للحرب دون بلادكم | تذودون عن أحواضها البغي والنكرا
وثرتم أسوداً في الوغى يعربية | غدا كل سيف في براثنها ظُفْرَا
تراها لدى الحرب العوان مشيحة | تهمهم حتى تنطق الفتكة البكرا
ولو أن كفي نستطيع تناوشا | فتبلغ في إبعادها الأمم الزُّهرا
لرتبت منها في السماء قصيدة | لكم واتخذت البدر في رأسها طُغرى
وخلدتها آياً لكم سرمدية | مدائحها تستوعب الكون والدهرا
لقد ملك الإفرنج أرض مراكش | وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا

ففاجأنا الطّليان من بعد مُلكهم ... لكي يسلبونا في طرابلس الأمرا
وقالوا ألم تأت الفرنجة تونساً ... وهذي جيوش الانكليز أتت مصرا
فخلوا لنا ما بين هذي وهذه ... وإلا قسرناكم على تركها قسرا
فقلنا لهم إنّا أحق بملكها ... فقالوا ولكن زند قوتنا أورى
أهذا هو العصر الذي يدعونه ... فسحقاً له سُحقا ودفراً دفرا

قصيدة شاعر النيل (حافظ إبراهيم)

طمع ألقى عن الغرب اللّثاما ... فاستفق يا شرق واحذر أن تناما
واحملي أيتها الشمس إلى ... كل من يسكن في الشرق السلاما
واشهدي يوم التنادي أننا ... في سبيل الحق قد متنا كراما
مادت الأرض بنا حين انتشت ... من دم القتلى حلالاً وحراما
عجز الطليان عن أبطالنا ... فاعلوا من ذرارينا الحساما
كبلوهم ، قتلوهم مثلوا ... بذوات الخدر ، طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم ... يرحموا طفلاً ولم يبقوا غلاما
أحرقوا السور استحلوا كل ما ... حرمت (لاهاي) في العقد احتراما
بارك المطران في أعمالهم ... فسلوه بارك القوم علاما
أبهذا جاءهم إنجيلهم ... آمراً يلقى على الأرض سلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا ... وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطوراً من دم ... أقسمت تلتهم الشرق التهاما
أطلقوا الأسطول في البحر كما ... يطلق الزاجل في الجو الحماما
فمضى غير بعيد وانثنى ... يحمل الأنباء شؤماً وانهزاما

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملأوا الدنيا كلاما
أعلنوا الحرب وأضمرنا لهم أينما حلوا هلاكاً واختراما
خبروا (فيكتور) عنا أنه أدهش العالم حرباً ونظاما
أدهش العالم لما أن رأوا جيشه يسبق في البحر النعاما
لم يقف في البر إلا ريثما يسلم الأرواح أو يلقي الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا منه نذكره عاما فعاما
أنت أهديت إلينا عدة ولباساً وشراباً وطعاماً
وسلاحاً كان في أيديكم ذا كلال فغدا يفري العظاما
أكثروا النزهة في أحيائنا وربنا إنها تشفي السقاما
وأقيموا كل عام موسماً يشبع الأيتام منا والأيامى
لست أدري بت ترى أمة من بني (التليان) أم ترعى سواما
ما لهم والنصر من عاداتهم لزموا الساحل خوفاً واعتصاما
افتلوا من نار (فيزوف) إلى نار حرب لم تكن أدنى ضراما
لم يكن (فيزوف) أدهى حمما من كرات تنفث الموت الزواما
إيه يا (فيزوف) نم عنهم فقد نفضت أفريقا عنها المناما
فهي بركان لهم سخره مالك الملك جزاء وانتقاما
لو دروا ما خبأ الشرق لهم آثروا (فيزوف) واختاروا المقاما
تلك عقبى أمة غادرة تنكث العهد ولا ترعى الذماما
تلك عقبى كل جبار طغى أو تعالى أو عن الحق تعامى
لو درت (روما) ما قد نابها في (طرابلس) أبت إلا انقساما
وأبى كل اشتراكي بها أن يرى التاج على أقاما
أعلنوا ضم مغانينا إلى ملك (فكتور) ولم يخشوا ملاما

أعلنـــوا الـــضم ولم يفتـــحوا   قيـــد أظفـــور وراء أو أمامـــا
فأعجبـــوا مـــن فـــات ذي مـــرة   يحـسب النزهـة في البحـر صداما
ويـــرى الفـــتح للدعـــاة بـــاطلاً   وافـــتراء واحتجاجـــا واحتكامـــا

قصيدة شاعر الشباب التونسي (محمود أبو رقيبة)

مـــضى عمـــر المختـــار لله رافـــلاً   بثوبٍ نقيٍ حيك من خـالص الطهر
مـــضى عمـــر المختـــار لله بعـــدما   قضى الواجب الأسمى بأعلى ذرى الفخر
مـــضى عمـــر المختـــار لله هانئـــاً   سعيداً شهيداً وانطوت صفحة العمر
مخـــــلفة للعالميـــــن مـــــآثراً   هي الغرر البيـضاء في جبهة الدهـر
ومـــن دمـــهِ المسفـــوك سطر آيـــة   سيحفظها التاريخ بالحمـد والشكـر

قصيدة الشاعر الطرابلسي (أحمد الشارف)

رضـــينا بحتـــف النفـــوس رضينـــا   ولم نـرض أن يُعـرف الـضيم فينـا
ولم نـــرض بالعيـــش إلا عزيـــزاً   ولا نتقـــى الـــشر بـــل يتقينـــا
فمـــا الحـــر إلا الـــذي مـــات حـــراً   ولم يـــرض بـــالعيش إلا أمينـــا
ومـــا العـــز إلا لـــمن كـــان يفـــدى   ذمامـــاً ويُفنـــى عليهـــا الثمينـــا
ونـــحن فـــروع زكـــت مـــن أصـــولٍ   فنحيـــي مآثرنـــا مـــا حيينـــا
لتـــاريخ عنـــصرنا في الـــورى   حـديث علـى صـفحات الـسنينا
وفي جـــانب العـــز كـــأس المنايـــا   وجـــدنا بهـــا لـــذة الـــشاربينا

إذا قامت الحرب كنا رجالاً إلى الحرب أرسخ من طور سينا
لنا وثباتٌ بها وثباتٌ فضحنا بها ثورة الثائرينا
ولا عجب في الوغى إن أتينا بشيمة آبائنا الأولينا
إذا لم يُعنا على الخطب رأيٌ جعلنا البسالة فرضاً معينا
سيوف قبضنا عليها أكفاً وفيها ترانا من المسرفينا
ونتلف أموالنا في المعالي ولسنا عليها من الآسفينا
أيا من يجرون أسطولهم إلينا بآلافهم والمئينا
فما ضرّنا أن حللتم شطوطاً إذا شط ما كنتم قاصدينا
فكم في طرابلس الغرب ليث يصون البلاد ويحمي العرينا
وما زاد صرخ المدافع إلا زئيراً لأشبالها الضائرينا

وقام الجيل الذي جاء بعد عمر المختار، فرثاه أحر رثاء، ولم ينسَ ذكراه، ونختارُ فيما يلي بعض هذه المراثي:

قصيدة الشاعر حسين الغناي (من بنغازي)

يبيد الزمان ومدته ... وتفنى الخلائق جدته
وتطوي الدهور سجل الحياة ... وتبقى من المرء سيرته
ومن أخلد الذكر في العالمين ... مضاء الفتى وعزيمته
ووقفته عند قرع السلاح ... تذود عن الحق مهجته
إذا عجمته شداد الخطوب ... تذرع بالصبر مهجته
سواء لديه اعوجاج الزمان ... كذا عدله واستقامته
ومن أبرز الذائدين فتى ... إلى أرض برقة نسبته
من العرب الشوس والفاتحين ... جبلته وأرومته
إذا عد "عمر" "وابن الوليد" ... و"عقبة" ثم صحابته
وأمثالهم نخبة المسلمين ... رجال الفتوح وقادته
فـ"مختار" برقة ذاك الأبي ... الذي طافت الأرض شهرته
لصنو لهم من قياس الفحول ... وتمتاز عنهم صلابته
عقيدته في الحياة الجهاد ... لتحفظ للشعب حرمته
وتلقاه في البأس والمكرمات ... له فضله ومهابته
إذا اتصف بالدهاء الرجال ... وبانت من العدل وجهته
فقول الكتاب له مبدأ ... وصوت السلاح سياسته
أبى شرفاً أن يفك الركاب ... وأن تلقى السيف راحته

ومـازال في الـسرج شـاكـي الـسلاح توشـــــــــــحه بندقيتــــــــــــه
يـــصـادم في طلعـــة المهاجميـــن وأول طلـــــــــق رصاصتـــــــه
ويغــزو علـــى القـــوم في دارهـــم فتفـــضي إلى النـــصر غزوتـــه
إلى أن قـضى تحـت حكـم القـضاء شـــهيداً فكانـــت نهايتـــه
لـئن مـات شـهم الـوغى عمـر ولمــــا تحقـــق رسالتـــــه
فقـد أوجـدت في شـعور العروبـة نـــوراً يـــشع عقيدتـــه
يـسير بهـا في دروب الظــلام فتهـــدي إلى الحـــق لمعتـــه
كمـا علـم الـروم أن الجهـاد منـــى العربـــي وبغيـــته
وعلمهـــم أن وكـــر النـــسور حـــرام علـــى البـــوم وطأتـــه
حديثـــك يـــا عمـــر الخيريـــن تغـــذي النفـــوس روايتـــه
وذكـــراك بـــاق مـــع الخالـــدين بـــه تخـــتم المجـــد صـــفحته

قصيدة الشاعر المبدع (محمود عماد)

طـر بالخيـال إذا عـصتك الأضـلعُ واشـخص إلى حـديث الأسـنة تـشرعُ
وإذا سمعـت مـن القنـابل قـصفها فاسـأل رسـول المـوت عمـا يـصنع
واحـذر هبـوط الـسهل إن رمالـه لجـج هنـاك مـن الدمـا تتـدفع
رسـبت بهـا الأشـلاء كـل مـشوه بـادي الأشـاجع أو صريـع ينـزعُ
وسـم الرصاصـة جـسومهم بعبـارة فـضحى ترددهـا هنـاك الأصـقعُ
شـيبٌ تميـل علـى العـصي وفتيـةٌ شـعثُ الوجـوهِ نـسوةٌ تتـوجعُ
نقـسي لغانيـة تحـدر دمعهـا جزعـاً علـى إلـف دهـاه المـصرع

تبكـي ولكـن هـل يُلبـى صـوتها ... إلا المثقـف والحـسام المـشرعُ
والأم تنـدبُ طفلهـا فيجيبهـا ... شيـخٌ طريـحُ فراشـهِ يتفجـعُ
يمـضي الفقيـد وقومـه مـن بعـدهِ ... عـينٌ مـسهدةٌ وقلـبٌ موجـعٌ
في سـاحة الآجـال صـيدٌ عـودوا ... سـفك الـدماءِ وأسـد غـاب جـوعُ
يتخطفـون مـن الجـسوم نفوسهـا ... جـشعاً وتخلـف الجـسوم الأضبـع
قد غـركم نـسم البحـار فدونكم ... وهـج القفـار إن اسـتطعتم فـازمعوا
هـي موتـة جبليـة لا فـسحة ... بحريـة وطبـول حـرب تُـقرعُ
لا تـسمعون سـوى مقـالة مُرهـفٍ ... يقـظ الجنـان ومـا يـقول المدفـع
فخـذوا أفـانين الـوغى عـن عـصبةٍ ... قـد أتقنـوا رمـي القلـوب وأبـدعوا
وتعلمـوا معنـى الحـروب فإنهـا ... ليـست إغـارة مجـرم يتـوقعُ
(رومـا) تعـزُ علـيكم إن روعـت ... وكـذا (طرابلـس) أعـز وأمنـع

مرثية الشاعر الليبي (رجب الماجري)

شعـشعوها وارقـصوا الأقداحـا ... إن عهـد الكفـاح ولى وراحـا
وانهبـوا العمـر إنـه خلـسات ... أزهقوهـا لهـوا وغيـدا وراحـا
قـد بلغـتم مـن الأمـاني مداهـا ... وتجلـت آلامكـم أفراحـا
إن في الـوهم نـشوة أفنـت الحـس ... وصـاغت مـن القيـود وشاحـا
ذاك صـوت الأبطـال خلـف قبـور ... تمـلأ الـشرق سـهله والبطاحـا
بالـسّخيّة الدمـاء ومـاض ... ألهـب العـرب ثـورة وكفاحـا
قـد وعينـا صـداه بعـد خمـود ... فحملنـا أغلالنـا والجراحـا

وهتفنـــا بالمجـــد لبيـــك إنـــا أمـــة لم تعـــد تجيـــد النواحـــا

وعـــصفنا بالقيـــد لمـــا انتفـــضنا وانطلقنـــا نحـــرر الأرواحـــا

إن في البعـث تنيـب قـوة الطغيـان نـــسفاً وتمـــسح الأشباحـــا

وانتضينا للحق من (عمـر المختـار) عزمـــا وللهـــدى مـــصباحا

فـــانبرى للبغـــاة يحمـــي حمانـــا حـــين ظنـــوه مغنمـــاً مـــستباحا

شـــبها ثـــورة مقدســـة حمـــراء المـــوت ببغـــيهم فانزاحـــا

ثـــورة عمـــت البـــلاد وهـــزت قلـــب رومـــا وغرَّهـــا الـــسّفّاحا

(عمـــر) قادهـــا فكـــان أباهـــا وفتاهـــا وروحهـــا الملحاحـــا

لم يكـــن يملـــك الـــسلاح ولـــكن قـــدرا كـــان للطغـــاة متاحـــا

مالرومـــا تـــئن عـــشرين عامـــاً تحـــت أنفاســـه وتلقـــى الـــسلاحا

اســـألوها فإنهـــا مـــن يديـــه شـــربتها كـأسـا تـــرد الجماحـــا

يـا أبـا الخلـد ليس ذكـراك تجـدي غـــافلا ســـادرا وغـــرا وقاحـــا

ربـــع قـــرن مـــضى وطيفـــك فينـــا يبعـــث الـــروح غاديـــا ورواحـــا

أترانـــــا لم نـــــتعظ أم ترانـــــا قـد بـدأنا بعـد الكفـاح كفاحـا

حـسب ذكـراك أن تعـود فنعـلى نفـــسا خافتـــا وحقـــا صراحـــا

إنـــني أنحنـــي لـــذكراك حبـــا كلمـــا شمـــت بيننـــا إصلاحـــا

قصيدة الأستاذ (أبو الخير الطرابلسي)

دك طول الجهاد باسم السلام ... وثوى الحر في مهاوي الظلام
وأبيدت معالم الحق لما ... زلزل الأمن في ربوع الأنام
وأميتت مبادئ الدين كفراً ... وأزيلت منارة الإسلام
وأقيمت مجازر الإثم والبغـ ... ـي وزلت مواطئ الأقدام
وتحامت عناصر الظلم والعدوان ... فهدت دعائم الأقدام
ليت تلك السماء تحكي فتروي ... كيف حيكت مؤامرات اللئام
ليت هذا الأديم ينشق توا ... فيواري مخلفات الطغام
أيهذا الشهيد !. ما أنت إلا ... طارق العز .. تالد المجد .. سامي
أيهذا الشهيد !. ما أنت إلا ... قدوة لجيش .. في اللواء الأمامي
خصك الله بالعزيمة والصبـ ... ـر، وخص الطغاة بالإحجام
خصك الله بالعقيدة والطهـ ... ـر، وخص الدناة بالآثام
أمم الأرض .. طأطأت في احترام ... يا جلال هذا المقام
أمم الأرض.. قلدتهم هوانا ... وازدراء بهم أحط وسام
أيهذا الشهيد قد مت شنقا ... بيد الغدر ذقت كأس الحمام
فتوارت غزالة الصبح حزناً ... واختفى البدر في ليالي التمام
خالد أنت رغم أنف المنايا ... (عمر) أنت والردى تتعامى
إن تناسوك ، فالثمانون عاماً ... ليس تنسى على مدى الأعوام
كللت كاهليك بالعوم تاجاً ... فتوثبت قاهراً في اعتصام
ما تحدوك .. إنما قد تحداك ... القضا .. بالردى ونصل الختام

إنهـــم ألبـــسوك حلـــة الفخـــر   ثـم أعلــوك فــوق أسمـــى مقـــام

طوقـــوا جيـــدك الأغـــر وغطـــوا   جـــسمك الحـــر خيفـــة الإيـــلام

سـنة الغـدر ..رحمـة الـذئب بالـشا   في الأعـــالي ملائـــك الـــسلام

فالمـــضاء يـــا فتيـــة النـــصر   فقـــد طـــال عهـــد المنـــام

والبـدار البـدار يـا أمـة الفـخر   فحـــسب الحـــصاد نيـــل المـــرام

قصيدة الشاعر الليبي (محمد محمد المطماطي)

ست وعشرون انقضت
والثائر البطل الشهيد لم ننسه
ذكراه باقية كما يبقى الوجود
في صفحة التاريخ سجلها الخلود
تمضي بنا الأعوام والبطل الشهيد
لن ننساه أبداً
أبداً يذكرنا بأيام النضال
ذكراه تربطنا بماضينا البعيد
ماضي البطولة والكفاح
ذكراه تربطنا بعهد الظالمين
قد كان (للفاشست) في وطني نفوذ
قوى نفوذ
سنظل نذكره على مر السنين
عهد الطغاة الغاصبين
ونظل نفخر بالكفاح
لولاه ما طلع الصباح
(عمر) الذي كان مدرسة الجهاد
ذكراه مازالت كأجمل أغنية
(عمر) الذي حمل السلاح

في وجه أعداء الحياة
قد كان (للفاشست) في وطني نفوذ
وتطاولت أيادي الطغاة
لكنما (المختار) في عزم أكيد
نفض الغبار عن الجباه
ليخوض معركة الحياة
لن يثنيه ضعف الشيوخ ووهنه
سبعون عاماً لم تكن لتردهُ
عن حمل ألوية الجهاد
قد كان في صدر العدا
سيفاً تحطم غمده
قد كان شهيداً لا تلين قناتهُ
أبداً يقض مضاجع المستعمرين
ويصيح في ساح الوغى
فيجيبه رفقاؤه
(لبيك يا بطل الجهاد)
وبفوقه أعداه بالجيش الكبير
وكذا العتاد
لكنما (عمر) العنيد
لم يخش قوة خصمهِ
فأطاح بالمستعمرين
(روما) تصدر جيشها

فيرده (المختار) مهزوما طريد
وتمر أعوام النضال
وجحافل (الطليان) تفقد رشدها
وتظل في رعب مقيم
وتظل في الفزع المروع تستغيث
في (مدور الزيتون) في وضح النهار
(عمر) يحيط به الرفاق
يسترجعون الذكريات الحائرة
والقائد البطل الهمام
قد كان فوق جواده
كالليث منتصب القوام
وتزغرد فجأة طلقات نار
وتسلل الأوغاد في حذر اللصوص
وتجمعوا من حولـهِ
ليكبلوه
وهناك في ذاك المكان
في القرية الجرداء عند المشنقة
قد وزعوا الحراس في هلع شديد
وتصاعدت روح الشهيد
يا أيها البطل الهمام
في هذه الذكرى إليك تحيتي
من شعبك الحر الوفي

بل ألف ألف تحية

وأهنا بموتك في سبيل بقائنا

فلسوف تقتطف الثمار

قصيدة الشاعر (خالد أبو زغيبة)

من أجل الشعوب :

ومضى القطار.. مضى القطار..

عند الغروب.. إلى سلوق..

يطوي متاهات الطريق..

يحوي جموعاً من بشر..وكذاك في جنون

.. مستهدفاً أرض المنون..

حيث المنافي والسجون..

مفتوحة الأفواه تنتظر الجميع..

وسرى كومض البرق، في الناس الخبر..

فبدت جموع الناس في هلع مخيف..

وارتاعت الأطفال من هول الخبر.. حتى النساء

تلقت ذات الخبر..

فبدت زمر.. مذعورة تستطلع الخبر الأسيف

.. بدت زمر..

ومضى الطغاة يهددون..

ويحشدون..

كل الجموع على الرصيف..

والناس يعروهم شعور..

بالحقد للطاغي الحقير..

ومضى القطار..

ومضى القطار..

يحوي جموعاً من بشر..

وكذلك يعدو في جنون.. مستهدفاً أرض المنون..

وأتت فلول الغاصبين..

قذفت بهم شطآن إيطاليا اللعينة..

فتهافتوا من كل صوب..

يحكون أسراب الجراد..

ومضوا يحطون الرحال

في كل شبر من ثرى الوطن الحبيب..

أوغاد سيشيليا اللصوص..

عاثوا فساداً في المزارع والحقول..

ومضوا يشيدون المنافي والسجون..

عند العقيلة .. وفي سلوق..

جراسياني جلاد الشعوب..

نصب المشانق للائي ثاروا على البغي الأثيم

حشد الجموع الآمنة..

ورمى بها في غيهب السجن الرهيب..

واجتاحت المرج الحبيب..

تطوي الفيافي والسهوب..

وسرت تدمدم كالرعود..

صاخبة كالسيل..

كالإعصار تعصف بالهشيم..

هي ثورة الحر الأبي على اللائي داسوا الحمى

زحفت طلائعها تهب من المغاور والكهوف

.. وبدت تطل من النجاد..من الجبال..شرعت

كتائبها المجيدة في النضال.. بقيادة (المختار)

تحصد بالرصاص المعتدين

.. ترمي بهم أشلاء.. دامية النثار.. وتبدو

الأطماع.. أطماع اللصوص.. كالريح إذ تذري

الرمال..

وتجرع الأوغاد كاسات الهوان..

يا أيها اللص اللئيم..

شلت أناملك البغيضة يا حقير..

إذ قد تحديت البطولة والفداء..

فتسللت يدك الحقيرة في خفاء..

لتطيح بالبطل الكبير..

ولكي تسلمه لأعداء الحياة..

لا يا رفـاق..

لا يا رفاق الدرب في وطني الحبيـب..

ما غاب عن وجداننا البطل الأغر..

بل ظل في أعماقنـا .. رغم.. متاهات السنـين

وعبر أسـوار الزمن..

ما غاب عن أنظارنا طيـف (عمر)..

بل ظل في أعماقنـا طي الضلوع..

حيـا يطل على الجموع..

حياً يتوق..

للنصر في يوم قريـب..

وإلى الغد الزاهي الحبيـب..

في كل قطرة .. من دماء الشـهداء..

وفي كل أنة.. من صراخ الجـائعين..

وفي كل دفقة.. من شعور الأبريـاء..

وفي كـل خلجة من نفوس الثـائرين..

في قلب كـل منـا.. في كـل الجموع..

ذكرى لأيـام الكفـاح..

طي الحنـا يـا والصدور..

ذكـرى .. تضـوع..

.. وتعم أرجاء البـلاد..

وتظل تسري في الوهاد..

وفي الروابي والسهول..

وفي كل جزء من ثرى الوطن الحبيب..

تزري بأعمال القراصنة الطغاة..

وتظل توحي للشباب..

أمل البلاد..

رمز التقدم والنهوض..

وطلائع البعث الجديد..

توحي لهم بالبذل من أجل الشعوب.. والنصر في

يوم قريب

ونظم شعراء اللغة العامية عشرات المراثي للبطل الشهيد، ولا يتسع المكان لنشرها.

المراجع العربية والأجنبية

أولاً - المراجع العربية :

1. إتيليو روسي ، برقة الخضراء، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس 1991م.
2. أحمد صدقي الدجاني ، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، القاهرة 1971م.
3. أحمد صدقي الدجاني، وعبد السلام أدهم، وثائق تاريخ ليبيا، بيروت 1974م.
4. أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، بيروت 1971م.
5. د.إدريس صالح الحرير، الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا طرابلس 1984م.
6. أرسي ، مع الإيطاليين في حرب طرابلس، ترجمة منصور الشيباني، طرابلس 1972م.
7. أنزوسانتا ريللي، لويجي قوليا، روبين رأئنيرو، جورجو روشا، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، طرابلس 2005.
8. جاد ديبوا، الاستعمار الإيطالي في ليبيا ، ترجمة د. هاشم حيدر ، دار ليبيا للنشر، بنغازي 1968م.
9. جورج ريمون ، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ترجمة د.محمد عبدالكريم الوافي ، الفرجاني ، طرابلس 1972م.
10. حسين سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، القاهرة 1962م.
11. خليفة التليسي، بعد القرضابية، دار الثقافة ، طرابلس.
12. خليفة التليسي، معارك الجهاد الليبي، طرابلس 1980م.
13. خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، بيروت، 1973م.
14. رأفت غنيم الشيخ، تطور التعليم في ليبيا، بنغازي 1972م.
15. رودولفو غرازياني ، برقة الهادئة،ترجمة إبراهيم عامر، بنغازي 1975م.
16. ز.ب. ياخيموفتش، الحرب التركية، الإيطالية، ترجمة د. هاشم صالح التكريتي، بيروت 1970م.

17. سالم الكبيتي، يوسف سالم البرغثي، معركة جليانا، بنغازي 1991م.
18. الطاهر أحمد الزاوي، جهاد البطال، طرابلس ، بيروت 1972م.
19. الطاهر أحمد الزاوي، عمر المختار ،الفرجاني، طرابلس ، 1970م.
20. عبد اللطيف حافظ البوري، الغزو الإيطالي ، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1983م.
21. د.عقيل محمد البربار، عمر المختار، طرابلس 1983م.
22. عمران بورويس، وثائق أسر ومحاكمة وشنق عمر المختار، بنغازي ، 2003م.
23. د. فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، القاهرة 1948م.
24. د. فؤاد شكري ، ليبيا الحديثة ، جزآن مطبعة الاعتماد ،القاهرة 1957م.
25. فرانشيسكو مالجيري، الحرب الليبية، ترجمة وهبي البوري، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1978م.
26. فرنشيسكو كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ترجمة التليسي، طرابلس 1972م.
27. فضل الله محمد البربار، عمر المختار، طرابلس 1983م.
28. فيوج فون قريفتز، تاريخ الحرب الليبية، ترجمة عماد الدين غانم طرابلس 1982م.
29. كولوديو سيجري، الشاطئ الرابع، ترجمة د. عبد القادر مصطفى المحيشي ، طرابلس 1987م.
30. محمد أسد ، الطريق إلى مكة، بيروت.
31. محمد الطيب الأشهب، برقة العربية، القاهرة 1942م.
32. محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، القاهرة ،1956م.
33. محمد عبد الرازق مناع ،مذكرات محمود الجهمي، بنغازي 1973م.
34. محمد عبد الرازق مناع، جذور النضال العربي في ليبيا، بنغازي 1973م.
35. محمد مصطفى بازامه ، المدينة الباسلة، الحوار العربي الأوروبي قبرص 1994م.

36. محمد مصطفى بازامه ، بداية المأساة، بنغازي ،1961م.
37. محمد مصطفى بازامه، التمهيد السياسي للاحتلال الإيطالي بنغازي 1961م.
38. محمد مصطفى بازامه، العدوان، الفرجاني، طرابلس، 1965م.
39. محمد مصطفى بازامه، بنغازي عبر التاريخ ، دار ليبيا للنشر، بنغازي 1966م.
40. محمد مصطفى بازامه، تاريخ برقة، بنغازي متصرفليك،العهد العثماني الثاني، الحوار الثقافي العربي الأوروبي 1994م.
41. محمد ناجي ، طرابلس الغرب، طرابلس 1973م.
42. محمود شلبي، عمر المختار ضحية الاستعمار الوحشي، القاهر ة 1957م.
43. مذكرات جوليتي، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس 1976م.
44. مصطفى بعيو، دراسات في تاريخ الوبي، الإسكندرية 1953م.
45. نيقولا زيادة ، ليبيا بين الإستعمار الإيطالي والاستغلال، معهد الدراسات العربية العليا، القاهرة 1958م.
46. نيقولا زيادة، محاضرات في تاريخ ليبيا، القاهرة 1958م.
47. د. الهادي بولقمة، دراسات ليبية ،بنغازي 1975م.
48. الهاشمي محمد بالخير، الهاني ، مركز جهاد الليبيين، طرابلس 1985م.
49. يوسف سالم البرغثي، المعتقلات الفاشيستية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين، طرابلس 1993م.

ثانياً - المراجع الأجنبية :

1. Angelo Delboca B Oca-Gu Italiani in Libia – Roma-Bari 1986.
2. D.M T Tuninetti- La polititca Coloniale Del Regime Roma 1933.
3. Rodolfo Graziani- pace Romanin Libia- Milano-1937.
4. Guglielimo Nasi- Laguerra In Libia- Rivista Militare Genn 1927-Roma.
5. Renzo Defelice- Ebrei in Un Paese Arbo- Bologna- 1973.
6. Mario M. Moreno- La Poltica Indigena Dellitalia – Annaali Africa Italiana-A nno Vi- Giugno 1942.
7. Fracescmeriano – La Questine Di Giarabob- Bocogna 1925.
8. A.Gaibi- storia Delle Cdlonie Italiane Torino 1934.
9. Innio Dinolfo- Mussolinie La Polittica Estera Italiana (19119-1933) Padova-1960.
10. Mario Del Caseini- Mussolini In Africa- Man Tova 1926.
11. G.Brezzi- Centogiorni Di Prigionia Nelloasi Di Kufra Milano - 1930.
12. C. Morongiu Buonaiuti- Politica E. Relazioni Del Colonialismo Italiano (1862-1941) Varease 1982.
13. R.Graziani- H.Difes Lpatria- Milano 1948.
14. Carlo Emilio Rava- Al Margini Del Sahara – Bologna 1936.
15. Giorgio Rochat – La Repressione Della Resistenza arabain Cirenaica- II Movimento Della Liberazione in Italia Genn.Marzo 1973.
16. G.Rochat- La Repressione Della Resistenza in Cirenaica in AA. VV.P.O.
17. Gioanni Gerone – Spigolature Bengasine – Firenze 1913.
18. Paolo Maltese – La Terra Prom Essa – Mondadori 1974.
19. Ulderico Tegani –Bengasi – Milano 1914.
20. Alessandro Lessona L'afeica Settentrionrle Nella Politica Mediterranea – Roma 1942.

21. Giueppe Volpi – La politica Coloniale Del Fascismo – Milano 1929.
22. Denis R. Smith – Le Guerre Del Duce – Roma 1976.
23. A. Caini – Storia Delle Colonie Italiane – Torino 1934.
24. Dante M. Tuninrtti – Girenaica D'oggi – Bengasi 1930.
25. Giorgio Roghat – Lacolonizzione Italiana – Torino 1971.
26. Piero Pierie G.Rochat – Badoglio – Torino 1974.
27. Santarelli – Rachot – Raniero – Goglia – Omer El Mokhtar E la Riconqvista Fascis – Ta Della Libia – Milana 1971.
28. Eric Salerno – Genocidio In Libia – Milano 1979.
29. Governo Della Cirenaica – Organizza – Zio – Ne Marlciante Bengasi 1931.
30. CH. Feraud – Les Annales Tripolitaines – Paris 1927.
31. Mario Caracciolo – La Tragedia Dell Esercito Italiano – Roma 1946.
32. Galeazzo Ciano – Diaro -1947- 1943- Rizzoli Lvigi 1980.
33. Lvigi Federzoni – L'Italia D'ieri Per La storia Di Dnonani – Milano 1967.
34. G.Bedendo – Le Gesta E la Politica Del Gen. Graziani – Roma 1936.
35. R.Graziani – Fronte Sud – Milano 1938.
36. R.Graziani – Africa Settentrionale – 1940 – Torino 1946.
37. Giorgio Asan – Lalibia II Mondo Arabo – Roma 1936.
38. Italo Balbo – La Politica Sociale Fascista Verso Gii Arabi Atti Convegno Volta Roma Ott. 1938.
39. G. B. Guerri – Italo Balbo – Milano 1934.
40. Renee Pottier – La' tripolitaine Vue Par un Francais Paris 1937.
41. Von Rinteln – Mussolin L' Alleato –Roma 1962.
42. Ministero Cultura Popolare – Cosa Hanno Fatto Gliinglesi in cirenalca – Roma – Luglio 1940.

43. Pietro Bodoglio – L' Italia Nella Seconda Guerra Mondiale Milano 1946.

44. Alessandro Lessona – Verso L'Impero – Firenze 1939.

45. Gioacchino Volpe – L'Impero – Firenze 1939.

46. R. Graziani – Verso il Fezzan – Tripoli 1929.

47. Angelo Piccioli – Lanuova Italia D'dltre Mare – Milano 1934.

48. E. E. Evans Pritchard – The Sanusi of Cyre Naica Oxford 1949.

49. Majid Khadouri – Modern Libya – Hopkins press – Baltimore 1963.

50. Francesco Valori – Storia Del La Cirenaica – Firenze 1939.

51. F. Lobello – II primo Decennio Della Coloni Zzazione in Cirenaica – Rivista Coloniale 1925.

52. Ministero Affari Esteri – L' italia in Africa Vol. I Operazioni Del L'esrcito – Avvenimenti Militari Nel Nord Africa 1911- 1943 Roma 1964.

53. F. Spada – Dopola Guerra – Bologna 1914.

54. Marco Pompilio – L'azione Coloniale – Roma.

55. R. Cantalupo – L'italia Mussulmana – Italia D'oltremare 1932 – P.131.

56. E. Canevari – La Guerra Italiana Roma 1948.

57. Dante Maria Tunninetti – Cirenalca Doggi – Bengasi 1930.

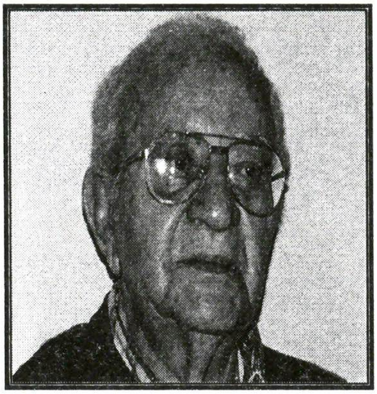
58. Rodolfo Graziani – Pace Romana In Libia – Milano 1937.

59. Rodolfo Graziani – Ho Difeso La Patria – Stampato in Italia- Printed in Italy – 1948.

الفهـــرس

الصفحة	الموضوع

المؤلف في سطور



الراحل الدكتور

وهبي أحمد البوري

شيّع الليبيون وعلى رأسهم المثقفون ظهر الثلاثاء الموافق 8-6-2010م في بنغازي جثمان المؤرخ وهبي البوري الذي توفي عن 96 عاما إثر وعكة صحية تعرض لها مؤخرا. واعتبر المثقفون البوري ذاكرة صادقة للأحداث والمثل الأعلى للمثقف الذي لم تخدعه الوظيفة أو تسرقه الأضواء، ورائد القصة القصيرة في ليبيا.

- ولد الراحل بالإسكندرية عام 1916، حيث هاجر إليها والده بعد الاحتلال الإيطالي، وعاد إلى بنغازي عام 1920 وظل بها حتى العام 1939، وتنقل بين عدة عواصم أوروبية أثناء عمله لدى الهيئة العربية لفلسطين وفي تدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية الإيطالية.
- تقلّد بعد عودته إلى ليبيا عام 1947 عدة مناصب في الخارجية أبرزها وزيرا للخارجية عام 1957، وفي 1963 صار مندوبا لليبيا بالأمم المتحدة، وفي العام 1979 عُيّن مستشارا للعلاقات الدولية بمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول في الكويت، وفي العام 1986 تقاعد وانصرف إلى الكتابة والتأليف.

- نُشِرَ إنتاجه الأدبي والفكري في عشرات المطبوعات المحلية والعربية والدولية، وصدرت له ما يزيد عن تسعة مؤلفات، من بينها "بواكير القصة الليبية" عام 2004 والتمهيد للغزو الإيطالي" عام 2007.

- صدر له من مجلس الثقافة العام :

  – بنك روما .　　　　　– بنغازي فترة الاستعمار الإيطالي.

  – مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين .

- ترجم عدة كتب عن الإيطالية منها "الحرب الليبية 1911–1912" لفرانشيسكو مالجيري، و"الكفرة الغامضة" لدانتي ماريا توتينيتي، و"ببلوغرافيا ليبيا" للكاتب الإيطالي تشكي والذي جمع فيه ثلاثة آلاف عنوان عن ليبيا قبل العام 1914.

- وقَّع الراحل الدكتور/ وهبي أحمد البوري، قبل ساعات من وفاته وفي غرفة العناية الفائقة بإحدى مصحات بنغازي، آخر عقد لكتاب انتهى من تأليفه قبل فترة وهو هذا الكتاب (عمر المختار وغراتسياني – حرب الواحد والعشرين شهراً) ولقد نال شرف إخراج هذا الإصدار مجلس الثقافة العام .

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

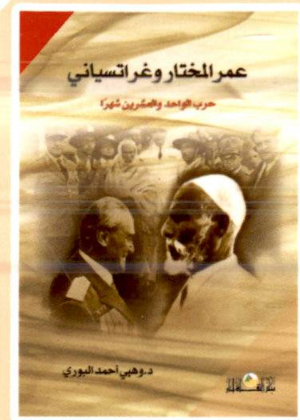
16أ عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/22621365 تليفون 02/24025777

محمول 0123140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com

http://www.qubaaalhadetha.com



يقدِّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام